

عبدالرحمن محمد حمود الوجيه

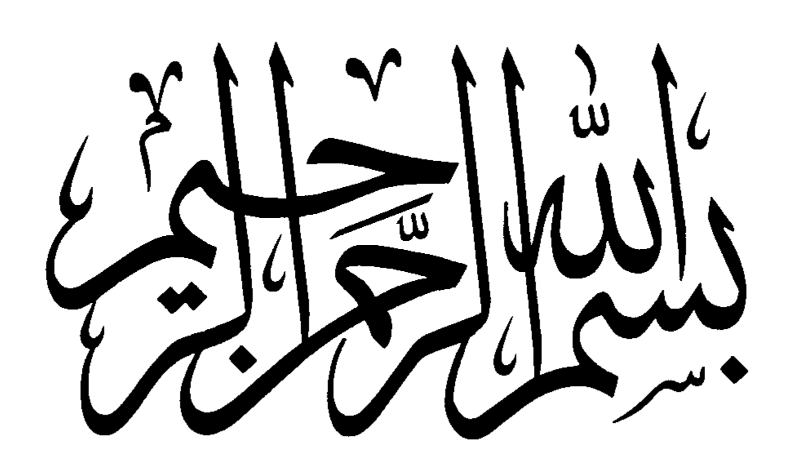
عسير فى النزاع

السعودي ــ اليمني

تحليل أسانيد السيادة

في ضوء قواعد القانون الدولي

وتقييم الدور البريطاني من خلال الوثائق المنشورة



تقـــديم

أثناء تواجدي في جمهورية مصر العربية وتفرغي لإعداد رسالة الدكتـوراه شغفت بمتابعة أخبار الجزيرة العربية مما دفعني إلـــى البحـث فـي تاريخـها المعاصر .

كانت الأفكار والخواطر حول إعداد دراسة تهتم بشئون الجزيرة العربية قـد تواردت علي في العشر الأواخر من رمضان المبارك ١٤١٨هـ-ينـاير ١٩٩٨م . وأثناء البحث استوقفني النزاع السعودي اليمني ولم أستطع منــــه فكاكـا حتـى خرجت بهذه الدراسة التي آمل أن تكون مساهمة في توضيح الرؤية والوصـــول إلى الحقيقة ، أملا في جزيرة عربية مستقرة يسود الإخاء بين أبنائها ويعم الخـير كل أرجائها .

وفي هذا السياق لابد من الإشادة بكل من ساهم في إخراج هذا العمل إلـــى النور ، وأخص بالذكر الأخوين العزيزين : حميد محمد اللهبي وخالد أحمد حسن ، فقد بذلا معي أقصى الجهد مراجعة وتنقيحا إلى أن وصلت الدراسة إلى هـــذا المستوى ، فلهما كل الشكر والتقدير ، سائلا المولى سبحانه أن يوفقهما ويكتـــب لهما النجاح في حياتهما العلمية والعملية . وأسأله سبحانه أن يجعل هذه الدراسـة نافعة ومفيدة .

القاهرة

الأحد / ٢جماد الآخر ١٤٢٠هـ

١٢/سبتمبر ١٩٩٩م

مدخل

تبوأت الجزيرة العربية مكانة رفيعة منذ القدم ، حيث قامت فيها حضارات عظيمة ذكرتها الكتب السماوية وأشارت إليها ، وتحدث عنها المؤرخون وأثنوا عليها . وإذا كان الموقع الجغرافي من أهم العوامل في تحديد الأهمية الاستراتيجية Geo-Strategy للوحدة أو الوحدات السياسية التي تقع عليه ، فإن الجزيرة العربية بتوسطها قارات الأرض وإطلالها على ممرات مائية هامة اكتسبت أهمية متزايدة على مر العصور. ومنذ أن بزغ فجر الإسلام أضحت الجزيرة العربية ذات أهمية روحية وحضارية ، فقد شرفها الله فجعلها مهوى أفئدة المسلمين : إلى كعبتها يحجون سنويا ، وإليها يتوجهون يوميا ، وشرف أبناءها فاختار منهم خاتم الأنبياء والمرسلين(صلى الله عليه وآله وسلم) ، فصاروا حملة رسالة إلى الإنسانية جمعاء .

ولم يكد ينتصف القرن العشرين إلا وقد اكتشف العالم أن هذه المنطقة تكتنز مخزونا هائلا لأهم سلعة في القرن الحالي والقرن القادم على أرجح الاحتمالات ، مما زاد في أهمية الجزيرة وجعلها محط أنظار العالم .

ورغم موقع الجزيرة الإستراتيجي ومركزها الروحي ومخزونها النفطي إلا أن وضعها خلال القرن المعاصر ، وموقعها على الخارطة السياسية–عربيا وإسلاميا ودوليا–لا يتناسب مع إمكانياتها ومكانتها . فكثرة الصراعات التي شهدتها الجزيرة العربية–وجلها بين أبنائها–أضاع الكثير من قدراتها وإمكاناتها . وأثر على استقرارها، حتى أضحى أمنها مرهونا بقوى خارجية وتوازنات دولية .

وإذا ألقينا نظرة على الخارطة السياسية للجزيرة خلال هذا القرن نجد أنه لا يكاد يمر عقد دون أن يدخل عليها تغيير أو يحدث فيها تعديل الى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن .

قبل بداية **العشرينيّات ظهرت " المملكــــة المتوكليّــة "** اليمنيـــــة ، وفـي الثلاثينيّات كتبت " المملكة العربية السعودية ". في بدايــة الســتينيّات محيــت " المملكة المتوكلية " اليمنيّــــة وحــلّ محلّها " الجمهورية العربية اليمنية " وفــي نهايتها-أي الستينيات-ظهــرت " جمهورية " اليــمن " الديمقراطيّة الشعبية " ثـمّ " الإمارات العربية المتحدة ". وفي بداية السبعينيّات تغيّر اسم " ســلطنة مسـقط إلى " سلطنــة عمـــان " . وظلّت الخريطة هكذا .. دولــة متحــــــدة ، ثـــلاث إمـــــارات وسلطنـــة ، جمهــــــــــــوريّتان وممــلكـــــــة . ولـم تمـض الأشهر الأولى من السنة الأولى من العقد الأخير حتّــى محيـت " الجمهوريّــة العربية " اليمنيّة وجمهوريّة اليمـــن " الديمقراطيّـــة الشــعبيّة " وخــطّ علــى الخريطــة " الجمهــــــوريّة اليمنيّــــــة " .

تلك التعديلات لم تمر بهدوء ، بل سبقها أو رافقها أو أعقبــها العديــد مــن الحوادث والأحداث الدامية ، فضلا عن صراع تلك الوحـــدات حــول حدودهــا وأوضاعها الإقليمية .

وإذا كانت دول الجزيرة العربية قد تمكّنت من إنهاء عـــدد مــن مشــاكلها الحدوديّة ، فإنّ الملفّ الحدودي لأكبر وحدتين سياسيّتين فيها لازال يراوح مكانه رغم مضي أكثر من سبعة عقود . فقد فتح الملفّ الحدوديّ بين الدولتين-اليمنيّــة والسعودية-في أوائل العقد الثالث وكانت عسيــر فاتحته ، وهاهو العقد العاشــر على وشك الرّحيل ولم تصل الدولتان بعد إلى خاتمته .

هدف الدراسة

إنّ بحثي لهذا الموضوع لم يكن مقصودا لذاته بل جاء نتيجة لبحث الأسـباب التي حالت وتحول دون انضمام اليمـــن للمنظومــة الإقليميّــة لــدول الجزيــرة

العربيّة(*). لمّا أمعنت النظر تبيّن لي أنّ تدهور العلاقات اليمنيّة-السعوديّة المانع الأساسي من الانضمام ، وعندما بحثت أسباب التّدهور وجدت النّزاع الحدودي على رأسها ، ولمّا تتبّعت النزاع واستقصيت أسبابه وجدت "عسير" في مقدّمتها .

(*) أقصد " مجلس التعاون لدول الخليج العربيّة " .

وأوّل ما نلحظه أن"العربيّة" صفة للدّول وليس للخليج . ويبدوا أنّ واضعي التسميّة تحاشوا وصف الخليج ب" العربي"بسبب الاختلاف حول تسميته ، فالدول العربيّة تطلق عليه "الخليج العربي" ، وإيران تطلق عليه"الخليج الفارسي" ، وتشير إليه المصادر والخرائط التركية ب"خليج البصرة"(بصرة كورفزي) ، وتطلق عليه بعض المصادر الأجنبيّة "The Persian Gulf" . "وحيث إنّ كلّ الدّول المطلّة عليه إسلاميّة فيمكن تسميته " الخليج الإسلامي " .

أما من حيث تسمية المجلس فأعتقد أنها تسمية غير دقيقة للآتي:-

١- إن خريطة المجلس هي خريطة "شبه الجزيرة العربية " مستثنى منها جنوب الجزيرة ، وهو استثناء تحكمي لا يستند إلى حقائق الجغرافيا ووقائع التاريخ . في هذا المعنى راجع : عبد الجليل مرهون : الخليج واليمن ، الخليجيون والمسألة الجزيرية ، المستقبل العربي ، ٢١١ ، ١٩٩٦/٦ .

٢- إذا كان وصف دول الخليج ينطبق على"الإمارات ، قطر ، الكويت ، البحرين"باعتبارها مناطق صغيرة واقعة على ساحل الخليج ، فإنه لا يصدق تماما على"عمان ، السعودية" . فالأولى لها شواطئ ومنافذ على البحر العربي ، أما الثانية فتشكل النسبة الأكبر من مساحة شبه الجزيرة ، ومنافذها الأهم وسواحلها الكبرى تمتد على البحر الأحمر . إنّها والجمهورية اليمنية تتقاسما شاطئ الجزيرة المطل على ذلك البحر .

٣- إن الخليج ممر مائي من ممرات الجزيرة تفرع- مثله في ذلك مثل البحر الأحمر-من المحيط الهندي ، وكل منهما يشكل أهمية حيوية لأمن جزيرتنا وعلاقاتها التجارية والاقتصادية والسياسية مع مختلف دول العالم .

٤- *إن تلك التسمية كادت أن تؤدي -إن لم تكن قد أدت بالفعل-* إلى بعث" قومية جديدة " حتى صرنا نقرأ ونسمع عن" المواطن الخليجي " ، " الشخصية الخليجية " ، " الثقافة الخليجية " بل وجدت دراسات تؤكد أن هناك " شخصية خليجية متميزة " ، ودراسات أخرى تعمل على إثبات أن " الشخصية الخليجية " جزء من " الشخصية العربية " وأن" الخليج العربي " جزء من" الوطن العربي " . يراجع: عبد الخالق عبد الله ، العلاقات العربية-الخليجية ، المستقبل العربي، العدد٢٠٦ /آذار(مارس)١٩٩٦ ص ص٤-٢٤فهل أضحى أبناء الجزيرة-أصل العروبة ومهبط الوحي-بحاجة إلى إثبات عروبتهم .. ؟

ولذلك فإن التسمية الصحيحة والدقيقة للمجلس هي " مجلس التعاون لدول الجزيرة العربية " .

لم أكن أود الخوض في هذا الموضوع لأنه شائك وحساس ، وبعد تـردد ، وإقدام وإحجام عزمت-مستعينا بالله - على أن أدلوا بدلوي في هذا الشأن مـن منطلق إثراء المشكلات العملية بالأبحاث العلمية وبهدف التوصل إلـى الحقـائق بعيدا عن المعلومات الإعلامية والتصريحات السياسية .

وإذا كانت الحدود في جزيرتنا ومنطقتنا العربية قد ارتبطت -إلى حد كبير- بالتقسيم الاستعماري ، حتى أضحى البحث غـير مرغـوب فـي مثـل هـذه الموضوعات فإن المسألة ما انفكت تحتاج إلى تحليل وتأصيل فهنـاك نوعـان مـن الحـدود :-

الأولى : حدود جغرافية :

وهي التي تعين موطن كل قوم وملكهم . وهذه الحدود وجدت منذ أن تكـاثر بنوا آدم وانتشروا على وجه البسيطة وكانت في البداية حدودا شخصية للزراعـة والرعي والسكن ثم تطورت إلى حدود بين القبائل والعشـائر وهكـذا إلـى أن وجدت الدول .

هذه الحدود لم يلغها الإسلام فهناك العديد من النصوص تتحدث عن بلـدان وتصفها فمن الروايات المذكورة عن الجزيرة العربية وأقسامها ما رواه أحمد بـن المعذل يرفعه إلى مالك بن أنس " إن جزيرة العرب المدينـة ومكـة واليمامـة واليمن ". وعن المغيرة بن عبد الرحمن " إن جزيرة العرب مكة والمدينة واليمن وقرياتها " [1] وعن سعيد بن عبد العزيز قال " جزيرة العرب ما بين الوادي إلـى أقصى اليمن إلى تخوم العراق إلى البحر "[2]

---

[1] أبو عبيد البكري : معجم ما استعجم ، تحقيق : مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص٥ مشار إليـه في : عبد الله يوسف الغنيم : أشكال سطح الأرض في شبه الجزيرة العربية ، رسـالة دكتـوراه ، جامعـة القـاهرة ، ١٩٧٦، ص١١

[2] سنن أبي داود ، الجزء الثالث ، دار الحديث ، القاهرة ، ص٦٣ .

ولقد حكمت الدولة الإسلامية-الخلفاء الراشدون ، الدولة الأموية ، الدولة العباسية ، الدولة العثمانية-العديد من بقاع الأرض فلم تلغ معالم البلدان ولم تغير أنساب الأقوام ، بل استخدمت الحدود الجغرافية كحدود إدارية لتمييز ولايات الدولة الإسلامية وتحديد اختصاصات الولاة .

الثانية : حدود سياسية :

وقد وجدت وتطورت بوجود الدول وتطورها ، ووظيفتها ضبط حركة انتقال الأشخاص والسلع بين أقاليم الدول وتحديد الاختصاص المكاني لكل دولة. وهذا النوع عرفته الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول فقد كتب الفقهاء المسلمون عن " الثغور " وأجر المرابطة فيها لحماية بلاد المسلمين ، وفي هذا الإطار عرفت الدولة الإسلامية نوعين من الحدود :

الأولى : حدودا يجوز لرعايا الدول الغير إسلامية اجتيازها ودخول البلاد الإسلامية -سواء للتجارة أو السياحة- بشرط الحصول على إذن مسبق وضع الفقهاء المسلمون قواعده فيما عرف بعقد الأمان – ويمكن تشبيهه بالتأشيرة visa التي تشترطها معظم دول العالم – وبموجبه يصبح الأجنبي مصون النفس والعرض والمال .

الثانية : حدودا لا يجوز لغير المسلمين تجاوزها بأي حال من الأحوال سواء كانوا من رعايا الدولة الإسلامية أو من رعايا غيرها وهي حدود مكة المكرمة بناء على النص القرآني المقدس "..إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا .."[٣] . أما داخل أرجاء الدولة الإسلامية فكان الرعايا يتنقلون-سواء للعمل أو التجارة أو السياحة-من ولاية إلى أخرى ومن قطر إلى آخر دون حواجز . ومن ثم فالحدود السياسية بين الأقطار الإسلامية هي البدعة المستحدثة .

---

[٣] الآية (٢٨) ، سورة التوبة .

وإذا تتبعنا نشأة الحدود السياسية في الجزيرة العربية وتطورها إلى ما هي عليه الآن نجدها مرت بثلاث مراحل :-

المرحلة الأولى : الاستعمار البريطاني :-

سعت بريطانيا في وقت مبكر من القرن التاسع عشر إلى السيطرة على المنطقة ، وكانت معاهدة الصلح العام [٤] General Treaty of Peace التي عقدها أحد جنرالات الإنجليز بين مشايخ الخليج في ١٨٢٠ بداية تثبيت الأقدام الإنجليزية في الجزيرة ، وأعقب ذلك احتلال عدن في ١٨٣٩ .

وما إن بدأ القرن العشرين حتى اكتمل المخطط البريطاني في السيطرة على الخليج والبحر العربي وخليج عدن ومضيق باب المندب . وخلال سيطرتها على المنطقة عملت بريطانيا -أو على الأقل شجعت- على تفريخ وحدات سياسية صغيرة الحجم كثيرة العدد ما بين سلطنة وإمارة ومشيخة ، فقد كان المقيم السياسي البريطاني يمسك بقلمه ويجري به على الخرائط خطوطا ليقول بعدها للمشايخ " هذه هي حدودكم الجديدة " . وقد عمل الإنجليز على تثبيت تلك الحدود وعقد الاتفاقات حولها[٥] والتي لا تزال حتى الآن المرجع عند الاختلاف .

المرحلة الثانية : تقاسم النفوذ بين تركيا وبريطانيا : -

لم يتمكن الإنجليز من التغلغل في المنطقة إلا بعد أن أصاب الدولة العثمانية التدهور والانحطاط والذي بلغ مداه أوائل هذا القرن ، ونتيجة لذلك بدأ الطرفان المباحثات لتقاسم النفوذ وتحديد الحدود بينهما في الجزيرة العربية فيما عرف بالخطين الأزرق والبنفسجي وبناء على ذلك تم تقاسم اليمن بموجب اتفاقية

---

[٤] د/ناجي صادق شراب : مرتكزات السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد٤٩ السنة١٣ يناير١٩٨٧ ، ص ١١٠

[٥] راجع: جون .س. ولينكسون : حدود الجزيرة العربية قصة الدور البريطاني في رسم الحدود عبر الصحراء ، ترجمة : مجدي عبد الكريم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

مارس ١٩١٤ التي اصطنعت خطا للحدود بين ما سمي " محمية عدن البريطانية " و " ولاية اليمن العثمانية " ، وأعد الطرفان مشروع اتفاقية في ١٩١٣ لتحديد بقية الحدود ومنها الحدود النجدية-الكويتية لكن الحرب العظمى الأولى انفجرت قبل التوقيع عليها .

المرحلة الثالثة : وجود الدول المستقلة :-

بدأت هذه المرحلة عقب الانسحاب العثماني في أواخر العقد الثاني وبعد رحيل المستعمر البريطاني خلال النصف الأول من النصف الثاني من هذا القرن ، وقد شهدت الجزيرة خلالها العديد من الصراعات الحدودية أهمها :-

- **النزاع الحجازي-النجدي** : بدأ النزاع إثر انسحاب الدولة العثمانية ، وقد حصلت مواجهات دامية كان أكثرها قسوة ما حدث لأهالي مدينة الطائف في ١٩٢٤ م . وانتهى النزاع بانتهاء المملكة الهاشمية في ١٣٤٤ ه-١٩٢٥م وتم توحيد نجد والحجاز في ظل الحكم السعودي .

- **النزاع السعودي-اليمني** : بدأ النزاع في أوائل العشرينيات وكانت "عسير " محور الصراع ، وقد استمر النزاع الفعلي حولها ما يقرب من عقد ونصف حصل خلاله العديد من المواجهات والأحداث المأساوية كان أكثرها بشاعة حادث الحجاج اليمنيين سنة ١٣٤٠ه-١٩٢٢م . وبلغ النزاع حول " عسير " ذروته في ١٩٣٣م عندما صدر مرسوم ملكي سعودي بضم " عسير " إلى " المملكة العربية السعودية " مما أدى إلى اندلاع حرب شاملة بين الطرفين في ١٩٣٤ م انتهت بإعلان معاهدة صلح . وطوال هذا القرن لم تتوقف الحوادث الحدودية ولم يتمكن الطرفان- حتى لحظة كتابة هذه الأسطر-من التوصل إلى اتفاق ينهي النزاع ويضفي على حدودهما الشرعية القانونية .

- **النزاع اليمني-العماني** : وقع الصدام الأول بين الطرفين عقب رحيل الإنجليز في ١٩٦٧ بسبب " جزر كوريا موريا " وظلت الحدود مسرحا

للاشتباكات المسلحة عدة سنوات خصوصا عندما قدمت " جمهورية اليمن الديمقراطية " الدعم والمساندة للجبهة الشعبية لتحرير عمان . وقد شهدت الحدود هدوءا نسبيا إثر وساطة كويتية-إماراتية حيث تم الاتفاق في ١٩٨٢ على تشكيل لجنة فنية تشارك فيها الكويت والإمارات بغرض التوصل إلى اتفاق حدودي ، ومع أن اللجنة عقدت سلسلة اجتماعات فإن النتيجة لم تتحقق إلا بعد قيام" الجمهورية اليمنية "حيث دخلت المفاوضات اليمنية-العمانية مرحلة اتسمت بالعزيمة والإصرار على إنهاء الملف الحدودي ، وبالرغم من اندلاع أزمة الخليج-الثانية-وما رافقها وأعقبها من انعكاسات سلبية على علاقات اليمن بجيرانه إلا أن الحوار تواصل بين الدولتين وتوج بتوقيع اتفاقية الحدود في صنعاء ١٩٩٢م . وتبدوا أهمية الاتفاق فيما تضمنه من مبادئ أهمها أن تكون الحدود أساسا للتواصل الشعبي والحضاري وليس للتفرقة بين شعبين يصل التشابه بينهما حد التطابق .

واليوم - ونحن في بداية العقد الثالث من القرن الخامس عشر الهجري وعلى عتبة القرن الحادي والعشرين الميلادي - أما آن لجزيرتنا أن تنعم بالهدوء والاستقرار..؟ إن ذلك لن يتأتى إلا إذا اعتصم أبناء الجزيرة بحبل الله وحلوا خلافاتهم سلما ووضعوا نصب أعينهم وصية رسول الله (ص) للمؤمنين وهو يودعهم في حجة الوداع "..إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، ألا هل بلغت..؟ ألا هل بلغت..؟ ألا هل بلغت..؟ اللهم فاشهد "[٦].

---

[٦] راجع خطبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع في : الإمام أبي عبد الله بن محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري ، باب الخطبة في منى .

منهج الدراسة

الدراسة في مجملها وصفية تحليلية تستعرض أسانيد الأطراف تحققها ، تتتبع الحوادث تحللها ، وفي ضوء قواعد القانون الدولي تستنبط أحكامها بالمقارنة والقياس على مثيلاتها . وقد يقال إنه كان ينبغي أن تكون الدراسة في إطار أحكام الشريعة الإسلامية باعتبارها–أي الشريعة–المصدر المهيمن على تشريعات الدولتين وقوانينهما ، ذلك صحيح ، فالمفترض أن تكون الشريعة الإسلامية المرجعية التي ندور في فلكها أفرادا ودولا وجماعات ، بيد أن الدراسة انطلقت من الاعتبارات التالية :-

١–إن كلا من الدولتين–طرفي النزاع–تعول في علاقاتها على أحكام القانون الدولي وترجع عند اختلافها مع غيرها إلى المنظمات الدولية والأمثلة كثيرة نذكر منها–على سبيل المثال–المذكرة التي قدمتها " السعودية "إلى الأمم المتحدة والجامعة العربية بتاريخ ١٠/٢/١٤١٩هـ–٤/٦/١٩٩٨م تتحفظ فيها على اتفاقية الحدود اليمنية–العمانية .

٢–إنه لا توجد مرجعية مقرة من الدول الإسلامية مهمتها إعطاء التكييف الشرعي للوقائع العملية فكل دولة لها مفتيها الذي يتولى إصدار الفتوى وفق ما يتراءى له أنه توفيق بين النصوص الشرعية وظروف وواقع دولته التي ينتمي إليها .

٣–إن القانون الدولي يستقي أحكامه–بصفة أساسيه–من المعاهدات والعرف ، ومعلوم أن الشريعة الإسلامية أقرت المعاهدات ونظمت أحكامها ، وأول اتفاقية عقدتها الدولة الإسلامية مع غيرها هي معاهدة " صلح الحديبية "، كما أن للعرف مكانته في التشريع الإسلامي بالشروط التي ذكرها الفقهاء .

٤–إن العديد من مبادئ القانون الدولي (النظرية) التي أقرها المجتمع الدولي–والتي تسخرها القوى الدولية لتحقيق مآربها– في القرن المعاصر موجودة

ومنصوص عليها في مصادر الشريعة الإسلامية ، فمبدأ حظر استخدام القوة عدا حالة الدفاع الشرعي نجد أساسه في النص القرآني الكريم " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين "[٧].

ومبدأ تحريم إبادة الجنس البشري لم يصل–وأنى له ذلك– إلى مستوى النص القرآني " من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا.."[٨] . ومبدأ تنفيذ التعهدات الدولية بحسن نية سبقه النص القرآني فقال تعالى " يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود.."[٩] .

وإذا كان الإكراه يبطل المعاهدات الدولية ، فإن الشريعة الإسلامية حرمت الإكراه حتى على دين الله " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي.."[١٠]ومن ناحية أخرى اعتبرت الشريعة الإكراه سببا من أسباب الإباحة " من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان.."[١١] .

في ضوء المفاهيم السابقة ستقسم الدراسة على النحو التالي :

الباب التمهيدي : تطور النزاع السعودي اليمني خلال القرن العشرين .

الباب الأول : وضع عسير القانوني .

الباب الثاني : الضم السعودي لعسير .

الباب الثالث : مشروعية الضم .

---

(٧) الآية (١٩٠) ، سورة البقرة .

(٨) الآية (٣٢) ، سورة المائدة .

(٩) الآية (١) ، سورة المائدة .

(١٠) الآية .(٢٥٦) ، سورة البقرة .

(١١) الآية (١٠٦) ،سورة النحل .

الباب التمهيدي

تطور النزاع السعودي اليمني خلال القرن العشرين

إذا تتبعنا مسار العلاقات اليمنية-السعودية خلال هذا القرن- الـذي نعيـش أيامه الأخيرة- نجدها علاقات غير مستقرة ومتوترة في أغلب الأحيـان ، فقـد دخلت الدولتان في مواجهات وصدا مات مسلحة عديدة ابتداء من بدايـة العقـد الثالث ، وسجل التاريخ- خلال العقود المتلاحقة-العديد من الحوادث الدامية بيـن الدولتين .

نحا ول في هذا الباب تسليط الضوء على مسار الـنزاع وأسـبابه بـهدف استشراف المستقبل وتحديد موقع عسـير في هذا النزاع . كمـا سـنعرض لوضع الدولتين خلال فترة النزاع لمعرفة مدى قدرة كل منهما في التأثير علـى الأخرى .

في ضوء ذلك سيبحث الباب-في فصلين متتالين-الموضوعين الآتيين :

- وضع الدولتين خلال مرحلة النزاع .
- جذور النزاع وأسبابه .

الفصل الأول

وضع الدولتين خلال مرحلة النزاع

شهدت الجزيرة العربية خلال القرن العشرين تطورات كبيرة كـــان أهمــها ظهور الدولة السعودية المعاصرة والتي بدت في بداية القرن إمارة صغيرة ثــم أضحت خلال ثلاثة عقود أكبر وأهم وحدة سياسية في جزيرة العرب .

وخلال الفترة ١٩٢١-١٩٣٤م دخلت الدولتان السعودية واليمنية في نــزاع مسلح انتهى لصالح السعودية حيث تمكنت من بسط سلطتها على عسير ونجـران وجيزان .

في مبحثين متتالين نستعرض وضع الدولتين حيث نخصص الأول للدولـــة السعودية والثاني للدولة اليمنية .

المبحث الأول

وضع الدولة لسعودية

تطور الحكم السعودي

خلال حكم الدولة العثمانية للجزيرة العربية كانت تركـــز علـــى أطرافــها الغربية على سواحل البحر الأحمر وعلى أطرافها الشرقية على سواحل الخليــج في الاحساء ولم تمد حكمها إلى داخل نجد [١٢] ، وربما تعليل ذلـــك أن الدولـة العثمانية كان أكثر ما يهمها " الحرمين الشريفين " وحماية حدود البلاد الإسلامية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم تكن هناك فائدة ترجى من وراء السـيطرة على نجد والتي كانت مقسمة بين عدة مشايخ منهم " محمد بن سعود بن مقرن " أمير الدرعية ، وفي تلك الفترة ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب داعيـــا إلـــى

(١٢) د/محمد حسن العيدروس : تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م ، ص١٧٨ .

محاربة الخرافات والشعوذة والعادات السيئة التي كانت قد انتشرت في نجد [13]، وعندما حصل التحالف بينه وبين أمير الدرعية ابن سعود في ١١٥٨هـ ١٧٤٤م اتسعت الإمارة حتى شملت أكثر القطر النجدي ، وشملت الاحساء في أحيان متفرقة . وفي ١٨٠٣م امتد نفوذها إلى الحجاز ، وعندما شعرت الدولة العثمانية بخطر الحركة الوهابية كلفت محمد علي (واليها على مصر) بالقضاء عليها ، والذي تمكن من السيطرة على الحجاز في ١٨١٣م كما هدم الدرعية وأسر آل سعود وقضى على دولتهم في ١٨١٨م . وقد تقدمت بريطانيا بمبادرة لدى والي مصر أدت إلى إطلاق سراح فيصل بن تركي من السجن[14] والعودة إلى نجد حيث تمكن من بناء الإمارة السعودية الثانية في ١٨٤٠م إلا أنها ظلت في مد وجزر ولم تصل إلى ما وصلت إليه الأولى ، وإثر حصول التنازع داخل الأسرة السعودية تمكن ابن الرشيد من السيطرة على نجد وطرد آل سعود في ١٨٨٦م [15]فمضى عبد الرحمن بن سعود بأسرته إلى الكويت

وفي ١٩٠٣م قام عبد العزيز بن سعود بحملة-اختلف في تقدير عددها-إلى الرياض حيث تسللوا تحت جنح الظلام وحاصروا بيت الأمير (ابن رشيد) وقتلوه أثناء خروجه من قلعته لصلاة الفجر في المسجد المجاور مع نفر من حرسه وأعلنوا على مئذنة المسجد رجوع آل سعود إلى حكم الرياض[16].

---

(13) أيمن الياسيني : الدين والدولة في المملكة العربية السعودية ، نقله إلى العربية: كمال اليازجي ، دار الساقي ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٩٠ ، ص ٢٨ .

(14) د/عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : أمراء وغزاة قصة الحدود والسيادة الاقليمية في الخليج(دراسة وثائقية)، ص٢٠.

(15) نجدة فتحي صفوة : الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية(نجد والحجاز) ، المجلد الأول١٩١٤-١٩١٥ ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م ، ص[illegible] .

(16) د/محمد النيرب : العلاقات الأمريكية السعودية ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م ، ص ٣١

وواصل ابن سعود معاركه ضد آل رشيد حتى قضى على إمارتهم نهائيا في ١٩٢١م مستغلا الانقسامات والاغتيالات التي حدثت في البيت الرشيدي[١٧]، وبعد بضع سنوات تمكن من السيطرة على الحجاز وطرد الهاشميين منها .

في الماضي لم يبرز اسم الأسرة (السعودية) سواء خلال الإمارة الأولى أو الثانية وكان الاسم الحركي أو المذهبي هو البارز حيث كانوا يطلقون على أنفسهم" الموحدين " أو" المسلمين " وكان غيرهم يطلق عليهم" الوهابيين " وآخرون وصفوهم ب" الخوارج "..الخ .

وعندما سيطر عبد العزيز على نجد والاحساء وجبل شمر نودي به في ١٩٢١م " سلطانا لنجد وملحقاتها " ولما احتل الحجاز أعلن نفسه في ١٩٢٦م " ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها " ثم صدر مرسوم ملكي في ١٩٣٢م بتغيير الاسم إلى " المملكة العربية السعودية " .

عوامل بناء الدولة السعودية المعاصرة

أولا : الشخصية القيادية :

من يطالع تاريخ الدولة السعودية المعاصرة يتضح له أن مؤسسها عبد العزيز بن سعود تمتع بصفات قيادية فذة مكنته من إيجاد وبناء دولة مترامية الأطراف في فترة تعد قياسية ، وأعتقد أن أهم الصفات التي تميز بها هي:-

- **الشجاعة والإقدام** : فالحملة التي قادها إلى الرياض والتي كانت فاتحة بناء الدولة كانت أشبه ما يكون بمغامرة وتدل على جرأة وجسارة .

---

[١٧] د/فتوح عبد المحسن الخترش : تاريخ العلاقات السعودية اليمنية ١٩٢٦-١٩٣٤م ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، ص٥٨ .

❖ **الكرم والسخاء** : كان لا يتردد في بذل المال ومنح العطايا لرجال القبائل ومن أقواله الشهيرة " هؤلاء البدو لا يعرفون من الدنيا غير شيئين السيف والذهب "[١٨]

❖ **الذكاء الفطري** : فمع أنه لم يدرس في كلية عسكرية ولم يتخرج من معهد أو جامعة فقد كانت له قدرة غير عادية على استغلال الفرص والاستفادة من الظروف وكان دائما يتجنب الدخول في مواجهتين في آن واحد ويعمل على الانفراد بخصومه ، أثناء حروبه مع آل الرشيد كان يراسل الهاشميين ويتودد لهم وأثناء معاركه مع الهاشميين كان يراسل الأئمة ويتلطف معهم ، وقبل الدخول في أي حرب كان يعمل على إيجاد المبررات اللازمة لها فيقنع أتباعه بأنه يكره الحرب ولكنه مضطر للدفاع عن الدين والشرف[١٩].

❖ **إشراك أتباعه في اتخاذ القرار** : فقد عرف عنه[٢٠] أنه كان لا يقدم على حرب أو أمر هام إلا بعد أن يجمع أصحابه للتشاور واتخاذ القرار المناسب،ولا شك أن لهذا الأسلوب أهميته في زيادة التماسك بين القائد والمقود حتى لو كان التشاور عملية شكلية .

❖ **إعداد العدة كاملة قبل خوض المعركة** : فعندما كان يريد الاستيلاء على منطقة ما كان يبث عيونه فيها لمعرفة أحوالها والعمل على كسب موالين من

---

(١٨) وردت في حديثه مع الرحالة الشهير أمين الريحاني مشار إليها في : محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج ص ٦٩

(١٩) كانت هذه العبارة تتردد كثيرا في مراسلات وتصريحات ابن سعود إبان المشكلة مع الإمام يحي راجع: الخترش ، مرجع سابق ، ص١٤٩ وما بعدها .

(٢٠) راجع: أمين الريحاني : ملوك العرب ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٧، ص ٥٢٤ وما بعدها .

أبنائها ثم يحاول تحييدها وعزلها من التبعية لأي سلطة حيث كان يعتقد -كما يذكر فيلبي- ضرورة ترك تلك الأماكن لاستقلالها الفوضوي بعض الشيء إلى أن تدفعها أوضاعها الداخلية الخاصة إلى الوقوع تحت سلطته[٢١]

ثانيا : العامل الديني :-

ذكرنا أن مؤسس الإمارة السعودية الأولى (محمد بن سعود) كان شيخا من مشايخ نجد لم تكن سلطته تتجاوز الدرعية ، ولما حصلت المبايعة -كما يطلقون عليها- بينه وبين الشيخ بن عبد الوهاب وجدت الإمارة وتوسعت .

وقد استفاد مؤسس الدولة السعودية المعاصرة من التجربة السابقة ، فبعد أن سيطر على الرياض وبدأ التوسع في نجد اتضح له أنه بالإمكان تحويل البدو إلى قوة قتالية ضاربة إذا كان ثمة وسيلة لإثارتهم[٢٢]فكانت أفكار الشيخ ابن عبد الوهاب منهجا ، والجهاد في سبيل الله وسيلة ، ولذلك جمعهم وكون منهم ما عرف " بحركة الإخوان " وقام المشايخ بتلقينهم المبادئ التي تشدد على طاعة الله والإذعان للإمام ووجوب محاربة المشركين ، فراحوا يعتقدون أن من سواهم ليس بمسلم فكانوا -كما وصفهم أمين الريحاني- رسل الهول ورسل الموت [٢٣]وبهم استطاع ابن سعود السيطرة على أغلب المناطق .

ويبدوا أن حماس آل سعود لدعوة الشيخ كان مبعثه مد النفوذ وتوسيع رقعة الإمارة ، نستدل على ذلك بالآتي:-

- **خلال الإمارة السعودية الأولى** وأثناء بحثي في تاريخها وجدت رسالتين وجهتا إلى أهل مكة المكرمة : الأولى : مرسلة من الشيخ ابن عبد الوهاب في ١٢٠٤هـ-١٧٩٨م جاء فيها ".. وأنا أخبركم بما نحن عليه..فنحن والحمد لله

---

[٢١] Philly Saudi Arabia . p.321 مشار إليه في الخترش ص ١٥٠.

[٢٢] أيمن الياسيني ، مصدر سابق ص ٥٩ .

[٢٣] أمين الريحاني ، مصدر سابق ص ٥٦٥-٥٦٩ .

متبعون لا مبتدعون ، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل .. فإن كانت المسألة إجماعا فلا كلام ، وإن كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد ، فمن على مذهبه في محل ولايته لا ينكر عليه .. وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم أني على دين الله ورسوله متبع لأهل العلم "[٢٤] .

الثانية : موجهة من الأمير سعود عندما حاصر مكة في ١٨٠١م جاء فيها[٢٥] "من سعود بن عبد العزيز إلى كافة أهل مكة .. السلام على من اتبع الهدى أما بعد .. إنما ندعوكم لدين الله ورسوله " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله .. " [٢٦]

❖ **خلال الدولة السعودية المعاصرة : بعد أن تم لابن سعود السيطرة على نجد والحجاز اتضح له أن " حركة الإخوان "[٢٧] التي أسسها في ١٩١٢م لم تعد سوى عقبة كأداء[٢٨] في طريقه حين بدأ قادتها في ١٩٢٨م يثيرون له المتاعب مع الإنجليز بقيامهم بالإغارة على المناطق الواقعة تحت الاستعمار البريطاني في الخليج والعراق ،** فقام بالقضاء عليها ودمر مقرها-مدينة غطغط-تدميرا تاما[٢٩]. كانت الهجمات والغارات التي يقوم بها الإخوان في نجد والحجاز تعتبر

---

[٢٤] راجع النص في : الشيخ حسين بن غنام : تاريخ نجد ، حرره وحققه ناصر الدين الأسد ، دار الشروق ، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م ص ١٧٤ .

[٢٥] راجع : حسين خلف الشيخ خزعل : تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مطابع دار الكتب ، بيروت ، ١٩٦٨م ، ص ٣٧٧ .

[٢٦] الآية (٦٤) ، سورة آل عمران .

[٢٧] روى الريحاني : أن عبد العزيز بن سعود سؤل: هل ترون من الواجب الديني محاربة المشركين ؟ فأجاب على الفور **لا** ..هذا الحسا عندنا هناك ثلاثين ألفا من الشيعة راجع: ملوك العرب ، مصدر سابق ، ص ٥٨٤ .

[٢٨] سنت جون فيلبي : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (السلفية) ، تعريب : عمر الديسراوي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م ، ص٤٨٨ .

[٢٩] **المرجع** السابق ، ص ٤٨٤ .

جهادا في سبيل الله ورفعة لراية الإسلام وعندما وجهت ضد الإنجليز كانت عملا مذموما استحقوا عليه الإعدام والتصفية .

أما " موقف ابن سعود من العلماء فكان رهنا بأغراضه السياسية فمن جهة كان ينشد دعم العلماء له وتأييدهم الشرعي لحكمه ، لكنه من الجهة الأخرى رفض حقهم التقليدي في تقييم سياسات الحكم وإصدار الأحكام بشأنها "(٣٠) ، وعلى سبيل المثال : أصدر علماء الرياض في ١٩٢٥م فتوى دعوا فيها ابن سعود إلى منع الشيعة في الحساء من الاحتفال بذكرى ولادة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي(كرم الله وجهه) وإلزامهم بالخضوع لدين الله ونبيه ، لكنه رتب على الشيعة بدلا من ذلك ضريبة في مقابل الحماية التي شملهم بها(٣١)

والملاحظ أن الساسة من آل سعود استطاعوا أن يجعلوا من العلماء سندا لهم لتبرير السياسات التي ينتهجونها . فعندما توفي الشيخ ابن عبد الوهاب فإن ابنه عبد الله خدم ثلاثة من الحكام السعوديين ، وفي ١٨١٠م عين سليمان ابن الشيخ عبد الله قاضيا على مكة فأيد الحكم السعودي على المدينتين المقدستين ووصف خصومه بالكفر(٣٢).

وخلال الدولة السعودية المعاصرة نجد فتاوى علمائها تبرر المسلك الذي تسير عليه الدولة أو الموقف الذي تتخذه ، وعلى سبيل المثال : عندما استقدم عبد الناصر خبراء سوفيت صدرت الفتاوى من علماء السعودية مؤكدة " حرمة الاستعانة بالكفار " بينما أكدت الفتاوى أثناء أزمة الخليج أن تواجد القوات الأمريكية والأوربية يعد من قبيل الاستعانة الجائزة .

---

(٣٠) أيمن الياسيني ، مصدر سابق ، ص ٥٨

(٣١) المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

ولا شك أن تأييد ومباركة العلماء للساسة بإيجاد المبرر الشرعي للسلوك السياسي يعتبر عاملا هاما في تماسك الدولة السعودية واستقرارها .

ثالثا : الدعم البريطاني :-

بدأت الصلات الإنجليزية بآل سعود تتوثق من الإمارة السعودية الثانية وبلغت مداها خلال الدولة المعاصرة ، وقد ارتبط الدعم الإنجليزي لآل سعود بالأهداف التي سعت بريطانيا إلى تحقيقها في الجزيرة العربية :-

- خلال القرن التاسع عشر عندما بدأت بريطانيا تثبيت أقدامها على سواحل الجزيرة (الساحل اليمني والخليجي) كان الهدف إلهاء الدولة العثمانية بالمناطق الداخلية من الجزيرة ولذلك عملت-أي بريطانيا-على مساعدة آل سعود كي يستعيدوا حكمهم في نجد ، وقد ذكرنا أن فيصل بن تركي أطلق سراحه وعاد إلى نجد بمبادرة سياسية بريطانية . وتأكيدا لدعمها قامت بريطانيا بمعاقبة شيخ البحرين في ١٨٦١م حين شرع بهجمات على أراض كانت تحت سلطة فيصل[٣٣] .

- في بداية القرن العشرين كانت بريطانيا قد حققت نجاحا باهرا فسيطرتها تمتد من باب المندب إلى الخليج ، إلا أنه حدث ما أزعج الحكومة البريطانية وعكر صفوها وهو مشروع خط السكة الحديد الذي تعتزم الدولة العثمانية إقامته ليربط بينها وبين الجزيرة العربية ، فلا شك أن ذلك سيزيد من قدرة العثمانيين العسكرية في الجزيرة مما سيكون له تأثير سلبي على التفوق البحري البريطاني[٣٤]. ولذلك تحرك البريطانيون في عدة اتجاهات كان منها:-

---

(٣٣) نجدة فتحي **صفوة** ، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ، مصدر سابق ، ص١٥٨ .

(٣٤) يراجع : -Lenore G. The Unstable Gulf : Threats from Within , Lexington Books; , 1984 , P.**15**

١-في ١٨٩٩م عقدت بريطانيا اتفاقية حماية سرية مع شيخ الكويت[٣٥] . ولما كان آل سعود لاجئون في الكويت حينذاك فقد وجد كل طرف بغيته ، الإنجليز يريدون صراعات وقلاقل ومستعدون في سبيل ذلك لتقديم الدعم اللازم ، شيخ الكويت يطمح إلى توسيع رقعة نفوذه ويريد الاستفادة من وجود آل سعود لديه ، وآل سعود يتوقون إلى استعادة حكمهم في نجد بأية وسيلة . وكانت البداية مشجعة ، فالضربة الجريئة التي وجهها عبد العزيز بن سعود إلى آل الرشيد في ١٩٠٢م أدت إلى سقوط الرياض .

٢-في ١٩٠٣م اجتمع اللورد " كيرزون " نائب الملك الإنجليزي في الهند بمشايخ المنطقة وألقى فيهم خطابا مما جاء فيه " إن الحكومة البريطانية قامت خلال المائة سنة الماضية بإنشاء نظام لحفظ السلام العالمي ، وقد وافقتم على أحكامه . ونتيجة لهذا قامت بينكم وبين حكومة الهند علاقات ، وأصبحت بمقتضاه الحكومة البريطانية هي السيد والحامي في بلادكم .. وفي بعض الأحيان أشعر أنكم تتعرضون لخطر النسيان .. لقد كان كل شيء فوضى ، وكنا نحن الذين منحناكم نظاما .. وكان أمن أسركم مهددا ، وكنا نحن الذين منحناكم الحماية .. ولابد أن تدركوا أننا لا ننوي أن نضيع قرنا كاملا مكلفا من النصر والرخاء لأي سبب .. إن أمن هذه المياه سوف تجري المحافظة عليه ، واستقلالكم سوف يضمن طالما بقي نفوذ الحكومة البريطانية فوق أي نفوذ هنا ."[٣٦]

◆ عندما أصبح هدف بريطانيا إنهاء التواجد العثماني في الجزيرة العربية-إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى في صيف ١٩١٤م-فإن الدعم البريطاني

---

[٣٥] راجع: بدر الدين عباس علي الخصوص : التنافس الدولي حول الكويت في الفترة ما بين ١٨٩٩م-[illegible]م ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص ٩-١٧ .

[٣٦] مشار إليه في محمد حسنين هيكل ، مرجع سابق ، ص ٦٨

لآل سعود-والقوى المناوئة للدولة العثمانية-تزايد بصورة كبيرة ، وكانت التقارير عن عبد العزيز بن سعود مشجعة ومنها التقرير الذي قدمه الكابتن William Henry Shakspear في ٨نيسان/أبريل ١٩١١م ومما جاء فيه ".. تحدث عبد العزيز كثيرا عن التاريخ .. وأكد أنه لم يقر بكونه تابعا للسلطان ونظرا إلى أنه وهابي فهو لا يعترف بالسلطان خليفة للمسلمين .. وقد ناشد الإنكليز على أساس العلاقات الطويلة السابقة وبسبب كونهم دائما يرمون إلى السلام والعدل ويمكن الوثوق بهم بأن يحافظوا على عهودهم .. أبدى كل الاستعداد لقبول وكيل سياسي بريطاني .." [37] ، ونتيجة للدعم الذي تلقاه ابن سعود من مال[38] وأسلحة فقد تمكن من الانتصار على آل الرشيد[39] في عدة معارك بل إن أحد الضباط البريطانيين وهو الكابتن شكسبير قد لقي حتفه في إحدى تلك المعارك[40]

- بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أصبحت بريطانيا القوة الدولية الوحيدة المهيمنة على شئون الجزيرة العربية ، ومن ثم أضحى هدفها إعادة تشكيل الخريطة السياسية للجزيرة . وما إن انتهت الحرب وانسحب العثمانيون

---

(37) راجع نص التقرير كاملا في : نجدة فتحي صفوة ، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ، مرجع سابق ، ص١٥٥-ص١٦٤

(38) روى الريحان-في كتابه المشار إليه سابقا- عن عبد العزيز قوله في ١٩٢٢م " يظن الناس أننا نقبض من الإنكليز مبالغ مالية كبيرة ، والحقيقة أنهم لم يدفعوا لنا إلا اليسير مما تستحقه الأعمال الجليلة التي قمنا بها أثناء الحرب وبعدها .. أنا ابن سعود صديق الإنكليز .. " ص٥٤٢

(39) ورد في برقية من وزير الهند-لندن إلى نائب الملك في الهند بتاريخ ٣٠حزيران/يونيو ١٩١٦م "ابن الرشيد .. أليس من الممكن إما التوفيق بينه وبين ابن سعود وبذلك فصله عن الأتراك أو تأليب ابن سعود عليه ؟"راجع : نجدة فتحي صفوة ، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ، المجلد الثاني ، ص ٧٢٥ .

(40) في رسالة بعث بها عبد العزيز إلى المقيم السياسي في الخليج في ١٩ربيع أول١٣٣٣هـ-٤فبراير١٩١٥م جاء فيها ".. سبق إبلاغكم بإعلاننا الحرب على ابن رشيد .. وقد قاتلنا ضده .. وجرت معركة عظيمة وقد ذبحوا واندحروا ، ولكن مما يبعث على الأسف أن صديقنا الكريم وساعيا عزيزا للخير وهو الكابتن شكسبير قد أصيب .. فقضى نحبه وإنني أقدم لكم تعازي بموته .. " راجع : نجدة فتحي صفوة ، الوثائق ، المجلد الأول ، ص٤٠٦ .

حتى بدأ نزاع شديد بين الهاشميين وآل سعود وكل منهما وقف -أثناء الحرب- إلى جانب بريطانيا وحظي بدعمها .

الموقف البريطاني من النزاع بين ابن سعود والشريف حسين

" كان تقدير الإنجليز للشريف مختلفا عن تقديرهم لابن سعود "[٤١]فبينما كان اتصال الأول بهم عن طريق وزارة الخارجية في لندن رأسا فإن اتصال الأخير كان يتم عن طريق المقيم السياسي في الخليج والذي يتبع-بدوره-حكومة الهند ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن مملكة الحجاز كان معترفا بها كدولة مستقلة وكانت عضوا في عصبة الأمم ، بينما كانت سلطنة نجد-آنذاك- محمية بريطانية[٤٢] بموجب معاهدة القطيف التي تم توقيعها بين ابن سعود والمقيم السياسي البريطاني في الخليج Sir Pircy Cox بتاريخ ١٨صفر١٤٣٤هـ-٢٦ديسمبر١٩١٥م . ومن الناحية النظرية والقانونية فإن النزاع بين ابن سعود والحسين يعد نزاعا بين الدولة البريطانية والدولة الحجازية ، ولذا كان بإمكان بريطانيا إيقاف النزاع بين الطرفين ، وهو ما حدث بالفعل بعد الهجوم الذي شنه ابن سعود في ١٩١٩م فقد وجهت إليه إنذارا بتاريخ ٤يونيه ١٩١٩م وحذرته من التقدم في الأراضي الحجازية فما كان منه إلا أن أمر قواته بالرجوع إلى الرياض[٤٣] .

تغير الموقف البريطاني

بالرجوع إلى الوثائق الإنجليزية من معاهدات ومراسلات يتضح أن مواقف ابن سعود كانت مطمئنة للبريطانيين ، وهو ما تؤكده الوقائع الآتية :-

---

(٤١) الخترش ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .

(٤٢) راجع : صفوة ، الوثائق البريطانية ، مصدر سابق ، ٢٧،٢٦ .

(٤٣) راجع: الخترش ، مرجع سابق ، ص٥٩ ، ٦٠ .

- بعد أن سيطر على الرياض وبدأ توسعه في نجد بذل مساعي غير عادية لتوثيق صلاته ببريطانيا[٤٤] ، فكان لا ينقطع عن مراسلة قنصلها في بوشهر ومعتمدها في البحرين ، وكانت بريطانيا آنذاك من جهة تقدم له الأسلحة[٤٥] ومن جهة تنصحه بالتفاهم مع العثمانيين لسببين : أولهما : أن هدف بريطانيا في تلك الفترة كان يقتصر -كما هو مذكور فيما سبق- على مضايقة الدولة العثمانية والتقليل من قدراتها بشغلها بعدد من الصراعات ، وثانيهما : أن بريطانيا كانت تخوض- في تلك الفترة- مفاوضات مع الدولة العثمانية من أجل تحديد مناطق النفوذ بينهما ، وبالتالي كانت تريد إثبات حسن نيتها للعثمانيين في أنها لا تتدخل في المناطق الداخلية من الجزيرة وأنها حصرت اهتمامها في السواحل لتأمين الطريق إلى الهند ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن المناطق التي كان ابن سعود يسيطر عليها آنذاك كان مقررا لها أن تكون تحت السيادة العثمانية ولذلك عندما أرسل ابن سعود إلى الإنجليز [٤٦] في ١٩١٤/٤/٢م يخبرهم بوصول مندوب عثماني لمفاوضته جاء الرد البريطاني برقيا في١٩١٤/٤/٢٥م "..أنه لا مانع لديها من أن يفاوض الأتراك مباشرة ولا مانع من أن يعرض شيخ الكويت مساعداته مع الشروط التي تتطلبها بريطانيا "[٤٧]

- عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى وأصبح الهدف البريطاني إنهاء التواجد العثماني في الجزيرة سارع ابن سعود إلى نقض عهده مع العثمانيين

---

[٤٤] راجع: صفوة ، الوثائق البريطانية ، ص ٢٠ .

[٤٥] على سبيل المثال : أرسل المعتمد في البحرين إلى المقيم السياسي في الخليج في ١٩١٣م يبلغه طلب ابن سعود "٤٠٠٠"بندقية مع مجموعة من الطلقات . راجع : صفوة ، الوثائق ، ص٢٠٧ .

[٤٦] راجع: صفوة ، الوثائق البريطانية ، مصدر سابق ، ص [illegible] .

[٤٧] المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

فأعلن في ٩محرم ١٣٣٣هـ-٢٨نوفمبر ١٩١٤م تأييده لبريطانيا ، فقد جاء في إحدى رسائله "..إنني واحد من أكبر أعوان بريطانيا العظمى وإنها ستحصل بعون الله على نتائج مرضية .."[٤٨] ، كما وافق على الدخول تحت الحماية البريطانية ، وتعهد بالامتناع عن الدخول في أية مراسلة أو اتفاق أو معاهدة مع أية أمة أو دولة أجنبية ، وتعهد بأن يمتنع عن أي تدخل في المستعمرات البريطانية ، والتزم عن نفسه وورثته بأن لا يختاروا لخلافتهم في الحكم شخصا معاديا للحكومة البريطانية [٤٩].

وتعبيرا عن سروره بتلك المعاهدة أرسل ابن سعود إلى الحاكم البريطاني في الهند في ٦ ذو الحجة ١٣٣٣هـ-١٦ أكتوبر ١٩١٥ رسالة مطولة مما جاء فيها ".. إن سعادتكم تعرفون أن مصالحي مرتبطة مع مصالح صديقتي الحكومة البريطانية ضد جميع الدول المحاربة عموما وضد تركية وحلفاءها خصوصا لأنهم أعداؤنا ، إن العرب غيري قد تكون لهم بعض الحجج لاتخاذ موقف مختلف ولكنني لا أمل لي إلا في الله وفيكم لأنكم مخلصون وصادقون"[٥٠]

- عندما انتهت الحرب العالمية وانتهى الوجود العثماني أصبحت الفرصة مواتية لابن سعود لتوسيع رقعة حكمه على حساب آل الرشيد والهاشميين والأئمة ، إلا أن مشروعه ارتبط بمواقف بريطانيا وموافقتها :-

---

[٤٨] راجع نص الرسالة كاملا في المصدر السابق ، ص٣٨٣ .

[٤٩] ضمن نصوص المعاهدة التي تم توقيعها في جزيرة دارين المقابلة للقطيف بين عبد العزيز بن سعود وبين المقيم البريطاني في الخليج Sir Pircy Cox بتاريخ ١٨صفر١٣٣٤هـ-٢٦ديسمبر١٩١٥م . في المراسلات التي سبقت توقيع المعاهدة راجع : صفوة ، الوثائق البريطانية ، ص ٣٨٤ وما بعدها . راجع نصوص المعاهدة في : حافظ وهبة (سفير المملكة العربية السعودية بلندن) : جزيرة العرب في القرن العشرين ، الطبعة الثالثة ، ص٣١٨-٣١٩ .

[٥٠] راجع النص كاملا في المصدر السابق ، المجلد الثاني ص٧٢٥-٧٢٧ .

- **بالنسبة لآل الرشيد** : لم يجد كثير عناء في الإجهاز على ما تبقى من إمارتهم فالإنجليز غير راضين عنهم بسبب موالاتهم للعثمانيين إبان الحرب ، كما أن صراعهم فيما بينهم ساعد ابن سعود في القضاء عليهم.

- **بالنسبة لأشراف الحجاز** : لما كان الشريف لا يزال مقبولا من الإنجليز التزم عبد العزيز الهدوء ، وقد أشرنا فيما سبق أنه أمر قواته بالعودة إلى الرياض بعد التحذير الذي وجهه الإنجليز في ١٩١٩م رغم أن قواته كانت قد حققت انتصارا ملحوظا وسيطرت على عدد من المناطق[٥١]

- **بالنسبة للأئمة في اليمن** : عندما كان الإنجليز يريدون زيادة الضغوط عليهم لإقرار الحدود التي رسمت بين محمية عدن البريطانية وولاية اليمن العثمانية ، فإن النزاع بين ابن سعود وبينهم كان شديدا ومتواصلا ، ولما رضي الأئمة بالأمر ووقعوا مع الإنجليز معاهدة ١٩٣٤م توقف النزاع بينهم وبين ابن سعود بإعلان معاهدة الطائف ١٩٣٤م .

وهكذا نجد أن عبد العزيز بن سعود كان ضمن الأدوات التي استخدمتها بريطانيا لتحقيق أهدافها في الجزيرة العربية ، فقد كان من ضمن أدواتها في إثارة قلاقل تشغل بها الدولة العثمانية ، وكان ضمن أدواتها في إنهاء الوجود العثماني ، وفي إعادة تشكيل الخريطة السياسية للجزيرة العربية . بينما كان الدعم البريطاني وسيلة ابن سعود لبلوغ أحلامه ، بمالها تمكن من إعداد وتجهيز حملاته ، وبأسلحتها استطاع محاربة خصومه ومنافسيه . فلا غرو إذن أن يكون بين الطرفين روابط متينة وعلاقات حميمة .

رغم أن الشريف حسين أعلن الثورة العربية ضد الوجود العثماني بتحريض من الإنجليز وكانت تربطه بهم علاقة وثيقة إلا أن تصرفاته بعد الانسحاب العثماني كانت تثير قلقهم ، ويمكن الإشارة إلى ما يلي :-

---

(٥١) راجع : الخترش ، ص٥٩ .

- بعد أن تم إخراج معظم العثمانيين من الحجاز أعلن الشريف حسين نفسه في أكتوبر ١٩١٦م " ملكا للبلاد العربية " وكان ذلك قبل انتهاء الحرب مما أغضب الإنجليز فقد بعث– Sir Arthur Henry Mac Mahon في ٣١أكتوبر ١٩١٦ ببرقية إلى الخارجية البريطانية جاء فيها " عمل الشريف يظهر أنه طائش وسابق لأوانه "[٥٢].
- بعد انتهاء الحرب العالمية يقال أنه لعب دورا ما في المدافعة عن الحقوق العربية في مؤتمرات السلام فيما يتعلق بتحديد مناطق الانتداب[٥٣]، كما أدار أذنا صماء إلى جهود لورنس الذي حاول إقناعه بإقرار السياسة البريطانية في فلسطين[٥٤].
- عندما قرر مصطفى كمال خلع السلطان عبد الحميد وإلغاء منصب الخلافة التاريخي سارع الشريف حسين فأعلن نفسه خليفة للمسلمين[٥٥] .

هذه المواقف جعلت بريطانيا تتخلى عن الحسين وتدعم ابن سعود والذي تمكن من خلال قوات الإخوان من توجيه ضربة قاضية إلى الشريف أخرجته من الحجاز ، وقامت بارجة حربية بريطانية بنقله إلى قبرص ، وقبل وفاته سمحت له الحكومة الإنجليزية–بناء على طلبه–أن يقضي بقية عمره في عمّان لدى ابنه عبد الله أمير شرق الأردن[٥٦].

رابعا : الثروة النفطية :–

كانت موارد ابن سعود–قبل ظهور البترول– شحيحة ، تعتمد على ضريبة الحج

---

(٥٢) راجع : صفوة ، الوثائق البريطانية ، المجلد الثاني ، ص٥٥٩ .

(٥٣) –The Middle East and North Africa , Europa Publication Lim , Thirty Sixth Edition , 1990 , P. 722

(٥٤) سنت جون فيلي ، مرجع سابق ، ص٤٤٦ .

(٥٥) المرجع السابق ، ص ٤٤٨ ، The Middle East , Op.Cit ,p.722

(٥٦) الخترش ، ص ٦٣ .

(بعد السيطرة على الحجاز) ، وعلى المعونة الإنجليزية(*)، وعلى الغنائم التي كان يحصل عليها من المعارك ، وهي موارد موسمية وغير ثابتة ، فالمعونة البريطانية يمكن أن تقطع في أي وقت ، أما الغنائم فلم يعد هناك أمل في الحصول على المزيد منها إلا من جهة واحدة هي جهة المناطق اليمنية الواقعة ضمن نفوذ الأئمة ، فكل المناطق الأخرى واقعة تحت الحماية البريطانية ، ويقال أن قلة الموارد السعودية آنذاك كان من أسباب اندلاع الحرب السعودية- اليمنية الشاملة في ١٩٣٤م ويستدل البعض على ذلك بالمبلغ الذي فرضه ابن سعود على الإمام يحي مقابل الصلح(٥٧)

وقد كان من حسن حظ ابن سعود أن الشركات الأجنبية كانت قد بدأت في التوافد على المنطقة بحثا عن النفط فسارع إلى عقد الاتفاقات ، ومنح الامتيازات ، ولم يدخل العقد الخامس إلا وقد بدأ إنتاج وتصدير النفط السعودي(*) .

(*)فقد كان يتقاضى مبلغ خمسة آلاف جنيه من الذهب سنويا راجع : هيكل . ص٦٩ ، الريحاني .ص٥٤٢ ، ويذكر فيلبي أن المعونة التي تقررت لابن سعود منذ توقيع معاهدة القطيف كانت خمسة آلاف جنيه شهريا بالإضافة إلى الأسلحة والذخائر ، المرجع السابق ، ص٤٢٩ .

(٥٧) فيلبي . مرجع سابق ، ص٤٩٩-٥٠٤ .

(*)تم اكتشاف النفط على مستوى الجزيرة العربية وفق التسلسل الزمني الآتي:-

البحرين : ١٩٣٢م

السعودية : ١٩٣٨م

الكويت : ١٩٣٨م

قطر : ١٩٤٠م

الإمارات : ١٩٥٨م

عمان : ١٩٦٣م

اليمن : ١٩٨٤م

راجع : د/محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب ، مؤسسة سجل العرب ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م ، .

The Middle East , Op. Cit . P. 919

وبمرور الوقت تزايدت معدلات الإنتاج حتى أصبحت السعودية أكبر دولة في تصدير البترول .

وإذا كانت العوامل السابقة قد أدت إلى ظهور الدولة السعودية المعاصرة فإن ظهور البترول أدى إلى استمرارها واستقرارها فقد مكن آل سعود من :-

١- **تحقيق الاستقرار الداخلي :** من خلال بناء أجهزة الدولة وهياكلها التنظيمية ، وتحسين مستوى معيشة الأفراد ، فقد أضحت السعودية بفضل الموارد الهائلة التي يدرها البترول من أكبر دول العالم في مستويات دخول أفرادها ولذلك فإنها كانت طوال هذا القرن من أقل دول المنطقة تعرضا للأزمات والمشاكل الداخلية .

٢- **إيجاد دور للسعودية على المستوى الدولي :** فالثروة الضخمة التي تحققت من البترول مكنتها من المساهمة بسخاء في ميزانيات المنظمات الدولية ابتداء بجامعة الدول العربية وانتهاء بالأمم المتحدة ، ومن تقديم المساعدات والهبات للدول والجماعات .

تلك أهم العوامل التي أدت إلى وجود الدولة السعودية المعاصرة ، وساهمت في تحقيق استقرارها، ومكنتها من بلوغ أهدافها . فماذا عن الدولة اليمنية ؟

المبحث الثاني

وضع الدولة اليمنية

طوال هذا القرن لم تستقر الدولة اليمنية على حال ، فقد شهدت العديد من التطورات والتغيرات ابتداء بالانسحاب العثماني في نوفمبر ١٩١٨م ومرورا برحيل المستعمر البريطاني في نوفمبر ١٩٦٧م ، وانتهاء بإعادة تحقيق الوحدة اليمنية في نوفمبر١٩٨٩ م . وحيث إن هذه التطورات لا تتصل مباشرة بموضوع البحث فإننا سنركز على التحديات التي واجهتها الدولة اليمنية أثناء النزاع حول عسير ، ونعرج على أسباب التفكك وعوامل عدم الاستقرار :

التحديات التي واجهت الدولة اليمنية أثناء النزاع حول عسير

واجهت الدولة اليمنية أثناء نزاعها مع السعودية العديد من التحديات كان أهمها النزاع مع بريطانيا ، وتفكك الوضع الداخلي . ولتأثير تلك التحديات على النزاع حول عسير سنتناولها بشيء من التفصيل :

أولا : الاستعمار البريطاني :-

أشرنا سابقا إلى أن الإنجليز عملوا بعد الحرب العالمية الأولى على إعادة تشكيل خريطة الجزيرة العربية على النحو الذي يكفل مصالحهم ويضمن بقاء نفوذهم ، ولم يكن الإنجليز راضين عن الإمام يحي لسببين :

أولهما : التزامه بمعاهدة صلح دعان الذي أبرم عام ١٩١١م بينه وبين الدولة العثمانية ورفضه للعروض والمحاولات البريطانية -إبان الحرب العالمية- للوقوف إلى جانبها لمحاربة العثمانيين(٥٨) .

---

(٥٨) جاء في تقرير بريطاني مؤرخ ٢٩حزيران/ يونيو ١٩١٦م " الإمام .. شخص لا يمكن الاعتماد عليه مطلقا وأي فكرة ترمي إلى كسب تعاونه هي فكرة غير عملية نهر مع الأتراك قلبا وقالبا .. " راجع : صفوة ، الوثائق البريطانية ، المجلد الثاني ص٥١٨،٥١٩ .

وثانيهما : مطالبته لبريطانيا بتسليمه المناطق اليمنية التي تحتلها ، ولم يقتصر على المطالبة السلمية ، بل إنه دخل ميدان العراك والقتال ، فقد اخترقت قواته حدود المحميات خلال الأعوام ١٩١٩م ،١٩٢٤، ١٩٢٦، ١٩٢٨م[٥٩] . وقد استخدم الإنجليز لمواجهته والضغط عليه عدة أساليب :-

أسلوب الترغيب :

حيث يقال أنهم عرضوا عليه الاعتراف بسيادته على لحج وحضرموت مقابل عدم التعامل مع أية قوة أجنبية أخرى والاعتراف بالسيادة البريطانية على عدن بالذات [٦٠] ، إلا أن الإمام رفض العرض مطالبا بسيادته على كافة المناطق اليمنية .

أسلوب المساومة :

فقد سارعوا عقب الحرب مباشرة إلى احتلال ميناء الحديدة ، ولما احتج الإمام على ذلك أخبروه بأنهم دخلوا الحديدة لحفظ النظام فيها وسوف يسلمونها إليه بعد استتباب الأمن بها[٦١] ، وأرادوا مساومته على ذلك فأرسلوا إليه بعثة برئاسة الكولونيل Jacob في ١٩١٩م ، ولما فشلت المهمة[٦٢] قاموا بتسليم الحديدة

---

(٥٩) راجع د/ عمر عبد الله بامحسون : التطور السياسي والدستوري في اليمن الديمقراطية ١٩٣٧-١٩٦٧م ، مكتبة مصر ، ١٩٩١، ص٣٩ .

(٦٠) خالد محمد القاسمي : الوحدة اليمنية حاضرا ومستقبلا ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، ص ٣٥.

(٦١) الخترش ، ص٢٥.

(٦٢) قامت إحدى القبائل باختطاف البعثة واحتجزتها لمدة أربعة أشهر ، وكان الكولونيل Jacob آنذاك نائب المقيم السياسي في عدن راجع : -Reilly B. Aden and the Yemen, London, 1960, p. 17
كان الجنرال ستيوارت المقيم البريطاني في عدن وجاكوب يعتقدان أن الإمام يحيى يمكن ترويضه بسهولة اعتمادا على الحافز المالي . فقد كتب المقيم البريطاني في عدن " بالإمكان حمل الإدريسي ويحيى على تنفيذ كل رغباتنا إذا سمعا رنين نقودنا " راجع : عزيز محمودا بيرد يف : الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن ، ترجمة : خيري الضامن ، دار التقدم ، موسكو ١٩٩٠ ، ص٦٩ .

بصورة شكلية إلى الإدريسي[*] فوجه الإمام قواته مباشرة إلى المحميات وسيطر على عدد من المناطق فيها ، وكان لذلك أثره في الدوائر السياسية في لندن[٦٣] ، فأرادوا مساومته على أن يتخلى عن المحميات ويتخلوا هم عن الإدريسي ، ولذلك تم إبلاغ الإمام بواسطة المقيم السياسي في عدن أن بريطانيا لن تتدخل في النزاع بينه وبين الإدريسي ، وبأنها تعتبر هذا الأمر شأنا داخليا[٦٤]. ولما أوشكت المشكلة الإدريسية على الانتهاء ، أرسل الإنجليز إليه وفدا في ١٩٢٦م ، إلا أن المهمة فشلت لرفض الإمام الاعتراف بشرعية الحدود التركية-البريطانية في اليمن[٦٥]

أسلوب الدسائس :

استفاد الإنجليز من الوضع الداخلي ، والمشاكل التي واجهتها الدولة اليمنية فعملوا على عرقلة جهودها الهادفة إلى إنهاء مشاكلها الداخلية من خلال :-

١-**دعم الإدريسي وتقويته ضد الإمام** : كان الإنجليز قد أعلنوا-خلال فترة مساومتهم مع الإمام-عن التزامهم بعدم التدخل في شئونه الداخلية وعندما أوشكت المشكلة الإدريسية على الإنتهاء لم يرق لهم ذلك لسببين : **الأول** : إن انتهائها سيؤدي إلى استقرار الوضع الداخلي وسيمكن الدولة اليمنية من تشكيل تهديد حقيقي لقواتهم في عدن خصوصا وأن وفدهم الذي أرسلوه إلى صنعاء في ١٩٢٦م لم يتمكن من إقناع الإمام-كما ذكرنا سابقا-بالاعتراف بشرعية وجودهم في عدن والمحميات . **الثاني** : قلقها من محاولة الإمام السيطرة على جزر كمران وفرسان ، التي كانت البحرية البريطانية تعتبرها ذات أهمية قصوى

---

[*] راجع : هامش (٤٣٨) .

[٦٣] الخترش ، ص٢٦ .

[٦٤] المرجع السابق ، ص٨٢ .

[٦٥] راجع : جون . س . ولينكسون ، مرجع سابق ، **ص٢٠٢** . راجع أيضا : عزيز **خودا** بيرد يسف ، المرجع السابق ، ص١٠١-١٠٧ .

كقواعد بحرية ، فضلا عن صلاحيتها كقواعد جوية ، وفي هذا الصدد أكد مسئول بريطاني في ١٩٢٦/٩/٢٦م " أن بلاده لن تسمح بتبعية جزر فرسان وكمران لحاكم عربي معاد لها أو لسياستها في المنطقة " وصرح آخر " بأن بريطانيا قد تجد نفسها ملزمة باتخاذ إجراءات نشطة ضد الإمام يحيي إذا ما حاول القيام بالمزيد من الاعتداءات على محمية عدن أو احتلال جزر كمران وفرسان "[٦٦]. ولإطالة أمد المشكلة الإدريسية تحركوا في اتجاهين : الأول : وجهوا مؤسساتهم التجارية في جزر فارسان بتزويد الأدريسي بالأسلحة والذخيرة[٦٧] الثاني : استفادوا من طموحات ابن سعود فأوعزوا إليه بالتدخل في النزاع بين الإمام و الأدريسي . وبالفعل أعلن بن سعود في ١٩٢٦م حمايته للإدريسي بصورة مفاجئة[٦٨] أثارت الدهشة والاستغراب . ولأن ما حدث كان ضمن وسائل الضغط التي مارسها الإنجليز ضد الدولة اليمنية كي تتخلى عن مناطقها المحتلة ، فقد أكد أحد المسئولين البريطانيين –عقب إعلان ابن سعود حمايته للأدريسي– أن علاقة بلاده " مع الملك ابن سعود ودية جدا .. وأن الحكومة البريطانية لا تستطيع التنبؤ بمسلك ابن سعود في السياسة العربية .. وأنها لا تملك التأثير عليه "[٦٩]

٢–**تشجيع التمرد القبلي** :– بذل الإنجليز المال وقدموا السلاح لمن يثير مشكلة أو يقود تمردا ، وإذا ما أخفق لا يترددون في استقباله وحمايته . إنه نفس الأسلوب الذي سارت عليه بريطانيا في سياستها عموما وفي الجزيرة العربية خصوصا "

---

[٦٦] وثيقة رقم FO. 406\58(6916\2660\91)NO. 69 من السير أوستن تشمبرلين إلى السير جلبرت كلايتون ، وزارة الخارجية ، لندن في ٢٦ديسمبر١٩٢٦م ، مشار إليه في الخترش ، ص٥٢ .

[٦٧] الخترش ، ص٢٠١ ويشير إلى : Prepared in the Colonial Office on the Subject of British interests in Arabia (P.R.O)

[٦٨] راجع : الخترش ، ص٩٢ .

[٦٩] من السير أوستن تشمبرلين إلى السير جلبرت كلايتون ، وزارة الخارجية ، لندن ٢٦ديسمبر١٩٢٦م .

فأفسدت بأموالها الأمراء وأهلكت بسلاحها القبائل والعشائر "(*). ويكفي أن نشير في هذا الصدد إلى تمرد إحدى القبائل اليمنية(٧٠) في ١٩٢٩م والذي تزامن مع القصف الإنجليزي لعدة مراكز يمنية ، ولم يكن ذلك التوافق صدفة فقد قام شيخ القبيلة بتقديم احتجاج إلى عصبة الأمم ، وطالبها بمساعدته لمنع الإمام من احتلال أراضيه !! . ولما قضي على التمرد فر ذلك الشيخ والتجأ إلى أصدقائه الإنجليز في جزيرة كمران !!.

أسلوب الترهيب :

لم يكتف الإنجليز بالأساليب السابقة بل إن طائراتهم قصفت العديد من المدن اليمنية مرات متعددة خصوصا في الأعوام ١٩٢٧،١٩٢٩،١٩٣٤م . ويروي أحد الرحالة(٧١) أن القصف أحدث أضرارا بالغة وأصاب الأهالي بذعر شديد ، وتوقفت حركة التجارة وقل الأخذ والعطاء . وهاهو أحد المسئولين البريطانيين الذين عملوا في عدن-في فترة الاحتلال- يتفاخر بأن القصف الجوي أدى بدرجة كبيرة إلى تثبيت احترام بريطانيا العظمى في عقلية الإمام(٧٢) .

(*) العبارة مقتبسة من الريحاني ، المصدر السابق ، ص٣٥٤

(٧٠) لمزيد من الاطلاع حول تلك المشكلة راجع : نزيه مؤيد العظم ، رحلة في البلاد العربية السعيدة ، ص٦٦-٦٩ . وقد زار اليمن في الأعوام ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٥م . ومما قاله " لاحظت في رحلاتي المتعددة في داخل اليمن وخارجه أن أنظار بعض الدول الاستعمارية متجهة نحو هذا القطر السعيد أولا لمركزه الجغرافي الحاكم على البحر الأحمر ، وثانيا لثرواته الزراعية والصناعية " ، ومما يؤكد قول هذا الرحالة التقرير السري الذي بعثه المقيم البريطاني في عدن إلى وزارة المستعمرات والذي جاء فيه " بودنا لو تطورت المؤسسات الإنتاجية البريطانية في اليمن . والبلد مدروس في بعض مناطقه فقط ، ولكنني واثق من أن فيه إمكانيات كبيرة ، ولا نجد أن يمتلك الأجانب هذه الثروة التي من شأنها أن تساعد على ازدهار إمبراطوريتنا "راجع : عزيز خودا بيرد يسف ، المرجع السابق ، ص٧١ .

(٧١) المصدر السابق ، ص١٠٥،٢٩٦ وقد ذكر أن عدد القتلى والجرحى بلغ في مدينة تعز وحدها حوالي ٣٠٠معظمهم من النساء والأطفال .

(٧٢) In my own view such action would have had the great advantage of establishing in the mind of the Imam a respect for Great Britain..'
Hickinbotham T. Aden, London . 1958, P. 67

أدت العوامل السابقة إلى أن يوقع الإمام مع الإنجليز معاهدة صنعاء في ١٩٣٤م والتي عرفت باتفاقية الوضع الراهن STATUS QUO حيث نصت على تأجيل البت في مسألة الحدود اليمنية إلى أن تجري مفاوضات بين الطرفين قبل انتهاء مدة المعاهدة والتي حددت بأربعين سنة ، ومع أن المعاهدة أدت إلى وقف الصراع المسلح المباشر إلا أن النزاع استمر سياسيا ودبلوماسيا حيث واصلت الدولة اليمنية مطالبتها لبريطانيا بالانسحاب من أراضيها . يقول أحد المسئولين البريطانيين "إن الأئمة كانوا دائما ينظرون إلينا كمتطفلين، ولم يتوقفوا عن الكفاح لمد سلطتهم إلى المحميات إلا لفترة قصيرة بعد توقيع معاهدة صنعاء "[٧٣] .

ثانيا : الصراع الداخلي :

شهدت اليمن بعد الانسحاب العثماني تنافسا شديدا بين القوى المحلية الطامحة في الحكم استمر -فضلا عن الصراعات القبلية- عدة سنوات .

القوى المتنافسة والعلاقة بينها

١-**الأئمة** : يعود تاريخهم السياسي إلى عام ٢٨٨هـ-٩٠١م عندما قام الإمام يحي بن الحسين في مدينة صعدة بجمع مناصريه " وتغلب على صنعاء ونجران"[٧٤]وقد ظل نفوذهم محدودا ومتذبذبا يتسع تارة ويضيق أخرى ، ولم يظهروا كقوة سياسية مؤثرة على مستوى اليمن إلا بعد الفتح العثماني الأول

---

(٧٣) The Imams of the Yemen have always looked upon us as interlopers in South-West Arabia… and have never ceased to strive to extend their authority into the protectorate, - except possibly for a short period after the conclusion of the Treaty of Sana'
Hickinbotham , OP.Cit, P.66

(٧٤) نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي اليمني : تاريخ اليمن ، تحقيق : د/حسن سليمان محمود بالإضافة إلى مقدمة وتعليقات الناشر الأول (كاي) ، دار الثناء للطباعة ، ص ١٥٩ .

لليمن عام ٩٤٥ ﻫ-١٥١٧م ، وبعد الانسحاب العثماني عام ١٦٣٥م تمكنوا من حكم اليمن بأكملها[٧٥] ، وظل الحال كذلك حتى استعمر الإنجليز عدن في ١٨٣٩م ، وحصل الفتح العثماني الثاني خلال الفترة ١٨٤٠-١٨٧٢م . وكما حدث خلال الفتح الثماني الأول فقد اندلعت المعارك بين الأئمة والعثمانيين ولم تتوقف إلا في عام ١٩١١م بتوقيع اتفاقية دعان التي منحت الإمام يحي بعض الصلاحيات .

٢-آل عائض[*]:-

برزوا كقوة سياسية منذ أن بدأ عائض بن مرعي يشن هجمات ناجحة ضد الجنود العثمانيين،وقد اكتسب شهرة ومكانة بين القبائل اليمنية لسببين :

أولا : كان يراسل العلماء ومشايخ القبائل يحثهم على الوقوف معه مؤكدا لهم أن الهجمات التي يقوم بها أمر مشروع قائلا " نحن نقاتلهم للدفاع عن أرضنا وليس معنى ذلك أننا خرجنا عن الخلافة.."[٧٦]

ثانيا : إن ظهوره كان في فترة تنازع فيها الأئمة وقاتل بعضهم بعضا وهو ما أدى إلى دخول القوات العثمانية صنعاء في ١٨٤٩م[٧٧]. ولما توفي عائض بن مرعي خلفه ابنه محمدا الذي استطاع أن يقود حملات لمنازلة العثمانيين في "الحديدة" و "المخا" ،وواصل القتال إلى أن تم الصلح بينه وبين

---

[٧٥] راجع : العيدروس ، مرجع سابق ، ص ٣٥٠ .

[*] يعود نسبهم إلى بني مغيد وهي بطن من بطون قبيلة عسير التي يرجع نسبها إلى قبيلة الأزد اليمنية راجع : مصطفى مراد الدباغ : جزيرة العرب موطن العرب ومهد الإسلام ، الجزء الأول ، منشورات دار الطليعة ، بيروت ، ص٢٠٦ .

[٧٦] إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي : تاريخ عسير ، تحقيق وتعليق : محمد بن مسلط بن عيسى الوصال البشري ، الطبعة الخامسة ١٤١٣ﻫ ، ص٩٤ .

[٧٧] العيدروس ، ص٣٥٣ .

العثمانيين وبموجب ذلك الصلح تم تعيينه قائم مقام " العزيزية اليمانية "[٧٨] إلا أن المعارك اندلعت من جديد بينه وبين العثمانيين الذين تمكنوا من محاصرته وقتله غدرا[٧٩] في ١٨٧٢م .

٣-الأدارسة :-

ظهروا على المسرح السياسي في اليمن عندما بدأ محمد بن علي الإدريسي منذ ١٩١٠م يراسل القبائل ويوزع المنشورات التي تدعوهم إلى قتال العثمانيين.

ورغم حداثة نشأتهم السياسية فإنهم نالوا شهرة كبيرة ، ولعبوا دورا خطيرا أثر على مجمل التطورات التي حصلت في اليمن بعد الانسحاب العثماني ، ومن يتتبع تاريخهم يجد قصة مثيرة :-

كان وجود الإدريسي مثيرا من بدايته : فقد تعددت العوامل المساهمة في وجوده وفي نشأته ، فأبوه سوداني وجده مغربي وأمه هندية . اليمن كانت مسقط رأسه ، السودان مكان نشأته ، مصر مقر دراسته وتعليمه ، المغرب موئله وموطن أجداده . ويصور الريحاني هذا التعدد الذي أثر على ملامح الإدريسي فيقول " رأيتني لأول مرة أمام زنجي .. كان جاحظ العين صغيرها ، رفيع الجبين ، دقيق الأنف .. لم يكن فيه من ملامح الزنوج البارزة غير فمه وشكل وجهه ، ولونه الشديد السواد .. "[٨٠] ، **وكان الإدريسي مثيرا في ظهوره:** فقد أظهر الصلاح والزهد والورع إلى أن صارت له شهرة عظيمة حتى بالغ الناس -كما أخبر بذلك مؤرخ اليمن- تظنوه المهدي المنتظر . وكان

---

[٧٨] د/فاروق عثمان أباظة : الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م ، ص٤٥٦ .

[٧٩] الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي : تاريخ اليمن المسمى فرجة المهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م ، ص٩٩ .

[٨٠] الريحاني ، ص٣١٥، ٣٣٨ .

الإدريسي مثيرا في علاقاته : فكان أداة طيعة استخدمها كل من لـــه مصلحـــة ، مده الإيطاليون بالأسلحة والذخائر أثناء حربهم مع الدولة العثمانية ثم ألقـوه وراء ظهورهم ، زوده الإنجليز بما يحتاجه من مال وسلاح إبان الحرب العظمى ثـــم استخدموه ورقة مساومة أثناء تفاوضهم مع الإمام ، وكان عبد العزيز بن ســعود أكثر من استفاد منه ، بحجة نصرته قضى على آل عـــائض ، وتحــت ذريعــة حمايته وقف ضد الإمام ، ولما تحققت أهداف ابن سعود لم يكتفِ بالتخلي عـــن الأدارسة كما فعل من سبقوه بل وجه إليهم ضربة قاصمــــة أزالــت وجودهــم السياسي .

العلاقة بين الأئمة وآل عائض : من يتتبع علاقة آل عائض بالأئمة يجدها علاقة تبعية للمؤشرات الآتية :-

١-عندما كان يحصل تنازع على السلطة بين الأئمة كان آل عائض يؤيدون إمامـــا على آخر كما حدث أثناء تنازع الأئمة في ١٨٤٨م حيث وقفوا مع الإمام محمـد بن يحيى ضد منافسه .

٢-أن مقاومة آل عائض للعثمانيين ارتبطت إلى حد كبير بالأئمة فعندمــــا توقفـت مقاومة الأئمة للعثمانيين بسبب وفاة الإمام المنصور عام ١٣٢٢ه توقفت مقاومـة آل عائض ، ولما استأنف الإمام يحيى المقاومة وأرسل إلـــى آل عـــائض فـــي ١٣٢٣ه انطلقوا للمقاومة والقتال[٨١] .

٣-التزم آل عائض بالصلح المبرم بين الإمام والدولة العثمانية في ١٩١١م حيـــث توقفت مقاومتهم للعثمانيين تماما إلى أن انسحبوا بعد الحرب العالمية .

العلاقة بين الأئمة والأدارسة :-ذكر مؤرخ اليمن-في تلك الفـــترة- أن الســيد محمد الإدريسي عندما وصل إلى مدينة صبيا أرسل إلى الإمام يحيى يطلب منـــه

---

[٨١] راجع : البشري ، ص١٥٢،١٥٣ .

الإذن ببقائه في تلك الجهات للإرشاد والتعليم ، فكتب له الإمام بالإذن مع كثرة العطاء[٨٢] .

ومع أن العلاقة بينهما ساءت تدريجيا فإنه يمكن التعرف –من خلال المراسلات بينهما– على نظرة كل منهما للآخر . ففي الرسالتين اللتين تبادلاها في ١٣٣٩هـ-١٩٢٢م[٨٣] نلحظ ما يلي:-

❖ **رسالة الإمام إلى الإدريسي رسالة الأعلى للأدنى :**

- **فيها تنبيه لمسلك خاطئ حيث يحذره من مغبة علاقته بالأجانب " بما لهم من المقاصد الضارة بالإسلام والمسلمين ، وما يرمون من التسلط العام والسيطرة الشاملة .."**
- **فيها تهديد مبطن وتحذير من مغبة التعاون مع الإنجليز ".. ولولا ذلك لما كان بيننا وبينهم ما كان وما سيكون .."**
- **فيها طلب إيضاح ".. هل لهم من حجة يحتجون بها.؟ ويجعلونها ذريعة لهم إلى مقصدهم الخبيث من ادعاء الحق لهم في أي جانب من اليمن ..! "**
- **فيها إعطاء فرصة للرجوع عن المسلك الخاطئ ".. هل لكم من فكاك من تلك الرابطة تزول به كل وسيلة إلى أي تجاوز..؟ "**

❖ **رسالة الإدريسي للإمام رسالة المرؤوس للرئيس :-**

-فيها تبجيل وتوقير ، فبينما خاطب الإمام الإدريسي بقوله إلى " الصنو العلامة .."[*] فإن الإدريسي ابتدأ خطابه للإمام بقوله إلى " الجناب الشريف والمقام المنيف .."

---

(٨٢) الواسعي ، ص١١٦،١١٧ .

(٨٣) نص الرسالتين في : الريحاني ، مصدر سابق ، ص ٣٤٨-٣٥١ .

(*) الصنو بمعنى الأخ

-فيها تبرير لمسلكه " .. إنها لما قامت الحرب .. أعلنت بريطانيا مساعدتها للعرب دون أن تتدخل في شيء من شئونهم .."

-فيها إقرار بسلطة الإمام".. ومثلكم لا يخفى عليكم كيف يكون لم شعث الأمة"

نتائج التنافس بين القوى الثلاث :-

أولا : خاض اليمنيون سلسلة من المعارك تواصلت لعدة سنوات دعما لهذا الطرف أو ذاك ، فقد حدثت مواجهات مسلحة بين آل عائض والإدريسي ، ومواجهات أخرى بين الإمام والإدريسي ، مما أثر سلبا على حياة اليمنيين وأمنهم وعلى مستوى معيشتهم .

ثانيا : إن الصراع مكن أطرافا خارجية من تحقيق أهدافها ، فالصراع بين آل عائض والإدريسي استفاد منه ابن سعود فقضى من خلاله على آل عائض ، والصراع بين الإمام والإدريسي استفاد منه ابن سعود أيضا للوقوف في وجه الإمام ، واستفاد الإنجليز من الصراع وسخروه لخدمة مصالحهم خاصة احتفاظهم بجزر فرسان وكمران .

عوامل تفكك الدولة اليمنية وعدم استقرارها

أولا: التوظيف السياسي للاختلاف المذهبي

بالرغم من أنه لا توجد فوارق جوهرية بين المذهب الزيدي والشافعي فإن اليمن عانت من هذا الاختلاف وشهدت بسببه معارك طاحنة انتصارا لهذا المذهب أو ذاك ، وبلغ الأمر إلى الحد الذي قسمت فيه الأرض اليمنية تقسيم مذهبي ، وجاء دور الإعلام -الخارجي- فبالغ في تصوير الاختلاف ؛ حتى أن

هناك من الكتاب[٨٤] من عزا معارضة الدولة اليمنية-إبان النظام الإمامي- لمشروع اتحاد المحميات إلى خوفها من وجود كيان للشوافع قوي إلى الدرجة التي تهدد الزيود .

إن السياسة هي المسئولة عن ذلك ، فكل من له مصلحة عمل على تعميق وإيجاد مبررات الاختلاف :-

❖ **الأئمة** :إذا كان حكمهم مستقرا ، ويشمل أنحاء اليمن كانوا يعملون على إشاعة التسامح بين المذهبين ، وقد خرجت المدرسة الزيدية-آنذاك-فطاحلة من العلماء أثروا الفقه الإسلامي دون أن يتقيدوا برأي أو يتعصبوا لمذهب أمثال شيخ الإسلام المجتهد محمد بن علي الشوكاني المتوفى عام ١٨٣٤م . فإذا ما هدد الأئمة خطر ما وشعروا أن حكمهم سيزول ، تواروا خلف المذهب وتشبثوا به ، ومن الأمثلة على ذلك قبول الإمام يحي-أثناء صلح دعان- على تغيير ختمه المسمى " أمير المؤمنين " ليصبح " أمير الزيود ". ويقال أن المذهب كان ضمن أدوات الصراع في الحرب الملكية-الجمهورية (١٩٦٢-١٩٧٠) .

❖ **العثمانيون** : كان لهم دور مباشر في إيجاد التقسيم المذهبي ، فعندما أعيتهم مقاومة الإمام وافقوا على إعطائه بعض السلطات على أتباع المذهب الزيدي ، وبناء على الصلح تم تقسيم الولاية إلى مناطق " زيدية " و " شافعية ".

❖ **الإنجليز** : استفادوا من الخلاف وعملوا على إبرازه ، وكان من ضمن حججهم لرفض مطالب الإمام " أن المذهب الزيدي ليس منتشرا في المحميات ، وأن الزيديين فقط هم الذين يقبلون حكم الأئمة "[٨٥] ولم يكتف الإنجليز بذلك ، بل

---

[٨٤] -King , G.,:"Imperial Outpost-Aden", Oxford Univ ., Press, London, N.Y., Toronto, 1964, pp 83-34

مشار إليه في : د/أحمد عطية المصري : النجم الأحمر فوق اليمن تجربة **الثورة** في اليمن الديمقراطية ، مؤسسة الأبحاث العربية ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م ، ص٦٢ .

[٨٥] باحسون ، ص٣٩ .

إن الطائرات البريطانية كانت " تلقي مع القنابل منشورات تطالب المواطنين أن يكونوا ضد الزيود وعند ذلك لن يصيبهم أي ضرر "[٨٦]

- **السعوديون** : عندما أرادوا إيصال نفوذهم إلى عدد من المناطق اليمنية كان من ضمن حججهم أن سكانها لا علاقة لهم بالمذهب " الزيدي "[*].

ثانيا : السياسية الاستعمارية:-

عمل الإنجليز أثناء احتلالهم للمناطق اليمنية على إنشاء قومية جديدة فاخترعوا المسميات العديدة ، في البداية أطلقوا عليها " النواحي التسع " ، وفي ١٩٣٧م أطلقوا عليها " محمية عدن " ، وعندما بدأ وضعهم يتململ وبدأت الشمس تغيب عنهم عملوا على إنشاء ما سمي باتحاد " الجنوب العربي " من ١٩٥٤-١٩٦٣م ، يقول أحد حكام بريطانيا لعدن في تلك الفترة " أصبحت مكانة بريطانيا في محمية عدن الغربية معرضة لخطر مزدوج يتألف من النشاط اليمني الهدام والحركة الوطنية .. المتمركزة في لحج . لقد أدى التخريب اليمني إلى دمار خطير في عامي ١٩٥٤،١٩٥٥ وإثر ذلك قوضت الحركة الوطنية النفوذ البريطاني في أجزاء كبيرة ..(ويعدد الإجراءات التي اتخذت لمواجهة ذلك) .. تلك الإجراءات أدت إلى تصفية الجو في الوقت الذي توجه فيه جمع من الحكام إلى لندن ليطلبوا من صاحب الجلالة العون في إقامة اتحاد الجنوب " وأكد بأن ذلك الاتحاد " يرمز إلى بداية المهمة التي أخذت بريطانيا على عاتقها تنفيذها ألا وهي مساعدة سكان المنطقة على إنشاء دولة عربية جديدة "[٨٧]

---

[٨٦] كانت المنشورات تعد السكان **بعدم** قصف المناطق التي يرفض أهاليها من " الشافعية " تأييد " الزيدية " . وكان الإنجليز يكتبون في تلك المنشورات بأن الزيديين وحدهم مسئولون عن القصف الجوي الذي لا غرض منه سوى الدفاع عن القبائل التي **هي** تحت الحماية البريطانية . راجع : عزيز خودا بيرد يسف . المرجع السابق ، ص١٣٥ . راجع كذلك : القاسمي ص ٤٤ .

[*] راجع هامش (٣٧٨) .

[٨٧] مشار إليه في باحسون ، ص[illegible]٣ .

وكما هو واضح فالغرض من تلك المشروعات سلخ المناطق اليمنية عن جسدها ، ومن أجل ذلك سخروا إمكاناتهم من بحوث وإعلام وقدرة عسكرية ، واستخدموا كل الوسائل لتفريق اليمنيين وزرع الكراهية ضد بعضهم البعض .

ولكي يظهروا أنهم يلبون رغبات أبناء المحميات وجدت في تلك الفترة جمعية (الجمعية العدنية) بدلا من أن تقوم بأعمال خدمية أو اجتماعية-كما هو دأب الجمعيات-تفرغت للمناداة بـ " عدن للعدنيين " ، وظهرت-في تلك الفترة أيضا- (رابطة أبناء الجنوب) **مهمتها** الدفاع عن المشروع البريطاني[٨٨].

ثالثا : التقسيم التركي-البريطاني لليمن

نتج عن الاتفاقية الانجلو-عثمانية في ١٩١٤م أن قسمت اليمن سياسيا إلى " شمال " و" " جنوب " وهو ما لم يحدث عبر مراحل التاريخ المختلفة ، صحيح أنه كان يحدث تنافس وصراع على السلطة ولكن بدون هذا التقسيم والتحديد ، كانت تنشأ حكومة في أية منطقة يمنية-صنعاء أو تعز أو عدن أو زبيد أو غيرها- ثم تتمدد في كل الاتجاهات وتعمل على حكم كافة المناطق اليمنية .

لقد كاد ذلك التقسيم أن يصبح حقيقة عندما أضحت اليمن جمهوريتين ، صحيح أن دستور كل منهما اعتبر الجنسية اليمنية واحدة والأرض اليمنية واحدة إلا أن التنافس على السلطة والاختلاف حول النظام الذي تسير عليه الدولة اليمنية كان يعمق التشطير ، فهذا يتحالف مع المعسكر الشرقي وذاك يقترب من الغربي ، هذا يتبنى مبدأ الفصل بين السلطات وذاك يقر عدم الفصل ، ذاك يتبنى نظاما اشتراكيا في الاقتصاد وهذا يفضل الاقتصاد الحر . ومن جهة ثانية كان كل طرف يسعى إلى تحقيق وحدة السلطة وفق منظوره ، فهذا يؤمن بأن الطرف الآخر يريد من الوحدة تعميم " الماركسية " وتسليم البلاد " للقوى الاشتراكية

---

[٨٨] راجع : القاسمي ، ٣٨،٤٤ .

والشيوعية " ، وذاك واثق من أن الآخر يريد القضاء على " المكاسب الثورية " وإلحاق البلاد " بالقوى الرجعية والإمبريالية ".

إن "الحدود" التي لم يضعها اليمنيون ، والتقسيم السياسي إلى شمال وجنوب كاد أن يبقى، فإذا كانت الحدود سابقا بين تركيا وبريطانيا ، ثم بين الدولة اليمنية وبريطانيا ، فإنها بظهور جمهوريتين يمنيتين صارت بين " دولتين". ووفقا لأحكام القانون الدولي لم يعد بإمكان أي منهما إلغاء الأخرى ،وأضحى المسمى السياسي " شمال وجنوب " يتردد كثيرا على الألسن وفي وسائل الإعلام ، وكادت " الحدود " أن تكتسب قدسية وشرعية ،فبعد كل صدام بين الجمهوريتين كان الطرفان يدعيان إلى احترام " الحدود " وسحب قواتهما إلى ما ورائها[٨٩].

عانى اليمنيون كثيرا من ذلك التقسيم ولم يتمكنوا من القضاء عليه عمليا إلا بعد جهود مضنية وتضحيات جسيمة استمرت طوال مراحل هذا القرن . ومما يثير الدهشة والاستغراب أنه كلما كان يحصل تقارب بين قيادة الجمهوريتين ، سرعان ما يحدث انقلاب هنا أو اغتيال هناك حسب الوقائع الآتية :-

- بعد اتفاق القاهرة بين الرئيسين عبد الرحمن الإرياني وسالم ربيع علي ولقاء طرابلس في ١٩٧٢م شهدت صنعاء عدة تغييرات انتهت بإقصاء الإرياني من السلطة .
- بعد اتفاق ١٩٧٧م في مدينة " قعطبة " بين الرئيسين سالم ربيع علي وإبراهيم الحمدي ، قضي على الأخير قبل أن يتوجه إلى عدن-لإتمام المشروع الوحدوي- بيوم واحد .

---

(٨٩) بعد الصدام المسلح في ١٩٧٢م صبت لجنة التوفيق العربية من الجانبين سحب قواتهما إلى داخل " الحدود " بمسافة ١٠ كم ، وبعد الصدام المسلح في ١٩٧٩م حدد قرار مجلس الجامعة العربية رقم٤٦ مدة عشرة أيام لإتمام انسحاب قوات الجانبين إلى داخل حدودها . راجع القاسمي ، ص : ٨٧-٨٧ .

- بعد أن حصل التقارب بين الرئيسين سالم ربيع علي وأحمد الغشمي قضي عليهما معا : الأول بالانقلاب عليه وإيداعه السجن ثم إعدامه ، والآخر عبر عبوة ناسفة حملها مندوب من عدن كان المفترض أنها تحمل وثائق هامة من الرئيس للرئيس إلا أنها تغيرت في مطار عدن من رسالة تقارب وتفاهم إلى رسالة غدر واغتيال .
- بعد اتفاق الكويت ١٩٧٩م بين الرئيسين علي عبد الله صالح وعبد الفتاح إسماعيل أطيح بالأخير من السلطة .
- بعد أن بدأت خطوات توحيد السلطة تأخذ مسارا جديا بين الرئيسين علي عبد الله صالح وعلي ناصر محمد أتت أحداث عدن الدامية في ١٩٨٦م فأطاحت بالأخير ، وكادت الحرب أن تشتعل بين الجمهوريتين .
- بعد أن تحقق الهدف في ٢٢مايو ١٩٩٠م على يد الرئيسين علي عبد الله صالح وعلي سالم البيض ، إذا بالأخير ينتكس في ١٩٩٤م ، فعمل على إلغاء كل الجهود السابقة ، وحاول إعادة الأمور إلى ماضيها ، مما أدى إلى اشتعال حرب طاحنة استمرت أكثر من شهرين .

وهكذا يتضح أن اليمن ظلت طوال هذا القرن منكفئة على نفسها ، منشغلة بأحداثها وصراعاتها الداخلية .. ولا شك أن إعادة تحقيق الوحدة اليمنية في نهاية هذا القرن سيكون عاملاً هاماً في استعادة اليمن لمكانتها ودورها في الجزيرة العربية .

نتائج الفصل الأول

أولا : كانت الدولة السعودية خلال الفترة التي حدث فيها النزاع الفعلي حول عسير أكثر استقرارا ، بينما كانت الدولة اليمنية أكثر تفككا .

ثانيا : بينما كانت بريطانيا من أهم العوامل في بناء الدولـة السـعودية ، فإنـها كانت من أهم العوامل في إجهاض الدولة اليمنية وتفكيكها .

ثالثا : إن تزامن النزاع بين الدولة اليمنية وكل من بريطانيا والسعودية قد مكـن الأخيرتين من تحقيق أهدافهما ، وكان عام ١٩٣٤م موعد الحصـاد لكـل منهما ،فيه وقعت معاهدة صنعاء بين الإمام وبريطانيا ، وفيه أعلنت معـاهدة الطائف بين الإمام والسعودية .

رابعا : إن الصراع بين القوى اليمنية أفاد كلا من بريطانيـا والسـعودية فقـد تدخلت كل منهما في ذلك الصراع بما يخدم مصالحها ، ويحقق أهدافها .

الفصل الثاني

جذور النزاع وأسبابه

لم يكن النزاع السعودي اليمني وليد القرن العشرين بل إن جذور النزاع تمتد إلى الحكم السعودي الأول الذي ظهر ابتداء من ١٧٤٤م ، لكن النزاع السعودي اليمني خلال الحقبة السعودية المعاصرة كان أكثر قوة واستمرارية .
سنحاول تتبع جذور النزاع واستقصاء أسبابه في المبحثين التاليين :

المبحث الأول

جذور النزاع

خلال بحثي في نشأة الحكم السعودي عمدت إلى المصادر السعودية فوقع في يدي كتاب عنوانه " روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام "[٩٠] .

في البداية تصفحته على عجل فوجدت العبارات التي تتردد في أغلب صفحاته " سار المسلمون .. فتح المسلمون .. غزا المسلمون .. قتل من المسلمين .. كانت هذه الواقعة ابتلاء من الله تعالى لأهل التوحيد .. ساروا حتى وطئوا بلاد المسلمين .. فكتب على المسلمين الهزيمة ..إلخ "

من خلال العنوان وتلك العبارات ظننت أحد أمرين :-

- إما أن الكتاب يتحدث عن الفتوحات الإسلامية التي وقعت أيام الخلافة (الخلفاء الراشدون ، الدولة الأموية ، الدولة العباسية ، الدولة العثمانية).

---

(٩٠) للشيخ الإمام/حسين بن غنام ، المصدر المشار إليه سابقا ، وقد حرره وحققه ناصر الدين الأسد وسماه " تاريخ نجد " وقدم الكتاب على أنه يعد وثيقة تاريخية أصيلة حيث إن مؤلفه عاصر الأحداث التي أوردها .

- أو أن أمير الدرعية قد كون قوافل لنشر الإسلام في أدغال إفريقيا أو أصقاع الهند أو جبال أوربا ومن ثم يفتحون البلاد التي لم يصلها الإسلام..!

وبعد أن أعدت قراءته بتأني خاب ظني في الأمرين معا " فالغزوات والفتوحات " التي أُرّخ لها كانت داخل الجزيرة العربية ، فقد اعتُبِر أبناؤها مشركون يجب قتالهم إلى أن يتحقق " الفتح " ،وكانت اليمن ضمن المناطق التي اعتُبِر أهلها مشركون بسبب وجود مزارات لعدد من القبور . يقول المؤرخ السعودي " وأما ما يفعل في بلدان اليمن من الشرك والفتن فأكثر من أن يستقصى ، فمن ذلك ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر عندهم يسمى " الهادي " ، وأما حال حضرموت والشحر ويافع وعدن فقد ثوى فيها الغي وطمى الفساد .. وعندهم الطامة الكبرى والمعضلة الجسيمة في أراضي نجران وما يليها من البلاد وما حولها .. "[٩١]

الحادثة الأولى في الصراع السعودي-اليمني

وقعت أول حادثة صراع في ١٧٦٤م وكان وقوعها عرضيا ، فمع أن آل سعود في تلك الفترة كانوا قد تحركوا عسكريا -بصورة نشطة- لتبليغ دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب وتمكنوا آنذاك من القيام بعدة حملات في عدة اتجاهات من الجزيرة إلا أنهم لم يكونوا قد قرروا بعد التوجه إلى اليمن لإدخال أهلها في " الدين " !!

إحدى الهجمات التي كانوا يقومون بها في أي ساعة من ليل أو نهار على هذه القبيلة أو تلك طالت جماعة من البدو الرحل ينتمون إلى قبيلة العجمان اليمنية قيل إنهم اعتدوا على قبيلة موالية "للدرعية " ، يقول المؤرخ السعودي " فاشتد عبد العزيز ومن معه من المسلمين في طلب أهل اليمن حتى وصل إلى

---

[٩١] المصدر السابق ، ص ٦ .

"قذلة " وألقى فيها أهل اليمن وقد ألقوا رحالهم هناك فشد عليهم المسلمون حتى هزموهم وقتلوا منهم نحو خمسين رجلا ، وأسروا مائتين وأربعين ، وأخذوا ما معهم من الخيل والركاب .. ولم يصب أحد من المسلمين .. وكان هذا النصر المبين في شهر رمضان ١١٧٧ه" [٩٢]

أول معركة يمنية-سعودية

وقعت المعركة في ربيع الثاني ١١٧٨ه-أيلول ١٧٦٤م [٩٣] ، فقد انطلق من نجا من العجمان فأتوا والي نجران وشكوا له ما حدث ، وناشدوه المروءة والنجدة لكي يثأر لهم ويستخلص أسراهم من الدرعية . فجمع ألفاً ومائتين مقاتل وسار حتى نزل في "حائر سبيع" بين الخرج والرياض . فجهز آل سعود جيشا قوامه أربعة آلاف مقاتل ، وأسفرت المعركة عن هزيمة منكرة لآل سعود حيث قتل منهم خمسمائة ، وأسر مائتان وعشرين بينما فر الباقون ، بعدها ارتحل القائد اليمني وعسكر بالقرب من الدرعية استعدادا لاحتلالها ، عندئذ طلبوا الصلح فأهدوه أموالا كثيرة ، وأطلقوا أسرى قبيلة العجمان فأطلق أسراهم وقفل عائدا إلى اليمن .

ويتضح أن تحرك الوالي اليمني إلى نجد كان لهدف محدد هو إنقاذ الأسرى اليمنيين وإعادة ممتلكاتهم المسلوبة ، ولم يكن بغرض توسيع النفوذ أو حبا في القتال في حد ذاته للأدلة الآتية :-

أولا : من غير المعقول أن يتوجه لاحتلال نجد بذلك العدد القليل في الوقت الذي كانت فيه أخبار " غزوات الدرعية " وانتصاراتها قد ذاعت واشتهرت . ويبدو أنه كان يأمل أن تبادر الدرعية -عندما تعلم بقدومه- إلى إرسال

---

[٩٢] الشيخ/حسين بن غنام . المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

[٩٣] راجع : الشيخ/ خزعل ، ص٢٤٨-٢٥٣ ، الشيخ/ غنام ، ص١٢٤ - ١٢٠ ، سنت جون فيلبي ، ص٨٨،٨٩.

مندوب من قبليا ، ومن ثم يتفاوض الطرفان ويصلان إلى حل لمشكلة العجمان ، لكن الدرعية وجهت له جيشا يفوق ما معه بأربعة أضعاف تقريبا

ثانيا : إنه أوقف القتال عندما تم تنفيذ مطالبه بإطلاق أسرى قبيلة العجمان وإعادة أموالهم في الوقت الذي كان منتصرا ومحاصرا " للدرعية " عاصمة آل سعود في ذلك الوقت .

ثالثا : بعد موافقته على الصلح وصلته رسالة من أمير الاحساء يعبر فيها عن سروره بالنصر على " الوهابيين " ويخبره أنه سيصل بجنده لتعزيز ذلك الحصار ، فرد عليه الأمير اليمني " **لو كان هذا قبل أن يجري الصلح بيننا .. لانتظم الأمر وفق خاطرك ، لكن الآن وقد حصل مرادنا .. وقد طلب منا العفو ونحن أهل له عند القدرة وأعطيناه فلا يمكن إبدال القول** " ولما وصل أمير الاحساء هذا الرد أرسل ثانية إلى الأمير اليمني يغريه بأنه سيدفع له مائة ألف من الذهب تصله إلى نجران على أن يساعده في القضاء على الدرعية . **ومع أن الفرصة سانحة ، والذهب يسيل اللعاب ، إلا أن الأمير اليمني رفضه قائلا " لا يكون ذلك كيف والشيمة هي حسن الوفاء بالقول "**(٩٤)

موقف الشيخ ابن عبد الوهاب من المعركة :

يبدوا أنه لم يكن يحبذ القتال حيث تشير بعض المصادر إلى أنه أوصى القائد السعودي قائلا " سر له بهذا الجيش ونازله ولا تحاربه حتى يقع بيننا الصلح ، فإني لا أتوسم خيرا من وراء قتال هؤلاء القوم ، ما نزل في أناس مسكنهم اليمن ويدخلون في قلب نجد في هذا العدد القليل مع أنهم عرفوا شوكتنا فلم يبالوا بها ، فإياك والحرب معهم، وإنما أمرتك بالخروج إليهم حتى لا

---

(٩٤) راجع : الشيخ/حزعل ، ص٢٥٢ .

يختلف علينا فيقال ضعف أمر هذه الدعوة "[٩٥]. ويقال إن تلك الهزيمة أثرت على الشيخ ابن عبد الوهاب[٩٦] إلى أن فارق الحياة في القعدة ١٢٠٦هـ-٢٢حزيران١٧٩٢م .

نتائج المعركة ودلالاتها :

أولا : أدت إلى نزع هيبة " الدرعية " مما ترتب عليه توقف التوسع السعودي لمدة طويلة حتى أن الرياض لم تحتل إلا في ١٧٧٤م أي بعد عشر سنوات من وقوع تلك المعركة .

ثانيا : أذكت الواقعة روح الانتقام لدى قادة " الدرعية " فجعلتهم يتحينون الفرص للتنكيل باليمنيين . نستدل على ذلك ببعض الوقائع التي أوردها المؤرخ السعودي في تلك الفترة :

- " وفي سنة ١١٩٩هـ غزا سعود بالمسلمين يطلب جماعة من أهل اليمن ، فأدركهم في أرض " الرويضة " ورئيسهم في قصر هناك ، فأخذه سعود وقتله ، ثم أغارت خيول المسلمين على أولئك الأعراب فولوا مهزومين ، فلحقهم المسلمون ، ولكن الله شاء أن يطلع في تلك الساعة فرسان كثيرون من " السهول " .. فرجع عن أهل اليمن "[٩٧]
- وفي ١٢١٠هـ سار .. إلى ناحية " نجران " فلقي هناك بعض الأعراب ويسمون آل هندي فأغار عليهم وهزمهم وقتل منهم ثلاثين رجلا واستولى على محلتهم وأخذ ما فيها من الغنم والإبل .."[٩٨]

---

[٩٥] المرجع السابق ، ص٢٤٩ .

[٩٦] راجع : سنت جون فيلي ، ص٨٩ .

[٩٧] الشيخ/ حسين بن غنام ، ص١٦٠ .

[٩٨] المرجع السابق ، ص١٩٠ .

ثالثا : نبهت الواقعة آل سعود إلى أن اليمن يمكن أن تكون مصدر الخطر الحقيقي الذي يمكن أن يواجهوه من داخل الجزيرة العربية ، ففي الوقت الذي حدثت فيه المعركة كان لآل سعود صولة وجولة ، وكانوا الذين يبادئون الآخرين بالحروب والتنكيل " بهدف إدخالهم في الدين ..! " ثم تأتي مجموعة قليلة من اليمن لتكبح جماحهم ، وتحاصر عاصمتهم ، ولا تتركهم إلا بمراضاتها ، وتنفيذ شروطها .

المبحث الثاني

أسباب استمرار النزاع

مما يثير الاستغراب أن النزاع السعودي-اليمني تواصل مع كل الأنظمة المتعاقبة على حكم اليمن ابتداء بالمملكة المتوكلية ومرورا بالجمهوريتين (العربية والديمقراطية) ، وانتهاء بالجمهورية اليمنية .

دخلت السعودية في نزاع مسلح مع " المملكة المتوكلية " اليمنية استمر عقد ونصف تقريبا(*) ، ودخلت في نزاع خطير مع " الجمهورية العربية " اليمنية دام-فضلا عن الحوادث المتفرقة-ما يقارب العقد ، وتنازعت مع " جمهورية " اليمن " الديمقراطية " مدة وجودها ، وبسبب أزمة الخليج حدث التنازع بينها وبين " الجمهورية اليمنية " في الأشهر الأولى من ميلادها..!

كل هذا يدعونا إلى البحث عن الأسباب الكامنة وراء ذلك ، وقد يكون من الصعوبة بمكان الإحاطة بكامل الأسباب والدوافع الباعثة للنزاع والمؤججة للصراع ، لكنني أعتقد أن هناك سببين أساسيين لاستمرار النزاع وتواصله هما التنافس على الدور ، والتنافس على الأرض .

(*) راجع- وقائع الحرب ص١٢١- ١٤١ .

أولا : التنافس على الدور

كان كل من الشريف حسين والإمام يحي يطمح في أن يصبح خليفة المسلمين ، وقد ازداد طموح الشريف بعدما وعده الإنجليز بتتويجه ملكا على الدولة العربية عند القضاء على العثمانيين ، بينما كان الإمام يرى نفسه أولى بالخلافة لأنه رفض الانقياد " للذين يتربصون بالإسلام الدوائر "[*] هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الأسرة التي ينتمي إليها الحسين والتي تولت شرافة مكة المكرمة عدة قرون سبق لها أن أعطت ولاءها لـ " صنعاء " مدة غير يسيرة[*].

ولما هيمنت بريطانيا على شئون الجزيرة العربية وجعلت ابن سعود ركيزتها الأساسية بدلا من الشريف حسين ، أضحت السعودية من ذلك الحين ترى نفسها المسئولة عن الجزيرة أمام القوى العالمية والمحافل الدولية ، فعندما زاد التنازع بين ابن سعود والإمام يحي بسبب إعلان الأول حمايته للإدريسي أوضحت إيطاليا خلال مباحثاتها مع ابن سعود للاعتراف به أن إعلان الحماية لم يغير من الوضع القانوني لعسير وأنها ستعترف به ملكا على الحجاز ونجد فقط ، فأرسل الملك ابن سعود إلى البريطانيين " إن هذا المسلك يعد تعديا على حقوق بلاده في شبه الجزيرة العربية وسلطتها القومية ، وأن هذا الإجراء من جانب إيطاليا يقصد منه تقوية حليفها الإمام ضد الحكومة البريطانية في اتجاه

---

[*] وردت هذه العبارة في رسالة الإمام إلى الملك ابن سعود في ١٩٣٤م والتي طالب فيها بإنهاء الحرب السعودية-اليمنية ومما جاء فيها " يكفي ما كان ونعوذ بالله من شرور المتربصين بالإسلام الدوائر لتحقيق مطامعهم " راجع: الخترش ، ص٢٣٣ .

[*] أكد هذا كتاب تاريخ المملكة العربية السعودية لتلاميذ المرحلة الثانوية حيث جاء فيه أن ولاء الأشراف كان " يتأرجح بين بغداد وصنعاء والقاهرة " راجع : طبعة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ، ص٧ .

حدوده المجاورة لأراضي الحكومة البريطانية(يقصد محمية عدن) ، وضد الملك ابن سعود صديق الحكومة البريطانية "[٩٩]

من ذلك الوقت زاد التعارض بين الدولتين السعودية واليمنية واستمر طوال هذا القرن حتى أنك إذا وجدت موقفين متضادين داخل الجزيرة العربية فإن طرفاه -غالبا- اليمن والسعودية ، وندلل على ذلك بما يأتي :-

الموقف من الاستعمار البريطاني

ظل السعوديون ملتزمين بمعاهدة القطيف التي نصت على عدم الاعتداء على المحميات البريطانية، بل إن ابن سعود كان يؤكد التزامه بما يريده الإنجليز بالنسبة لتخطيط الحدود بينه وبين المحميات (اليمنية والخليجية) فقد روى عنه الريحاني قوله " لا نتنازل عن شيء من حقوق أجدادنا أما إذا قال الإنكليز نبغي هذا منك وجاءوني بأمر محتوم فأنا ابن سعود أسلم لهم .."[١٠٠]

وبالنسبة لقضية فلسطين يقال إن ابن سعود لم يكن يطمئن لإخلاص أحد للقضية غير أنه لم يتخلى عن سياسته التي كانت تحتم عليه الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يوقعه في متاعب مع الدول المنتدبة[١٠١].

أما الدولة اليمنية فقد دخلت في نزاع مسلح مع بريطانيا منذ أن انسحب العثمانيون ، كما خاض اليمنيون مقارمة مسلحة تصاعدت حدتها بعد قيام الثورة اليمنية في ١٩٦٢م ، وما إن انسحب الإنجليز من اليمن في ١٩٦٧ حتى أكملوا انسحابهم من الخليج في ١٩٧١م .

---

[٩٩] راجع: الوثيقة رقم FO. 406\60 (E 384\80\90) Enclosure No. 5 (P.R.O) من الملك ابن سعود إلى اللورد لويد ، ٦ديسمبر١٩٢٧

[١٠٠] الريحاني ، ملوك العرب ، ص٥٣٢ .

[١٠١] جون فيلبي ، ص٥٤٢ .

الموقف من التنافس الدولي (الشرق والغرب)

توطدت العلاقة السعودية بالغرب على امتداد هذا القرن،في البداية مدوا أيديهم إلى بريطانيا كي تساعدهم على استعادة حكمهم في نجد ، ثم اتجهوا إلى أمريكا ليحموا أنفسهم من المد الثوري الذي أدى إلى تساقط العديد من الأنظمة الملكية في الخمسينيات ، وزاد التحالف بعد تصاعد المد السوفيتي في جنوب اليمن وقيام الثورة الإسلامية في إيران[١٠٢] . ومن ثم أصبحت علاقة السعوديين بالغرب في منتهى الأهمية لأنها تتعلق بحمايتهم وأمنهم .

أما الدولة اليمنية فإن علاقتها بالشرق كانت أكثر تناميا من علاقتها بالغرب بسبب الحقبة الاستعمارية ، فقد وقعت اتفاقية صداقة مع الاتحاد السوفيتي في ١٩٢٨م ، وأقامت نوعا من التقارب مع عدد من دول الكتلة الشرقية في عهد الإمام أحمد [١٠٣].

ولما قامت الجمهوريتان ومع أن موقف كل منهما كان يختلف عن موقف الأخرى فإن كلا من الموقفين كان يختلف عن الموقف السعودي ، فبينما كانت عدن والرياض تقفان على طرفي نقيض حيث كانت الأولى تعد منطقة نفوذ سوفيتية والأخرى منطقة نفوذ أمريكية ، فإن صنعاء نجحت في إقامة علاقات متوازنة مع الكتلتين .

---

[١٠٢] راجع: د/ جمال زكريا قاسم : تاريخ الخليج الحديث والمعاصر ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٦، المجلد الخامس ، ص١٢٣، ١٢٤. راجع كذلك : محمد السعيد إدريس : دور الأمن والتعاون العسكري في تطور مجلس التعاون الخليجي ككيان إقليمي ، المستقبل العربي عدد (٢١٥) يناير١٩٩٧، ص٤١-٤٤ .

[١٠٣] راجع : د/ سعيد محمد باديب : الصراع السعودي المصري حول اليمن الشمالي (١٩٦٢-١٩٧٠) ، دار الساقي ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ، ص٤٤،٤٥ .

الموقف من أزمة الخليج

رأت السعودية أن الحل العسكري الأجنبي هو الخيار الوحيد لحل المشكلة ومن أجل ذلك حشدت جهودها وسخرت إمكاناتها ، أما اليمن فعارضت هذا الخيار ورأت أنه يمكن حل المشكلة في الإطار العربي ، ولم تقتصر اليمن على مجرد تسجيل موقف سياسي بل سعت إلى احتواء الأزمة وحلها(*). وخلال التداعيات المتلاحقة لحرب الخليج استمر التضاد في موقف الدولتين:-

- فاليمن دعت باستمرار إلى المصالحة العربية وعودة العراق إلى الصف العربي ، والسعودية تستبعد المصالحة في ظل وجود النظام العراقي الذي قام بغزو الكويت .
- اليمن تؤيد إنهاء العقوبات المفروضة على العراق ، والسعودية تؤيد " النفط مقابل الغذاء ".
- اليمن رفضت كل قصف جوي تعرض له العراق ، والسعودية حملت القيادة العراقية المسئولية عما حدث .

(*) في ١٩٩١/١/٢١م تقدمت اليمن بمبادرة لاحتواء الأزمة من ست نقاط :

١-تعهد قوات التحالف بعدم اللجوء إلى القوة .

٢-انسحاب القوات العراقية من الكويت .

٣-تمركز قوة عربية لحفظ السلام بقرار من الجامعة العربية في المنطقة المتنازع عليها .

٤-تعهد قوات الحلفاء بعدم إرسال قوات إلى الكويت بعد انسحاب العراق .

٥-يبدأ انسحاب القوات الأجنبية من الخليج بمجرد انسحاب العراق .

٦-بقبول الأطراف هذه النقاط تشكل لجنة مساع حميدة لحل المشاكل المعلقة بين العراق والكويت .

حول الموقف اليمني من أزمة الخليج راجع د/ محمد عبد الملك المتوكل . موقف اليمن الشعبي والنخبوي والرسمي من أزمة الخليج ورقة عمل ضمن ندوة " أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي " مركز دراسات الوحدة العربية .

هذا التضاد في مواقف الدولتين أدى إلى تدهور علاقاتهما وإلى أن تتهم كل منهما الأخرى بالتآمر عليها والعمل على زعزعة أمنها واستقرارها .

ثانيا : التنافس على الأرض

عندما بدأ الشيخ ابن عبد الوهاب دعوته لأهل نجد بنبذ الخرافات والشعوذة ، وتحرك آل سعود عسكريا " لإدخال أبناء الجزيرة في الدين ! " كانت الأرض تمثل أهمية ثانوية ، فقد كان التنافس يدور حول ولاء القبائل وتبعيتها ، وكانت " الغزوات.! " التي يقومون بها على القبائل " التي لم تدخل في الدين "تنتهي غالبا بجمع " الغنائم " حيث يقوم الجيش السعودي بعد هزيمة القبيلة بأخذ ما يقدر عليه من أموالها (وهي غالبا الغنم والإبل[*]) ثم يعود إلى " الدرعية " لتوزيع " الغنيمة " حسب ما يقرره ولي الأمر ..! وتظل الأمور كذلك حتى تعلن القبيلة " دخولها في الدين " ثم تشترك مع غيرها في " الفتوحات " ..!

وفي أثناء قيام الدولة السعودية المعاصرة كانت الشركات الأجنبية قد بدأت في التوافد على المنطقة بحثا عن النفط[*]، ولذلك ما إن بدأ النزاع السعودي- اليمني حتى كانت الأرض قد بدأت تحتل أهمية كبيرة ، ولما ظهر البترول وأصبح المصدر الأساسي للثروة تراجعت أهمية القبائل واحتلت الأرض المرتبة الأولى .

من أجل امتلاك الأراضي دخل الملك والإمام في عراك شديد تعددت أدواته ، وتنوعت وسائله ، انتهى بهزيمة الإمام . ومن أجل تقسيم الأراضي جرت مفاوضات متعددة بين ابن سعود وبريطانيا من أجل تعيين حدوده بالمحميات

---

[*] للتأكد من ذلك راجع : كتاب مؤرخ الدولة السعودية الأولى الشيخ / حسين غنام المذكور سابقا .

[*] في ١٩١٤/٣/١٢م بعثت وزارة التجارة البريطانية كتابا إلى وزارة الخارجية حول امتيازات النفط في البصرة ونجد والكويت والبحرين .. راجع: صفوة ، الوثائق البريطانية ، ص ٢٣٤ ، وفي ١٩١٤/٣/٢٠م كتاب من البحرية البريطانية إلى الخارجية حول امتيازات النفط في نجد والبصرة . ص٢٣٥ .

اليمنية ، وتعددت الآراء في الأروقة البريطانية ، فقائل : ان الخطين الأزرق والبنفسجي يشكلان حدود ابن سعود الفعلية ، أما الحكام البريطانيون في عدن فالبعض كانوا يرون أن حدودهم تمتد على بعد ٢٠ ميلا من المنطقة الرملية ، وآخرون اعتبروا أن الخطين البنفسجي والأزرق " حدودا " بالمعنى الكامل للكلمة ، أما ابن سعود فكان يريد أكثر من ذلك ، وقد عبر عن رغبته تلك فيما عرف بخط حمزة [١٠٤].

أطيح بالإمام في ١٩٦٢م ورحل البريطانيون في ١٩٦٧م فورثت الجمهوريتان مشكلة حدودية شائكة ولم تتمكن أي منهما من حسم النزاع مع السعودية لانشغالهما ببعضهما البعض ولادعاء كل منهما مسئوليتها عن كامل الأرض اليمنية .

ولما توحد النظامان وقامت " الجمهورية اليمنية " أعلنت حكومتها أنها " ستسعى من خلال الحوار الأخوي وعبر تغليب المصالح المشتركة إلى حل المشكلات الموروثة بين اليمن وجيرانه "[١٠٥] . وما هي إلا فترة بسيطة حتى أنجز الاتفاق اليمني-العماني الذي أنهى النزاع الحدودي بين الدولتين ، أما النزاع الحدودي اليمني-السعودي فلم يفشل الطرفان فحسب في الوصول إلى الحل المرضي بل إنه حدث صراع جديد أزهق أرواحا وأسال دماء .

هل المشكلة خلاف حدودي أم نزاع إقليمي ؟

أشارت محكمة العدل الدولية إلى أن الاختلاف بين النزاع الإقليمي ونزاع الحدود يتعلق بالدرجة وليس بالنوع ، ورأت أن النزاع الإقليمي يتعلق بنطاق امتداد سيادة الدولة على مساحة من الأرض أو مجموعة من الجزر ، أما

---

[١٠٤] للمزيد من المعلومات حول مفاوضات ابن سعود والبريطانيين بخصوص الحدود السعودية- مع المحميات اليمنية يمكن الرجوع إلى:- جون . س . ولينكسون ، المرجع السابق ، ص ٢٠٧،٢٣٩،٢٤٠،٢٨٧،٣٠٨ .

[١٠٥] حسن أبو طالب : الوحدة اليمنية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ص٣١٢ .

منازعات الحدود فتدور حول رسم خط حدود أو تفسير معاهدة منظمة لمعالمها[١٠٦]. وبالنظر إلى النزاع السعودي-اليمني نجد أنه نزاع إقليمي :-

أولا : دار النزاع بين الدولتين خلال الفترة (١٩٢١-١٩٣٤م) حول عسير ونجران وهي مناطق شاسعة من الأرض تشمل العديد من المدن والقرى والأودية وتضم ساحلا ممتدا يحوي عددا من الجزر أهمها جزر فرسان .

ثانيا : خلال الفترة التي كان اليمنيون مشغولون فيها بمقاومة الاستعمار البريطاني تمكنت السعودية من مد حدودها إلى " الربع الخالي " ، والمعروف أن تلك الصحراء كانت موطن قوم عاد اليمنيين وكانت تعرف بصحراء الأحقاف ، ولأن تلك المنطقة صحراء قاحلة وتكاد تخلوا من الحياة فلم يكن هناك فائدة مرجوة من وراء مد النفوذ إليها ، بل إنه إلى وقت قريب كان " الربع الخالي " يعتبر منتهى حدود الدول المجاورة له . وحيث إن تلك الصحراء تكتنز ثروات وتراثا أصبح ملك جميع أبناء الجزيرة العربية فإنه بالإمكان أن تشترك الدول المجاورة في التنقيب عن خيرات تلك المنطقة وآثارها .

ثالثا : خلال فترة الانسحاب البريطاني من اليمن استولت السعودية على منطقتي " شرورة والوديعة " في ١٩٦٩م[١٠٧] وكانت هناك محاولة للاستيلاء على حضرموت وإقامة منطقة عازلة فيها[١٠٨]

---

(١٠٦) كان ذلك بمناسبة نظر المحكمة للنزاع بين مالي وبوركينا فاسو في ١٩٨٦م للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع: طارق عبد الرؤوف رزق : مبدأ ثبات الحدود الدولية ونهائيتها مع الإشارة إلى نزاع الحدود بين العراق والكويت ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٥م ، ص٨٧-٩٤ .

(١٠٧) القاسمي مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

(١٠٨) Lenore G. Martin , Op.Cit , P57

نظرة على المفاوضات الحدودية(١٩٩٢-١٩٩٨)

أدت أزمة الخليج إلى تأخير الحوار بين الدولتين حتى شهر مايو١٩٩٢ م حيث تبادل الطرفان إشارات عامة عبرت عن الرغبة المتبادلة في إنهاء الملف الحدودي ، ثم عقد اجتماع تمهيدي في جنيف خلال شهر يوليو ١٩٩٢ اتفق الطرفان خلاله على عقد اجتماعات للخبراء لبحث الموضوع تفصيليا ، وبالفعل عقدت عدة جتماعات انصب اهتمام الجانب اليمني خلالها على الاتفاق على آلية التفاوض حيث طالب بتوقيع اتفاق يحفظ الحقوق القانونية للطرفين تحت مسمى " لا ضرر ولا ضرار " في حين انصب اهتمام الجانب السعودي على تأكيد معاهدة الطائف واعتبر أن " المصالح القانونية للطرفين محفوظة بالفعل .. وأنه لا حاجة لتوقيع مثل هذا الاتفاق الذي يفتقد إلى المبررات الشرعية والقانونية "[١٠٩] وخلال القمة السعودية-اليمنية في يونيو١٩٩٥ تم الاتفاق على خطوات عمل منتظمة لتسوية الحدود .

ومن خلال تتبع مسيرة المحادثات نلحظ ما يلي :

١-يلاحظ أن المشكلة الحدودية لا تقفز إلى مقدمة اهتمامات وسائل الإعلام في الدولتين إلا إذا كانت العلاقات بينهما سيئة مما يعطي انطباعا بأن مسألة الحدود أضحت ورقة للمناورة بقصد تحقيق أهداف معينة لهذا الطرف أو ذاك.

٢- المتتبع لسير المباحثات يجد أن كلا من الطرفين يؤكد أن المشكلة الحدودية بسيطة وأن حلها ميسور : إنك إذا شاهدت التلفاز وجدت ابتسامات عريضة ومعانقات حارة بين مسئولي الدولتين ، وإذا فتحت المذياع سمعت تصريحات رنانة بأن " كل شيء على ما يرام " ، وإذا قرأت الصحف رأيت

---

[١٠٩] مشكلات الحدود العربية-العربية ، التقرير الاستراتيجي العربي ، [illegible] مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، ص٣٩١ .

خطوطا ملونة تؤكد أن " العلاقات حميمة " . بعد ذلك بأيام وربما ساعات يندلع صراع ينتج ضحايا فيحتار المرء كيف أدت العلاقات الحميمة إلى هذه العواقب الوخيمة ..؟

٣- المتتبع لتصريحات الطرفين يجد أن الجانب اليمني كثيرا ما يعرب عن رغبته في حل النزاع الحدودي عبر التحكيم ، أما الجانب السعودي فيفضل الحل الثنائي .

٤-يلاحظ أن كل طرف يسعى إلى تحقيق مكاسب معينة قبل التوصل إلى اتفاق التحديد . فقد أكدت المذكرة الرسمية التي قدمتها السعودية إلى الجامعة العربية والأمم المتحدة والتي تحفظت فيها على اتفاقية الحدود اليمنية-العمانية عن جدية السعودية في محاولة الحصول على منفذ إلى البحر العربي عبر اليمن(*). كان أحد الباحثين من دول مجلس التعاون الخليجي قد أشار قبل ذلك بكثير إلى أن " المملكة العربية السعودية المحصورة بين قناة السويس وباب المندب ومضيق هرمز على الخليج ، قد تجد نفسها مضطرة لأن تبحث عن خط لها عبر اليمن تؤمن من خلاله طريق صادراتها النفطية ، حيث إن اقتراحها بإنشاء ممر يعبر سلطنة عمان لم يحظ بالترحيب "[(١١٠)]. أما الجانب اليمني فقد سعى إلى الحصول على مكاسب اقتصادية ، ظن أن

(*) جاء في المذكرة الموجهة للأمانة العامة لجامعة الدول العربية بتاريخ ١٤١٩/٢/١٠هـ-١٩٩٨/٦/٤م " إن المملكة العربية السعودية في الوقت الذي تعرب فيه عن سرورها لتوصل الشقيقتين سلطنة عمان والجمهورية اليمنية إلى اتفاقية الحدود بينهما ، تود أن توضح بأن المملكة ..تلتقي في حدودها مع كل من البلدين الشقيقين ، وأن الاتفاقية المذكورة قد تضمنت تحديدا لتبعية بعض المناطق التي تعتبرها المملكة..جزءا من أراضيها . لذلك فإن المملكة .. تود أن تؤكد على أنها لا تعترف بأية حقوق أو آثار تترتب نتيجة لهذه الاتفاقية في المناطق المشار إليها يكون فيها تجاوز أو مساس بحقوقها " وبالطبع فاليمن هي المعنية لأنه سبق للمملكة أن وقعت اتفاقية حدود مع سلطنة عمان في ١٩٩٠م .

(١١٠) جمال سند السويد : مستقبل الوحدة اليمنية ، حرب اليمن الأسباب والنتائج ، مركز الإمارات للدراسات الاستراتيجية ، الطبعة الأولى **١٩٩٥**؛ ص١١٧ .

مذكرة التفاهم- بنصها على تعزيز التعاون المشترك وتشكيل لجان تتولى ذلك- ستحقق هذا الهدف ،وعند التطبيق الفعلي لم يتحقق ما كان مأمولا ، الجانب السعودي كانت له مطالب أخرى ، والجانب اليمني لم يصل إلى ما كان يطمح إليه ، فتعثرت المفاوضات وانتكست.

٥-يلاحظ أنه مضى أكثر من ست سنوات على بداية التفاوض لم يقدم الطرفان خلالها إنجازا عمليا يذكر ، كلما أنجزاه -ظاهرا- اتفاقيتين : **الأولى** : مذكرة التفاهم الموقعة في مكة المكرمة بتاريخ ٢٧ رمضان ١٤١٦هـ - ديسمبر١٩٩٥ ، **الثانية** : المحضر الموقع في صنعاء بتاريخ ٢٩ /١٩٩٨/٧م كل منهما عبارة عن وعود مستقبلية ، تأكيد على التفاوض ، تشكيل لجان ، اتفاق على تنشيط عملها ، تعهد بمنع الاستحداثات الجديدة ..إلخ . وهذا يقودنا إلى استنتاج أمرين : **الأول** : ليست هناك- بعد - نية صادقة ورغبة جادة في التوصل إلى حل جذري . **الثاني** : إن ما يحدث في الأرض غير ما يدور على مائدة التفاوض ، وكأن مهمة المتفاوضين هي إقرار ما يحدث على الأرض . فكل من الاتفاقيتين وجدتا بعد اشتباكات حدودية وكما أدت مذكرة مكة المكرمة إلى وقف الاشتباكات المسلحة التي حدثت في أواخر ١٩٩٥م فقد أدى محضر صنعاء إلى تهدئة الوضع بعد أحداث جزيرة الدويمة (*).

٦-يلاحظ أنه حدث خلال هذه المرحلة من التفاوض صراعان دمويان في اليمن : **الأول** : خلال المحاولة الانفصالية في ١٩٩٤م ، **الثاني** : أعمال العنف التي قامت بها بعض القبائل(*) خلال شهري يونيو/يوليو ١٩٩٨م ،وقد

(*) **كانت** اليمن قد أكدت أن الجزيرة يمنية بينما أكدت السعودية أنها تمتلك الجزء الأكبر من الجزيرة ؛ وفي محضر صنعاء تم النص على أن " تجتمع اللجنة العسكرية المشتركة .. لإبقاء الوضع كما هو عليه حاليا في الجزيرة بحسب ما هو متفق عليه في اللقاء الميداني العسكري .." !!

(*) **ذكرت** الأنباء أن عدد القتلى تجاوز الخمسين أما الجرحى فبلغوا **أكثر** من مائتين.

اتهمت السعودية -بدرجة متفاوتة- بالتدخل في تلك الصراعات والعمل على تأجيجها ، ففي أثناء كل صراع أو بعده تحدث اشتباكات حدودية بين الدولتين ، بعد القضاء على المحاولة الانفصالية حدث توتر شديد على جانبي الحدود ووقعت عدة حوادث ، وجهز كل فريق عدته لمواجهة الآخر وكادت الحرب أن تنشب لولا تدخل بعض الوسطاء ، وأسفرت تلك المساعي عن تشكيل لجنة عليا من الدولتين أنتجت مذكرة التفاهم . وأثناء المواجهة بين الدولة اليمنية وبعض القبائل وقع حادث " الدويمة ".

أسباب تعثر الطرفين في إيجاد تسوية حدودية

أولا : إن الحدود اليمنية-السعودية -والتي تمتد من البحر الأحمر غربا حتى عمان شرقا وبطول يتجاوز الألف ميل- هي أطول الحدود في الجزيرة العربية ومن ثم فإن اختلاف الدولتين حول بضعة كيلوا مترات عرضا يؤدي إلى مئات الكيلومترات مساحة.

ثانيا : إذا كانت المنازعات بين الدول تستغرق سنوات عديدة بسبب مساحة محدودة على البر أو جزيرة صغيرة أو خط حدودي في البحر فإن النزاع السعودي-اليمني يشمل البر والبحر والجزر ، لقد أدى الخلاف حول جزيرة صغيرة فقط(جزيرة الدويمة) إلى حدوث مجابهة مسلحة في أواخر يوليو ١٩٩٨ أسفرت عن مصرع بعض اليمنيين وأدت إلى توتر شديد بين الدولتين وكادت أن تعصف بالمفاوضات .

ثالثا : لا يوجد - جغرافيا أو تاريخيا - إقليم " سعودي " ولذلك من الصعب على الجانب السعودي أن يقبل الاعتماد على المعايير الجغرافية والتاريخية ، كما أنه من الصعب على الجانب اليمني الموافقة على المعيار السياسي لأنه معيار تحكمي ومرن يسمح بسعودة أية منطقة في جزيرة العرب كمما

يعني صعوبة توصل الطرفين إلى الأسس التي بناء عليها يتم تقرير تبعية منطقة ما لهذا الطرف أو ذاك .

رابعا : من يتتبع وضع اليمن خلال هذا القرن يجد أن فترات الصراع كانت أكثر من فترات الاستقرار ، مما أدى إلى التغيير المستمر في الأنظمة والحكومات ولذلك لم يكن الملف الحدودي يمثل أهمية لأية حكومة تتولى زمام الأمور ، كما أنه كان من الصعب أن ينفرد نظام واحد - في ظل تنازع الجمهوريتين - في إقرار تسوية حدودية.

خامسا : إذا كان التفاوض المباشر من أفضل طرق تسوية المنازعات الحدودية لأنه يمتاز عادة بالمرونة والسرية التي تؤدي إلى حصر شقة الخلاف فإن هذا يصدق في الحالة التي تكون فيها الوحدات السياسية متكافئة[١١١] . والواقع أن التكافؤ بين الدولتين منعدم طوال هذا القرن ، فقد رأينا أنه عندما اندلع النزاع بين الدولتين بعد الانسحاب العثماني كانت الدولة اليمنية منشغلة بصراعها مع بريطانيا وبمشاكلها الداخلية ، وأثناء مفاوضات التسعينيات شهدت اليمن حربا داخلية لم يخف الدور السعودي فيها ، ثم إن الدولة السعودية من الدول الأكثر ثراء على مستوى العالم أما الدولة اليمنية فمن الدول الأكثر فقرا ولذلك فمتطلبات الجانبين مختلفة ، فالأولى تبحث عن مزيد من الأراضي ومزيد من المنافذ البحرية كي تعزز من مكانتها الاستراتيجية ودورها الإقليمي ، أما الثانية فتبحث عن الاستقرار الاقتصادي والمعيشي.

سادسا : النزاع الإقليمي بين الدول يحل عادة بواسطة جهة محايدة تبحث أسانيد كل طرف وأدلته ، ولما كان النزاع السعودي-اليمني كذلك فإنه من

---

[١١١] حول هذا الموضوع راجع : أستاذنا الدكتور/ حازم جمعة : إقليم الدولة وحدودها في القانون الدولي العام ، دار النهضة العربية ، ص١١٩-١٢٠ .

الصعوبة بمكان التوصل إلى حل مرضٍ عبر التفاوض المباشر ، فالتفاوض حينئذ سيكون جدالا عقيما بين الطرفين ، كل طرف سيدعي أن حجته دامغة وبرهانه ساطع وكلما قدم أحدهما دليلا سارع الآخر للتشكيك فيه وهدمه . والمفاوضات التي دارت بين الإمام يحي وابن سعود خلال الفترة ١٩٢٦-١٩٣٤م خير دليل على ذلك(*).

سابعا : إن الأسلوب العسكري الذي اتبع إبان النزاع السعودي-اليمني خلال الفترة ١٩٢١-١٩٣٤م أدى إلى تعقيد النزاع وإطالة أمده . إن الانتصار العسكري لأحد الأطراف يجعل المنتصر والمهزوم يعيشان في قلق دائم ، يظل كل منهما يتوجس خيفة من الآخر ، فالمهزوم يتحين الفرص للانقضاض واستعادة ما يراه حقا ، والهازم يظل متيقظا يرصد تحركات خصمه خوفا من المفاجئات .

ويبدوا أن هذا هو السبب الرئيسي لاستمرار النزاع خلال العقود المتلاحقة من هذا القرن ، فلو أن الطرفين حلا نزاعهما حول " عسير " بطريقة سلمية لما لطخت العديد من صفحات الملف الحدودي بالدماء ولما حدثت كل التراكمات السلبية التي أثقلته وجعلت رجال الدولتين ينوءون بحمله .

وهكذا يتضح أن " عسير " ، جعلت النزاع السعودي-اليمني عسير. فهيا نبحث الوضع القانوني لـ " عسير " .

(*) راجع : فصل " المفاوضات " ص ١٤٦-١٦٣ .

الباب الأول

الوضـع القانوني لعسـير

لكي نتعرف على الوضع القانوني لابد أن نبحث ثلاثة أمور :

- ❑ وضع عسيـــر جغرافيا
- ❑ وضع عسيـــر تاريخيا
- ❑ السيادة على عسيـــر بعد الانسحاب العثماني

الفصل الأول

وضع عسير جغرافيا

المبحث الأول

تبعية عسير
حسب التقسيم الجغرافي للجزيرة العربية

قسم علماء الجغرافيا(*) الجزيرة العربية إلى أقسام رئيسية أهمها :-

- اليمن
- الحجاز
- نجد

ووفقا للتحديد الذي وضعوه لكل قسم فإنه " يفصل بين اليمن وبين باقي جزيرة العرب خط واحد من حدود عمان وسرّين إلى حدّ ما بين اليمن واليمامة فإلى حدود الهجيرة وتثليث .."(112) " حتى ينتهي إلى ناحية يلملم ثم على ظهر الطائف .. حيث تُكوّن اليمن نحو الثلثين من ديار العرب "(113) " على أن من

(*) راجع :-

- أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المتوفى سنة ٣٣٤هـ : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن عبد الله بن بلهيد النجدي ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٥٣م .
- شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المتوفى سنة ٦٢٦هـ-١٢٢٨م : معجم البلدان ، طباعة دار صادر ، بيروت .
- زكريا بن محمد بن محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت .
- أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي : مسالك الممالك ، مطبعة بريل في ليدن ١٩٢٧م

(112) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، المصدر السابق ، ص ٥١

(113) الكرخي ، مسالك الممالك ، المصدر السابق ، ص١٤

العلماء بتقسيم هذه الديار من زعم .. أن مكة المكرمة من تهامة اليمن لقربها منها "[١١٤] .

والراجح أن مكة حرسها الله هي قاعدة الحجاز ، وقد سميت الحجاز كذلك لأنها تحجز بين اليمن والشام "[١١٥] وتشمل المدينة المنورة وما يليها شمالا حتى حدود بلاد الشام[١١٦] .

وتمتد نجد من نفود الدهناء غربا إلى أطراف جبال الحجاز الشرقية ، ومن ناحية الشمال تبدأ من النفود الكبرى وأطراف بادية البصرة وتمتد صوب الجنوب إلى أطراف الربع الخالي[١١٧].

في ضوء ذلك التحديد والتقسيم فإن عسير - سراة وتهامة - تقع داخل الحدود الجغرافية لليمن . فعندما تحدث الجغرافيون عن سلسلة جبل السراة وما وقع باليمن منه كان من ذلك .. سراة باه من الأزد ، سراة الحال الشكر ، سراة زهران .. و كانت الليث آخر غور سراة اليمن[١١٨].

ولما تحدثوا عن تهامة أكدوا أنها ما انخفض من بلاد اليمن مع ساحل البحر من السرّين من جهة الحجاز إلى آخر أعمال عدن درة البحر الهندي[١١٩] .

---

[١١٤] المصدر السابق ، ص١٥

[١١٥] القزويني . آثار البلاد وأخبار العباد . مصدر سابق ، ص٨٤

[١١٦] محمد حسن عبد الكريم : التجارة وصرفها في الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن الرابع الهجري ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٤م ص٣

[١١٧] المصدر السابق ، ص٤ ، الكرخي مصدر سابق ، ص١٤

[١١٨] الهمداني ، مصدر سابق ، ص٦٧-٧١

[١١٩] قواعد اليمن ومدنه عند ابن سعيد : مشار إليه في تحقيق د/ حسن سليمان محمود لكتاب تاريخ اليمن لنقيه نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي اليمني ، دار الثناء للطباعة ، ص٨٤ ، ١٤٩

ولما ذكروا ما يحيط باليمن من بحر القلزم(*) قالوا " ثم ينعطف البحر على اليمن مغربا وشمالا من عدن فيمر بساحل لحج .. وبسواحل بني مجيد من المندب .. فساحل زبيد .. إلى الشرجة ساحل بلد حكم فباحة جازان إلى عثر فرأس عثر وهو كثير الموج إلى ساحل حمضة ، فهذا ما يحيط اليمن من البحر "[١٢٠].

ولما عددوا ما وقع في سواحل اليمن من الجزر كان من ذلك " دهلك ، وكمران ، وزيلع وجزائر فرسان .. "[١٢١].

(*) هذه هي التسمية التي كانت تطلقها كتب التراث على البحر الأحمر .

[١٢٠] الهمداني ، ص٥٢ ، الحموي ، ص٤٤٧-٤٤٨

[١٢١] الهمداني ، ص٥٢

المبحث الثاني

عسير في المؤلفات الجغرافية

خلال بحثي عن عسير في كتب الجغرافيا والتاريخ خصوصا المؤلفات القديمة لم أجد اسم " عسير " وجدت تلك المؤلفات تتحدث عن المناطق التي تتكون منها عسير حاليا وتشير مباشرة إلى أنها يمنية سواء كانت واقعة على جبل السراة أو في تهامة ، وعلى سبيل المثال قالوا عن :

- **بيشة** : هي اسم قرية غناء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن[١٢٢]،ويعتبرها العرب مفتاح اليمن من جهة الشمال الشرقي[١٢٣]
- **حلي** : مدينة باليمن على ساحل البحر .. قال الشاعر :-

فوالله ما أحببت سدراً ببلدة   من الأرض حتى سدر حلي اليمانيا[١٢٤]

- **صبيا** : مدينة بالقرب من جيزان ينسب إليها :

- المؤرخ : عبد الرحمن بن أحمد البهكلي الصبيباني التهامي اليماني ، له مؤلفات متنوعة ، توفي عام ١٢٤٨هـ-١٨٣٢م[١٢٥].

- الشاعر اليماني : منصور بن عيسى بن سحبان ، ذكر أنه كان أكبر شعراء وقته ، توفي عام ٧٢٥هـ-١٣٢٥م[١٢٦]

- **وادي نعمان** : بينه وبين مكة نصف ليلة قال الشاعر [١٢٧]:-

---

(١٢٢) الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص٥٢٩

(١٢٣) راجع :-

- مصطفى مراد الدباغ ، جزيرة العرب موطن العرب ومهد الإسلام ، مرجع سابق ، ص٢٢٤
- د/ محمد حسن العيدروس ، تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ، مذكور سابقا ، ص٢١٧

(١٢٤) الحموي ، المجلد الثاني ، ص٢٩٧

(١٢٥) مصطفى الدباغ ، ص٢١٣ ، ويشير إلى الأعلام ٤ : ٦٨

(١٢٦) المرجع السابق ، ويشير إلى الأعلام ٨ : ٢٤١

ألا أيها الركب اليمنيون عرجوا   علينا فقد أضحى هوانا يمانيا

نسائلكم هل سال نعمان بعدنا   وحب إلينا بطن نعمان واديا

عهدنا به حيدا كثيراً ومشربا   به تنقع القلب الذي كان صاديا

والواقع أن اسم " عسير " لم يبرز إلا في مرحلة متأخرة وخصوصا من بعد أن قررت الدولة العثمانية جعل تلك المناطق متصرفية -تحمل هذا الاسم- قاعدتها مدينة أبها ، وقد عرفنا سابقا أنه عندما تم الصلح بين الدولة العثمانية والأمير اليمني محمد بن عائض في ١٨٦٦م تم تعيينه في تلك المناطق باسم قائم مقام " العزيزية اليمانية ".

وقد يكون السبب في إطلاق اسم عسير على تلك المناطق خصوصا السراة منها هو وعورة مسالكها ومنعة جبالها ، فلم تتمكن الدولة العثمانية من إخماد ثورة القبائل اليمنية في تلك المناطق إلا بصعوبة بالغة وبعد أن أرسلت عدة حملات[١٢٨] ، ويرى البعض أن تلك التسمية نسبة إلى أكبر قبيلة تسكن تلك المناطق وتسمى قبيلة " عسير "[١٢٩].

وإذا بحثنا في سكان عسير وأنسابهم نجدهم عبارة عن مجموعات من القبائل أهمها :-

- قبيلة عسير : ويرجع نسبها إلى قبيلة الأزد من أعظم القبائل اليمنية المعروفة[١٣٠].

---

[١٢٧] عبد الله بن محمد خميس : المجاز بين اليمامة والحجاز ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ١٩٧٠م ، ص٢٨٦-٢٨٧ .

[١٢٨] راجع :

- د/ محمد حسن العيدروس ، ص٣٥.
- الواسعي ، ص٩٩

[١٢٩] مصطفى مراد الدباغ ، ص٢٠٦

[١٣٠] المرجع السابق .

- قبيلة قحطان : تقع منازلها بين نجـران وعسيـــر وتمتـد حتـى وادي الدواسر ، وفي بلاد قحطان أودية عديدة أهمها وادي تثليث مسكن " عمـــرو بن معد يكرب[131] الزبيدي " وينتهي نسبه إلى كهلان .
- قبيلة وادعة : يعرفون باسم وادعة ظهران وهم من أبناء عـــم اليـاميين سكان نجران[132] وقبيلة يام ترجع في أنسابها إلى " حاشد "[133] من أعظـــم القبائل اليمنية .

والحق أن تبعية عسيـر لليمن لم تصبح محل نقاش إلا في مرحلـــة تاليـة للنزاع السعودي- اليمني ، أما قبل ذلك فكان هذا الأمر من البديهيات :

- هاهو أحد السائحين يسجل مشاهداته عن " القنفـذة " و" أبـــها " و" وادي بيشة " وغيرها من مناطق عسـير في مؤلـــف أسـماه " الرحلـة اليمانية " بعد رحلة قام بها في ١٣٢٩هـ-١٩١١م[134]
- وها هو الرحالة اللبناني الشهير أمين الريحاني الذي جاب أنحـــاء الجزيرة العربية خلال عامي ١٩٢١،١٩٢٢م ، وسعى الى تقريب وجـــهات النظر بين زعمائها المتنافسين ، يختم مؤلفه بعدد من النتائج منها :

١-أن " اليمـــن هو الأصل الذي تتفرع منه نجران وعسيـر سهـــولا وحـــزونا "[135]

---

(131) اسم سبئي حميري كان من الشعراء الفرسان أدرك الإسلام فأسلم ، وكان الخليفة عمر بن الخطـــاب يعـده بألف فارس ، وله في اليرموك بلاء حسن وقد ذهبت فيها إحدى عينيه ، وأبلى بلاء حسنا في القادسية أيضـــا وفي حصار نهاوند . انظر : المرجع السابق ، ص٢١٦

(132) المرجع السابق ، ص٢١٧

(133) حسين خلف الشيخ خزعل ، المرجع السابق ، ص٤٨

(134) الشريف البركاتي : الرحلة اليمانية ، القاهرة ، ١٣٣٠هـ-١٩١٢م . مشار إليه في : مصطفى الدباغ ، مرجـع سابق ، ص٢١٢

(135) ملوك العرب ، ص ٩١٧ .

٢-توقع استمرارية النزاع السعودي-اليمني حيث قال " لو فرضنا أن أكثر الأقطار العربية دانت لابن سعود ، فيظل القطر اليماني عاصياً خارجاً محاربا ، ولو فرضنا أن الإمام يحي اكتسح الأقطار الغربية والجنوبية كلها فبسط سيادته من حضرموت إلى الطائف ومن نجران إلى جيزان ، وتقدم طالباً تحقيق الوحدة كلها فإنه ليجد في نجد سداً لمطامعه عاليا منيعا .."[١٣٦] ،وقد اقترح -لكي تنتهي المنازعات في الجزيرة العربية- أن تقسم الجزيرة بالتساوي بين ابن سعود والإمام يحيى .

وقبل أن نختم هذا الفصل هناك ملحوظة جديرة بالذكر ، فقد وجدت أن عسير تنتشر فيها المسميات على وزن " فعلان " مثل : شهران ، زهران ، قحطان ، ظهران ، جيزان .. إلخ وهذا الوزن منتشر بكثرة في مختلف المناطق اليمنية خصوصا الجبلية منها مثل : خولان ، سنحان ، نجران ، عمران ، صعفان ، همدان ، بعدان ، حيسان .

---

[١٣٦] المصدر السابق ، ص٩١٨ .

الفصل الثاني

وضع عسير تاريخيا

(هل بسطت الدولة اليمنية سيادتها على عسير)

بعد أن تعرفنا على تبعية عسير من الناحية الجغرافية واتضح أنها جزءا من اليمن الطبيعية ، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هل بسطت الدولة اليمنية نفوذها على عسير ؟ الإجابة تقتضي أن نعرض للدولة اليمنية خلال المراحل المختلفة من التاريخ .

المبحث الأول

الدولة اليمنية قبل الإسلام

يذكر المؤرخون أن الدولة اليمنية شمل نفوذها أنحاء الجزيرة العربية ، وأحيانا امتد إلى خارجها ، ويستدل على ذلك بالآثار والنقوش التي اكتشفت " في شواطئ البحر الأبيض وخليج البصرة وأعالي الحجاز ومشارف الشام "[١٣٧].

ويقال إن يعرب بن قحطان أول من حياه قومه بتحية الملك وكان من أعاظم ملوك العرب ، وبعده ملك ابنه يشجب ، ثم عبد شمس ويسمى سبأ لأنه أول من سن السبي وغزا الأقطار ، وجاء في حديث عن عبد الله ابن العباس رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض ؟ قال : " بل هو رجل ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة

---

[١٣٧] محمد عزة دروزة : الوحدة العربية ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، ١٩٥٧م ، ص٥٨،٥٩ .
ويرجع إلى د/ جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ، جرجي زيدان : تاريخ العرب قبل الإسلام .

وبالشام منهم أربعة . فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحِمير ، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان "[١٣٨].

" واستمرت الرياسة والملك في هذه الطبقة اليمانية أزمنة وآمادا .. وأحياء ربيعة ومضر تبعا لهم . فكان الملك بالحيرة للخم في بني المنذر ، وبالشام لغسان في بني جفنة ، وبيثرب كذلك في الأوس والخزرج .."[١٣٩]. وظل الراسخ في اعتقاد البدوي بتوالي الأجيال إلى أن الإذعان للدولة اليمنية فرض واجب عليهم إلى أن ذهبت هيبتها من قلوبهم نتيجة انهزامها أثناء الغزو الحبشي[١٤٠]

التأثير الحضاري اليمني في الجزيرة العربية

إن الحضارة التي وجدت قبل الإسلام في الجزيرة العربية ، والتي ذكرتها الكتب السماوية وتحدثت عنها المصادر التاريخية ، هي الحضارة اليمنية التي كان لها تأثير واضح على مستوى الجزيرة العربية ، ويكفي في هذا الصدد أن نشير إلى أن اليمنيين هم الذين عمروا أغلب مناطق الجزيرة العربية ، كما كان لهم دور فعال في ازدهار جزيرة العرب تجاريا واقتصاديا ، وسنتناول ذلك بشيء من التفصيل:

---

(١٣٨) أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي : البداية والنهاية ، تحقيق : د/ أحمد أبو ملحم ، د/ علي نجيب عطوي وآخرون ، دار الحديث ، القاهرة ، ص١٤٧

(١٣٩) العلامة المؤرخ ومؤسس علم الاجتماع عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، ص٧٦،٦٧،٨٦،٥٠٠،٥٠١

(١٤٠) يقال إنه حدثت قبل ذلك محاولة للخروج عن الدولة اليمنية من قبيلتي بكر وتغلب حين أعلنتا عن عدم دفع الإتاوة أو الخراج لزهير بن جناب الكلبي الذي ولاه صاحب اليمن عليهم ، فما كان من زهير إلا أن قاتلهم إلى أن هزموا . راجع : محمد حسن عبد الكريم ، التجارة وطرقها في الجزيرة العربية ، مرجع سابق ، ص٢٩، ٣٠

أولا : تعمير الجزيرة العربية :

من المعروف أن اليمنيين نبغوا منذ القدم في بناء المدن وتنظيمها ، وعلى سبيل المثال فقد " وصف هيرودتس قبل المسيح بأربعمائة سنة بلاد العرب السعيدة بأنها من أغنى بقاع العالم ، وأنه كان في مأرب أو سبأ التي ورد ذكرها في التوراة قصور نضرة ذات أبواب عسجدية ، وآنية من ذهب وفضة ، وسرور من المعادن الثمينة "(١٤١).

وقد قام اليمنيون بعمارة أغلب مناطق جزيرة العرب(*) ، وكان لقبيلة الأزد اليمنية دور كبير في ذلك ، فمنها من استقر في يثرب ، ومنها من سكن عمان(١٤٢) ، أما قبيلة طي اليمنية فنزلت منطقة جبل شمر واستقرت فيها منذ عهد سحيق(١٤٣) ، كما أن الرعيل الأول الذي استقر في منطقة العروض(*) وصلها من اليمن(١٤٤) .

عمارة مكة المكرمة : شاء الله أن يتولى اليمنيون بناء مكة المكرمة وتعميرها ، وإعدادها لاحتضان بيت الله الحرام ، فقد ورد في كتب السير أنه عندما رزق الله إبراهيم عليه السلام بابنه إسماعيل انطلق به وبأمه هاجر

---

(١٤١) د/ غوستاف لوبون : حضارة العرب ، نقله إلى العربية : عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الثانية ١٣١٧هـ-١٩٤٨م ، ص١١٨

(*) جاء في سلسلة دراسات تاريخ الجزيرة العربية الصادرة عن كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، الكتاب الثالث ص١٦٠ " وعلى ذكر البرك يمكن الإشارة إلى ما حققه عرب جنوب الجزيرة عندما أنشئوا البرك ذات الأشكال والأحجام المختلفة على سفوح الجبال وحواف الوديان ، وانتقل هذا النظام بدون شك إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام وأثناء العصور الإسلامية "

(١٤٢) راجع : ابن كثير : البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ص٩٤

(١٤٣) د/ عبد العزيز عبد الغني إبراهيم ، مرجع سابق ، ص١٤٥

(*) كان يطلق هذا الاسم على المناطق الواقعة على ساحل الخليج ، وقد سميت بهذا الاسم لأنها تعترض اليمن ونجد والعراق . راجع : محمد حسن عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص

(١٤٤) راجع : مقدمة كتاب " دولة الإمارات العربية المتحدة ، وزارة الإعلام ، ٢ ديسمبر ١٩٧٢م .

فوضعهما بواد غير ذي زرع ، ثم حصل ما هو معروف من نبع ماء زمزم ولم يكن بمكة يومئذ أحد ، وأثناء مرور رفقة من قبيلة جرهم اليمنية رأوا طائرا عائفا فقالوا إن هذا الطائر ليدور على الماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأقبلوا وأم إسماعيل(عليهما السلام)عند الماء ،قالوا تأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ قالت نعم . فأرسلوا إلى أهليهم ونزلوا هناك ، فنشأ إسماعيل بينهم وتعلم منهم العربية ، ثم تزوج منهم[١٤٥] ، هذه القصة المتواترة في كتب التاريخ والسير تدل على ما يلي :

١-قولهم " لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء " يدل على أن صلة اليمنيين بالحجاز متوافرة منذ عهد بعيد .

٢-قولهم لأم إسماعيل (عليهما السلام) " تأذنين لنا أن ننزل عندك " يدل على أن اليمنيين كانوا فعلا أهل حضارة ومدنية ، وكانت لهم أخلاقيات يلتزمون بها ،فقد كان بإمكانهم اغتصاب الماء عنوة وحرمان الوليد وأمه منه .

٣-إن التلاحم والترابط بين بني إسماعيل واليمنيين كان قويا منذ البداية ، كما أنه تواصل بعد ذلك ، فإذا كان إسماعيل عليه السلام قد ترعرع بين اليمنيين وتزوج منهم ، فإن تلك العلاقة استمرت مع أحفاده . فقد ذكر المؤرخون أن من بقي سالما بعد مذبحة بختنصر من أبناء عدنان بن إسماعيل وإخوته لحق بطوائف اليمن وتزوج منهم[١٤٦] كما أن قصي بن كلاب – وهو الذي أعاد تنظيم قريش وجعل لها مكانة بين القبائل العربية – تزوج من قبيلة خزاعة اليمنية[١٤٧] . ومن ثم فإن ما يذكر من

---

(١٤٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ص١٤٥،١٤٦

(١٤٦) راجع : ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص٦١٨

(١٤٧) راجع: ابن كثير ، البداية والنهاية ، ص١٧٣

قصص عن العداوة بين عرب الشمال وعرب الجنـــوب فـــي الجزيـــرة العربية أمر مبالغ فيه[١٤٨]

ولاية البيت الحرام : ذكر المؤرخون أن ولاية البيت الحرام بقيت في أيـدي اليمنيين مئات السنين . في البداية تولاها الجرهميون(أخوال بنـــي إســماعيل) واستمروا على ذلك مدة طويلة ، فلما فسدوا وبغوا قاتلتهم قبيلة يمنية أخرى هـــي قبيلة خزاعة حتى أجلتهم[١٤٩] وتولت هي أمر البيت الحرام لمدة ثلاثمائـــة ســنة وقيل خمسمائة[١٥٠] . وتولى أمر البيت بعد ذلك قصي بن كلاب –حفيد إسـماعيل عليه السلام وجد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم– وكان قد صاهر آخر الخزاعيين الذين كانت لهم الولاية .

وخلال بحثي لهذا الأمر لم أتمكن من معرفة الأسباب التي أدت إلى انتقـــال ولاية البيت الحرام من أحفاد إسماعيل إلى أحفاد اليمنيين ، فإن كان ذلـــك تـــم غصبا وعنوة فأن تلك الولاية باطلة ، فإذا كان من حق اليمنيين أن يحكموا مكـــة أو يتزعموها سياسيا على اعتبار أنه كان لـــهم الـــدور الأساســـي فـــي بنائـــها

---

[١٤٨] يقول الدكتور جواد علي " الحق أن ما نسميه قحطانية وعدنانية إنما هو صفحة من صفحات النزاع الحـــزبي عند العرب في الإسلام ، شاء أصحابه ومثيروه رجعه إلى الماضي البعيد ، ووضع تاريخ قديم له .." راجع : المفصـــل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ١٩٦٨م ، الجزء الأول ، ص٤٩٣

[١٤٩] يقال أن عمرو بن الحارث الجرهمي لما أجلته خزاعة عن البيت الحرام ، ورجع بقومه إلى اليمن قال شعرا مما جاء فيه :–

ونحن ولينا البيت من بعـــد نابت   بعز فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعـــززنا فأعظـــم بملكنـــا   فليس بحي غيرنا ثم فاخـــر
فإن تنـــثني الدنيا علينـــا بحالها   فإن لها حالا وفيها التشاجر
أخرجنـــا منها المليك بقـــــدرة   كذلك يا للناس تجري المقادير

راجع :– أبي الفداء إسماعيل بن كثير : السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحـــد ، مطبعـــة عيســـى الحلـــبي ١٩٦٤م ، ص٥٨،٥٩.

[١٥٠] ابن كثير . البداية والنهاية ، ص١٧٢.

وعمارتها ، فإنه لا حق لهم في ولاية البيت وأمر السقاية إلا إذا تنازل بنوا إسماعيل عن ذلك للأسباب الآتية :

١-جعل الله إسماعيل عليه السلام سبب نبع ماء زمزم المبارك ، وكانت أمه قد اشترطت على اليمنيين ألا يكون لهم حق التصرف في الماء فوافقوا على ذلك .

٢-إن إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام) هما اللذان قاما -تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى- بإعادة بناء البيت الحرام قال تعالى " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم "[١٥١]

دفاع اليمنيين عن مكة المكرمة : عندما تحرك أبرهة الحبشي بجيشه لهدم الكعبة المشرفة وأخذ أحجارها لبناء المبنى الذي كان ينوي إقامته في صنعاء ، كان اليمنيون الوحيدون في الجزيرة العربية الذين تصدوا له .

يروى " أن رجلا من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر دعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام ، فتصدى لأبرهة وقاتله إلا أنه هزم مع أصحابه . ولما وصل أبرهة إلى خثعم تصدى له نفيل بن حبيب الخثعمي مع قبيلتي خثعم وهما شهران وناهس فقاتلوه حتى أخذ نفيل أسيرا .

فلما وصل أبرهة إلى الطائف خرج إليه رجال ثقيف فقالوا : أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد (يعنون اللات) إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه "[١٥٢]

---

[١٥١] الآية (١٢٧) ، سورة البقرة .

[١٥٢] ابن كثير : السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ص٣١،٣٢

ويقال إنه عندما أرسل الله طيرا أبابيل على أبرهة وجيشه خرجوا هـــاربين يسألون عن نفيل بن حيب الخثعمي الذي أسروه ليدلهم على الطريق إلى اليمـــن فأنشد أبياتا من الشعر منها(١٥٣) :

حمدت الله إذ أبصـــرت طيرا   وخفت حجــارة تلقى علينا

وكل القوم يســألون عن نفيل   كأن علي للحبشـــان دينـــا

ولذلك وفدت مشيخة قريش وعظماء العرب على الملك اليمني سيف بـن ذي يزن(١٥٤) بعدما تحقق له النصر على الأحباش ، وتبارى شعراء الجزيرة العربيـة في نظم قصائد التهنئة والمديح(١٥٥) .

وكان مما قاله أحد شعراء ثقيف :

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا   في رأس غمدان داراً منك محلالا

واشرب هنيـئا فقد شالت نعاقهم   وأسبــل اليــوم في برديك إسبالا

ومما قالـــه أحد بنـــي تميـــم :

ما بعد صنـــعاء كان يعمـــرها   ولاة مــــلك جـــزل مـــواهبهـــا

رفعها من بنى لدى قزع الــ   ــمزن(*) وتندى مسكاً محاربها

بعـــد بنـــي تبّـــع نخـــاورة(*)   قـــد اطمـــأنت بهـــا مرازبهـــا

---

(١٥٣) المصدر السابق ص٣٦

(١٥٤) ذكر المؤرخون أن سيف أعطى الوفد مائة من لابل ، وعشرة من العبيد ، وعشرة **وصائف** ، وعشرة أرطـــال من الذهب ، وأعطى عبد المطلب أضعاف ذلك . راجع : ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص١٢

(١٥٥) المصدر السابق ، ص٤٥،٤٦

(*) قزع المزن : السحاب المتفرق .

(*) النخاورة : الكرام .

ثانيا : ازدهار التجارة على مستوى الجزيرة العربية

اهتمت الدولة اليمنية بالتجارة فكان لها صلات تجارية واسعة بالبلاد الأخرى[١٥٦] ، ونتيجة لذلك صارت شبه جزيرة العرب المعبر الرئيسي للتجارة بين الإقليم الموسمي في الشرق وحوض البحر المتوسط غربا ، وبين الأقاليم المدارية في شرق أفريقيا وحوض المتوسط شمالا[١٥٧] ، مما أدى إلى الازدهار الاقتصادي حيث كانت الأسواق التجارية تقام على مدار السنة في مختلف مناطق الجزيرة العربية[١٥٨]، وكانت القوافل التجارية تجوب أنحاء الجزيرة عبر الطرق المحددة لها والتي كان أهمها[١٥٩] :

١-طريق مأرب-البترا : تبدأ هذه الطريق من مأرب فنجران ثم مكة المكرمة فيثرب حتى تصل في النهاية إلى بترا . ويمر في هذا الطريق الإنتاج الزراعي لليمن والسلع الأفريقية التي تصل عبر الموانئ اليمنية .

٢-طريق جرا-مأرب : تبدأ من جرا على الخليج(بالقرب من ميناء العقير الآن) ومنها إلى واحة الهفوف شرقاً ثم اليمامة ، وبعدها وادي الدواسر فنجران فمأرب .

وقد كان لموقع مكة على الطريق التجاري بين اليمن والشام أثر كبير في ازدهارها ونمائها ، كما استفاد القرشيون من التجربة اليمنية فقاموا بتنظيم

---

[١٥٦] راجع : د/ غوستاف لوبون ، المرجع السابق ، ص١١٩،١٢٠

[١٥٧] د/ محمود طه أبو العلا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، مرجع سابق ، ص١٢٦

[١٥٨] راجع : محمد حسن عبد الكريم ، مرجع سابق ، ص١١٣ . وقد اعتمد في تعداده للأسواق التي كانت تقام في الجزيرة على المراجع التالية :-

- اليعقوبي في كتابه تاريخ اليعقوبي.
- المرزوقي في كتابه الأزمنة والأمكنة.
- الألوسي في كتابه بلوغ الأرب .

[١٥٩] د/محمود أبو العلا ، المرجع السابق ، ص[illegible]

القوافل التجارية حتى أصبح لهم رحلتان تجاريتان كل عام إحداهما إلى اليمن والأخرى إلى الشام وهما رحلة الشتاء والصيف المذكورتان في القرآن العظيم .

المبحث الثاني

اليمن في ظل الخلافة الإسلامية

لما انهارت الدولة اليمنية نتيجة الغزو الخارجي انفصمت عرى الوحدة السياسية في الجزيرة العربية ، وظل الحال كذلك مدة تربوا على القرن .

شاء الله الخير لأبناء الجزيرة فاختار أحدهم ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين ، فلم ينتقل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الرفيق الأعلى إلا وقد عم الإسلام أرجاء الجزيرة العربية وأصبح أبناؤها موحدين فكرا وعقيدة وسياسة.

كانت اليمن ضمن الأجزاء المكونة للدولة الإسلامية ، فتارة كان يعين لها وال واحد ، وأحيانا كان يرسل لها عدد من الولاة (١٦٠) ، وفي بعض الأوقات -

---

(١٦٠) عندما أسلم باذان أقره رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) على جميع مخاليف اليمن . ولما - وبلغ رسول الله خبر وفاته -وهو منصرف من حجة الوداع - قسم عمله على جماعة من الصحابة : على صنعاء : شمر بن باذان ، حضرموت : زياد بن لبيد البياضي ، مأرب : أبا موسى الأشعري ، نجران : عمر بن حزام ، الجند : يعلى بن أمية ، همدان : عامر بن شمر الهمداني ، عك والأشعريين : الطاهر بن أبي هالة ، ما بين نجران وزبيد : خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى السكاسك والسكون : عكاشة بن ثور بن أصغر الغوثي ، وعلى معاوية بن كندة : عبد الله المهاجر بن أبي أمية .

ويروى أن رسول الله توفي وعماله على اليمن ثلاثة : فيروز الديلمي على صنعاء وأعمالها ، ومعاذ بن جبل على الجند ومخاليفه ، وزياد بن لبيد على حضرموت وأعمالها .

راجع :-

- ابن خلدون : مصدر سابق ، ص٨٤٣ .
- الشيخ/ عبد الراسع بن يحي الواسعي ، ص[illegible]

خصوصا بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية- كان يعين وال واحد لليمن والحجاز[161].

أسباب مسارعة اليمنيين إلى الدخول في دين الله أفواجا

يرى البعض أن التردي الذي شهدته اليمن نتيجة الغزو الحبشي ، ثم الاحتلال الفارسي هو الذي أدى إلى مسارعة اليمنيين لاعتناق الإسلام[162].

ومن خلال البحث في التاريخ اليمني نجد أمرين في غاية الأهمية :

الأول : أن اليمنيين عرفوا بالحكمة ، واشتهروا بأنهم إذا عرفوا الحق اتبعوه :

- ❖ هاهي الملكة بلقيس تتصرف بعقل وحكمة -كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم- عندما وصلتها رسالة نبي الله سليمان " قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون . وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون "[163] ، ولما تبين لها الحق " قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين "[164].
- ❖ وهاهو الملك تُبّع يتوجه إلى يثرب لتدميرها بسبب اغتيال بعض أهلها لابنه ، ولما جاءه حبران من اليهود وأخبراه بما سيكون عليه أمر يثرب رجع عن تدميرها ، وفي أثناء عودته إلى اليمن ، توجه إلى مكة

---

(161) في خلافة الإمام علي بن أبي طالب استعمل على اليمن عبد الله بن عباس ، ولما صار الأمر لمعاوية استعمل على اليمن عثمان بن عثمان الثقفي ، ولما استولى الحجاج بن يوسف على مكة وُلِّيَ على الحجاز واليمن واليمامة ، وقد استعمل على صنعاء أخاه محمد بن يوسف الثقفي ، وظل **عاملا** عليها إلى أن توفي عام ٨٦هـ راجع : المصدر السابق .

(162) حسن أبو طالب ، الوحدة اليمنية ، ص٢٥

(163) الآيتان (٣٤،٣٥) ، سورة النمل .

(164) الآية (٤٤) ، سورة النمل .

المكرمة قطائف بالبيت وأمر بكسوة الكعبة المشرفة ، فكان أول من سن هذا الأمر(١٦٥)

الثاني : أن اليمنيين توارثوا النبوءة بقدوم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق أحبار اليهود نقلا عما ورد في التوراة :

١-ذكرت كتب التاريخ أن الملك سبأ قال أبياتا من الشعر بشّر فيها بالنبي، وأوصى اليمنيين باتباعه(١٦٦) :

ويملك بعد قحطان نبي	تقي جبينه خير الأنام
يسمّى أحمد يا ليت أني	أعمّر بعد مبعثه بعام
متى يظهر فكونوا ناصريه	ومن يلقاه يبلغه سلامي

٢-ذكر المؤرخون أن تُبّع لما علم من أحبار اليهود بأمر النبي الذي ستحتضنه يثرب قال شعراً مما جاء فيه(١٦٧):

شهدت على أحمد أنه	رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره	لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعدائه	وفرجت عن صدره كل هم

٣-ذكرت الروايات أن الملك سيف بن ذي يزن أسرّ إلى عبد المطلب - عندما وصل إليه للتهنئة ضمن وفد قريش- بخبر رسول الله فيما يعلم من أمره . ويذكر المؤرخون أن الملك سيف أكرم عبد المطلب وأعطاه من الهدايا أضعاف ما أعطى سائر الوفد(١٦٨)

---

(١٦٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ١٥١

(١٦٦) المصدر السابق ، ص٤٧

(١٦٧) المصدر السابق .

(١٦٨) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ص٦٥ [illegible] ابن خلدون ، ص٢٤

الدور اليمني في إقامة الخلافة الإسلامية

لما كان الإسلام رسالة للناس كافة ، شاء الله أن تشارك مختلف الجنسيات في حمل الدعوة الإسلامية منذ البداية ، فقد كانت الكوكبة التي آمنت بالرسالة في وقت مبكر مكونة من العربي والفارسي والحبشي والرومي .

ولما كان اليمنيون هم بناة حضارة الجزيرة العربية فقد شاء الله أن يكون لهم الدور الأكبر في إقامة دولة الإسلام ،فأحفاد اليمنيين أولئك الذين نزلوا يثرب واستقروا فيها كانوا هم الذين آووا حفيد إسماعيل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصروه . ولم تكن اليمن ببعيدة عن أحفادها ، فما إن وضع رسول الله أساس الدولة الإسلامية في المدينة ، حتى أمدته بالكوادر التي كانت دولة الإسلام الفتية بحاجة إليها خاصة في الميادين العسكرية ، ولذلك اعتبر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إسلام اليمنيين فتحا ونصرا ، ففي الحديث عن ابن عباس(رضي الله عنه) قال " بينما رسول الله بالمدينة إذ قال : الله أكبر إذا جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم نقية قلوبهم ، حسنة طاعتهم ، أو كلمة نحوها ، الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية "[١٦٩].

وفي ظل الإسلام واصل اليمنيون عطاءهم الحضاري ، سواء من حيث إمداد المسلمين بما يحتاجونه[*] ، أو من حيث الدفاع عن الإسلام والانطلاق به إلى مختلف بقاع الأرض ، أو من حيث إثراء مختلف العلوم الإسلامية .

---

[١٦٩] نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحرير الحافظين : العراقي وابن حجر .

[*] على سبيل المثال :

في مجال الملابس : ظلت كسوة الكعبة ترسل من اليمن بانتظام منذ أن سن الملك اليمني تُبّع هذه العادة ، كما كانت ترسل الأثواب المشهورة بجودتها ، وكما هو معروف فقد لُفّ الجسد الشريف لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاثة أثواب بيض يمنية .

في مجال الأسلحة : كان الحسام اليماني مشهورا ، لما حبس الحجاج أحد اللصوص ويدعى "جحدر"كان يقطع الطريق ويخيف المارة في اليمامة قال أبياتا من الشعر منها :=

ولم يبالغ أحد أساتذة التاريخ عندما قال " إن بلاد العرب السعيدة لم تشكل بتاريخها القديم ينبوعا غزيرا من ينابيع الحضارات العالمية الخالدة فحسب ، بل إن شجاعة أهلها كانت الدعامة التي ارتكز عليها الإسلام عند ظهوره ، فهم الذين آووا النبي ونصروه في حروبه وغزواته حتى ثبت دين الله في الأرض ، فضلا عن أن اليمنيين كانوا أكثر مادة الجيوش التي فتح بها العرب ملك كسرى وقيصر ، في فارس والعراق والشام ومصر وأفريقية والأندلس.. وبالتالي كان لهم الفضل في نشر دعوة الإسلام في أرجاء العالم ، وتعريب عالمنا العربي"[170].

-فقلت لصاحبي دعا ملامي وكفّا اللوم عني واعذراني

أليس الله يعلم أن قلبي يحبك أيها البرق اليماني

إذا جاوزتما سعفات حجر وأودية اليمامة فانعياني

وقولا جحدر أمسى رهينا يحاذر وقع مصقول يماني

راجع:- عبد الله بن محمد بن خميس ، المجاز بين اليمامة والحجاز ، مذكور سابقا ، ص٢٤

[170] د/ حسن سليمان محمود : تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٩٦٩م . وقد أشار إلى عدد من العلماء اليمنيين الذين لمعت أسماؤهم في مختلف فنون المعرفة مثل :العالم اللغوي المشهور خليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي ، فيلسوف العرب المشهور : الكندي ، والعالم اللامع : الحسن بن أحمد الهمداني صاحب الإكليل وصفة جزيرة العرب ، العالم الكبير صاحب الموسوعة الضخمة في اللغة والأدب : نشوان الحميري ، العالم والمؤرخ الشهير ، مبتدع علمي الاجتماع وفلسفة التاريخ : ابن خلدون . وأشار إلى عدد من اليمنيين الذين سطعت أسماؤهم في سماء الشعر مثل امرؤ القيس ، المتنبي ، ابن العلاء المعري ص٣-٤

المبحث الثالث

اليمن بعد تفكك الخلافة الإسلامية

بدأت أحوال الدولة العباسية تضطرب منذ أوائل القرن الثالث الهجري ، ولم يأت القرن الرابع حتى استقلت الكثير من الولايات[١٧١] ومن بينها اليمن[١٧٢]

القوى التي توالت على حكم اليمن بعد تفكك الخلافة الإسلامية(*) :-

م	قادة الحكم	عاصمة الحكم	مدة الحكم
١	الزياديون	زبيد	٢٠٥-٤٠٢هـ/٨٢١-١٠١٢م
٢	الصليحيون	صنعاء ـ جبله	٤٣٩-٥٣٢هـ/١٠٤٥-١١٣٨م
٣	المهديون	زبيد	٥٥٣-٥٦٩هـ/١١٥٨-١١٧٤م
٤	الأيوبيون	الجند ، تعز	٥٦٩-٦٢٦هـ/١١٧٤-١٢٢٩م
٥	الرسوليون	تعز ، زبيد	٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٩-١٤٥٤م
٦	الطاهريون	عدن ـ رداع	٨٥٨-٩٣٣هـ/١٤٥٤-١٥١٧م
٧	الأئمة	صنعاء	١٠٥٤-١٢٨٩هـ/١٦٤٤-١٨٧٢م

---

(١٧١) راجع:- غوستاف لوبون ، مرجع سابق ، ص ١٧٩.

(١٧٢) راجع: أمين سعيد: اليمن تاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري ،١٩٥٩م ، ص١٢-١٣.

(*) بالنسبة للقوى الأخرى مثل بنوا يعفر في صنعاء وبنوا نجاح في زبيد وبنوا زريع في عدن،فهي امتداد للقوى المذكورة، فقد عين يعفر الحميري عاملا على صنعاء من قبل الخليفة العباسي ٢٦٣هـ ، وحتى عندما استولى محمد بن يعفر على الجند وحضرموت فإنه كان مواليا لابن زياد في زبيد ويحمل إليه الخراج، أما بنو نجاح فكانوا من موالي بني زياد وحكموا منطقة محدودة لفترة محددة فقد قضى عليهم الصليحيون قبل أن يتمكنوا من توسيع سلطتهم، وأما بنوا زريع فقد كان كل من العباس والمسعود بني المكرم اليامي الهمداني المعروف بابن زريع يحمل الخراج إلى الملكة أروى. راجع: أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م، ص١٨٣.

وما يهمنا في هذا المقام هو معرفة الامتداد الإقليمي للدولة اليمنية ، ووضع عسير في ظل تلك الحكومات .

إقليم الدولة اليمنية في ظل تلك الحكومات

- **في ظل الحكم الزيادي** : عندما اضطربت اليمن على الخليفة العباسي المأمون بعث محمد بن عبد الله بن زياد واليا عليها فاستطاع إخماد الثورات وملك حضرموت والشحر وأبين ولحج وعدن والتهايم ، والجند وصنعاء وصعدة وبيحان ونجران وجرش(*) .. إلخ(١٧٣) ، وبذلك تمكن من إقامة دولة يمنية امتدت من ظفار إلى مكة المكرمة ، ولم تعد تربطها بالخلافة العباسية سوى رابطة شكلية . ويذكر المؤرخون أن من أهم إنجازات الحكم الزيادي " إنشاء الجوامع الكبار والمنارات الطوال من حضرموت إلى مكة حرسها الله ، وطول المسافة التي بني فيها ستون يوما ، وكل مرحلة عشرة أيام ، في كل مرحلة جامع ومصانع للماء "(١٧٤)

- **في ظل الحكم الصليحي** : بقي علي بن محمد الصليحي مدة طويلة يعد العدة للوصول إلى حكم اليمن ، ولما استولى آل نجاح-موالي بني زياد- على الحكم بدأ الصليحي تحركه الفعلي لتحقيق هدفه ، وكانت جبال حراز منطلقه(١٧٥) ، وكان أبناء نجران والمناطق اليمنية القريبة من الحجاز أكثر من اعتمد عليهم للوصول إلى هدفه ، ولقربهم من الحجاز كان يطلق عليهم

(*) كانت تقوم عند أرض وادي بيشة وقد ذكرت في كثير من المراجع العربية القديمة ويقال أنه لم يبق منها إلا الأطلال والخرائب [مصطفى الدباغ ، ص٢٢٣]

(١٧٣) نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي اليمني : تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، تحقيق : محمد بن علي الأكوع ، مطبعة لجنة البيان العربي ، الطبعة الأولى ١٣٦٠هـ-١٩٦٧م ، ص٤٥-٥٣

(١٧٤) المصدر السابق ، ص٦٦-٧٥

(١٧٥) أحمد شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ، ص١٩٠

الحجازيون[١٧٦] ، ولم تخرج سنة خمس وخمسين من القرن الخامس الهجري وما بقي من اليمن سهل ولا وعر ولا بحر إلا فتحه الصليحي[١٧٧] ، كما تولى الصليحي أمر مكة المكرمة فأقام فيها العدل والأمن ودار الأراضي المقدسة إدارة محمودة[١٧٨]

- **في ظل الحكم المهدي :** بدأ علي بن مهدي الحميري حياته واعظا في إحدى قرى زبيد حتى ذاع صيته وصار له أنصارا في بعض المناطق الجبلية فانتقل إليهم ، ومن هناك انطلق للسيطرة على بقية المناطق إلى أن تمكن من الاستيلاء على اليمن أجمع ، وكان يخطب له بالإمام المهدي أمير المؤمنين وقامع الكفرة والملحدين[١٧٩] .
- **في ظل الحكم الأيوبي :** بعد وفاة المهدي تولى حكم اليمن بعده أحد أبنائه ويدعى عبد النبي ، وقد تواردت الأخبار إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي في مصر أن باليمن رجل خارجي يزعم أن ملكه يسير مسير الشمس ، ويقال إن صلاح الدين غضب لسماع ذلك فأرسل أخاه فخر الدين توران شاه إلى اليمن في عسكر جرار[١٨٠] . وقد دخل توران شاه مكة حرسها الله في رمضان ٥٦٩هـ ، ثم توجه إلى زبيد واستولى عليها ، ثم عدن ، حتى تم لهم حكم اليمن كله وعره وسهله[١٨١] ، وكانت مكة تابعة لهم يحكمونها من مقرهم في اليمن ،وعندما استولى عليها حسن بن قتادة

---

(١٧٦) راجع :- محمد بن علي الأكوع في تحقيقه لكتاب المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد ، المصدر السابق .

(١٧٧) عمارة اليمني ، المصدر السابق ، ص١١٦ .

(١٧٨) أحمد شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ، ص١٩١.

(١٧٩) ابن خلدون ، الجزء السابع ، ص٤٦٨-٤٧٠ .

(١٨٠) تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني المتوفى سنة ٧٤٣هـ : بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق : عبد الله محمد الحبشي ، محمد أحمد السنباني ، دار الحكمة اليمانية ، ص١٢٣.

(١٨١) المصدر السابق ، ص١٣٣.

توجه إليه الملك المسعود بن الكامل من اليمن فأخرجه من مكة في ربيع ٧١٩هـ[١٨٢].

❖ **في ظل الحكم الرسولي** : كان عمر بن علي بن رسول[*] قائد الجيش في عهد الحكم الأيوبي ، وقد تولى حكم اليمن بعد وفاة الملك المسعود ، ثم تتابع الحكم لأحفاده من بعده . ومن يبحث في الحكم الرسولي يجد أنه أعاد إلى الأذهان الحضارة اليمنية القديمة . فمن ناحية بقي الحكم متوارثا في بني رسول مدة تزيد على القرنين من الزمن ، كلما هلك ملك ورثه آخر[١٨٣] ، ومن ناحية ثانية توقف الاقتتال الذي كان يدور دائما بين الحكومات السابقة وبين أئمة المذهب الزيدي ، فقد جنحوا للسلم في ظل الحكم الرسولي[١٨٤] ، ومن ناحية ثالثة أضحت للدولة اليمنية علاقتها الدولية المتعددة فقد كان ملوك بني رسول يتبادلون الرسل والهدايا مع ملوك مصر والهند والصين وغيرها[١٨٥] كما شهدت اليمن ازدهارا اقتصاديا[*] وتقدما علميا في كافة المعارف[*] ،وقد قام الحكم الرسولي بضبط الحرمين

---

[١٨٢] المصدر السابق ، ص١٣٨

[*] ينتهي نسبه إلى كهلان بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان [تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ، المصدر السابق ، ص١٣٩ .]

[١٨٣] راجع : قائمة حكام بني رسول في : أحمد شرف الدين ، المرجع السابق ، ص٢٢٥،٢٢٦ وتبدأ القائمة بالملك المنصور عمر بن علي بن رسول في ٦٢٦هـ وتنتهي بالملك المسعود أبو القاسم بن الأشرف الثالث في عام ٨٥٨هـ .

[١٨٤] يروى أنه عندما توفي الملك المظفر في رمضان ٦٩٤هـ قال أحد أئمة الزيدية " مات تبع الأكبر ، مات معاوية زمانه ، مات من كانت أقلامه تكسر سيوفنا وسلاحنا " تاج الدين عبد الباقي اليماني ، المصدر السابق ، ص١٧٢

[١٨٥] راجع : تاريخ اليمن في الدولة الرسوليه . حققه ووسع مقدمته وعلق عليه هيكواشي ياجيما . طوكيو ١٩٧٦م .

[*] على سبيل المثال : تم زراعة الأرز لأول مرة في اليمن في ظل هذا الحكم . راجع المصدر السابق .

[*] يروى أن خزانة أحد ملوك بني رسول حوت ما يزيد على مائة ألف مجلد في مختلف المعارف راجع : تاج الدين عبد الباقي اليماني . بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، ص١٨١

الشريفين ضبطا مرضيا[(١٨٦)] ، ففي بداية العهد الرسولي جاءت عسكر مصر واستولت على مكة المكرمة فتوجه الملك عمر بن رسول بنفسه فاستخلصها[(١٨٧)] ، وبقيت مكة في أيدي بني رسول مدة حكمهم لليمن ، فكان المحمل الشريف الذي يحمل كسوة الكعبة المشرفة يرسل باستمرار من مقر الحكم الرسولي ، وكان أشراف مكة يفدون سنويا إلى مقر الحكم في تعز أو زبيد لحل مشكلاتهم ، وقضاء حوائجهم ، والحصول على الصدقات السلطانية[(١٨٨)] . ومما جاء في التاريخ الرسمي لبني رسول بتاريخ ربيع أول ٨١٦ه " وصل القاضي أمين الدين مفلح التركي من مكة المشرفة هو والتجار والمال الذي أخذه الشريف حسن بن عجلان(شريف مكة) .. وصفح مولانا السلطان عن التجار الواصلين العشور في تلك السنة ، وأمر مولانا السلطان سائر المتصرفين في البنادر والسواحل ببسط العدل والرفق لسائر التجار "[(١٨٩)] .

- **في ظل الحكم الطاهري :** ينسب هذا الحكم إلى عامر بن طاهر وكان واليا على عدن من قبل ملوك بني رسول ، ولما ضعف أمر الدولة الرسوليه ووهنت قوتها تولى الحكم بنو طاهر[(١٩٠)] ، واستمر حكمهم حتى غزا الجراكسة اليمن في ٩٠٤ه ، وقد دارت بينهم وبين آل طاهر معارك شرسة أسفرت عن مقتل عامر بن عبد الوهاب آخر ملوك بني طاهر في ٩٢٣ه[(١٩١)]، وإثر ذلك حصل الفتح العثماني الأول لليمن .

---

(١٨٦) أحمد شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ، مصدر سابق .

(١٨٧) تاج الدين عبد الباقي اليماني ، بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، ص١٤٣، ١٤٤

(١٨٨) تاريخ اليمن في الدولة الرسوليه ، المصدر السابق . ص٤٠، ٨٦، ١٢٨

(١٨٩) المصدر السابق ، ص٩١ .

(١٩٠) أحمد شرف الدين ، ص٢٢٧.

(١٩١) أحمد شرف الدين ، ص٢٣٥-٢٣٩

❖ في ظل حكم الأئمة : منذ أن استقر الإمام الهادي يحي بن الحسين في صعدة عام ٢٨٨ه لم تنقطع محاولات الأئمة الزيدين لحكم اليمن ، وقد عاصروا كل الحكومات السابقة ، فتارة كانوا ينشطون ويتحركون ، وتارة يهدئون ويسكنون ، وتارة يجدون أنه لا قبل لهم بمقاومة الحكم القائم فيتصالحون معه . وظل حالهم في مد وجزر ، واتساع وانكسار ، إلى أن حصل الفتح العثماني الأول لليمن في ٩٤٥ه-١٥١٧م ، فتزعم الأئمة المقاومة ضد العثمانيين لمدة تزيد على مائة سنة حتى تم جلاؤهم عن اليمن ، وقد سيطرت قوات الإمام المؤيد على جميع المدن اليمنية التي كانت في قبضة العثمانيين بما فيها زبيد ، وجزيرة كمران ، وجزائر فرسان[١٩٢].

وامتد حكم الأئمة من ظفار شرقا إلى المخلاف السليماني[١٩٣]غربا ومن عدن جنوبا حتى مشارف مكة شمالا .

وضع عسير في ظل تلك الحكومات

لم يكن اسم عسير قد برز في تلك الفترة ، وكان المسمّى المتداول في ذلك الوقت " عثر " أو " حلْي " أو " الشرجة " أو " المخلاف السليماني " إلخ . وكانت المصادر التاريخية تتحدث عن مناطق عسير باعتبارها من أعمال زبيد في شمالها ، وتشير إلى أن عثر هي قاعدة الحكم ، وأن أمرائها كانوا داخلين في طاعة صاحب زبيد ، يخطبون له ويؤدون إليه الخراج[١٩٤] . ونجد أن المؤرخين عندما يتحدثون عن زبيد يصفونها بأنها " مملكة اليمن " شمالها الحجاز رجنوبها البحر الهندي[١٩٥] .

---

[١٩٢] د/ فاروق عثمان أباظة ، الحكم العثماني في اليمن ، ص٣٦ .

[١٩٣] د/ محمد حسن العيدروس ، تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ، ص١٤٨ .

[١٩٤] راجع : د/محمد زينهم محمد عزب : تاريخ اليمن ، دراسة وتقديم وعرض وتحقيق ، ص١٤١، ١٤٢ .

[١٩٥] ابن خلدون ، ص٤٧٢ .

وقد حاولت أن أستقصي الاضطرابات التي حدثـــت فـــي عســير خـلال **الحكومات** السابقة فوجدت الآتي :-

- **خلال حكم بني زياد :** عندما توفي محمد بن عبد الله بن زيـــاد-مؤســس **الحكم الزيادي**- قام بعده زياد بن إبراهيم ، ثم ملك بعده أخـــوه أبـــو الجيـش **إسحاق بن إبراهيم** ، وفي عهده استولى سليمان بن طرف على المخلاف مـــن **الشرجة إلى حلي** ، وحاول الخروج عن حكم زبيد حيث جعل السكّة والخطبـة **باسمه ، ولما لم يقدر** على مواجهة الحكم القائم عاد فدخل فـــي طاعـــة ابـــن **زياد**[١٩٦].

- **خلال حكم بني رسول :** سجل التاريخ الرسمي لحكم بني رسول مختلـف **الوقائع التي كانت تحدث في ذلك العهد ، ومما جاء فيه ما يلي :**

- في سنة ٧٧٤هـ " خالف أشراف جازان والمخلاف السليماني فأغار عليهم الأمير فخر الدين من حرض .. حتى دخلوا تحت الطاعـــة ، وسـلموا الخيول والمال والرهان .. وصدرت إلى الأبواب الشريفة الأفضلية بتعـز المحروسة "[١٩٧] .

- في نهار الثلاثاء ٢٠صفر ٨١٥هـ "وصل صاحب دهلـك إلـى البـاب الشريف مستنجدا بمولانا السلطان الملك الناصر علـــى اخوتـه كونـهم أخرجوه من البلد وكان الحكم له دونهم .. أرسل مولانا السلطان الملـك الناصر الأمير بدر الدين حسن العدني إلى دهلك بأمر أهلها بالصلح هـم

---

[١٩٦] راجع:-

- تاج الدين عبد الباقي اليماني ، ص٢٧،٢٨

- د/محمد زينهم ، ص١٤١.

[١٩٧] تاريخ اليمن في الدولة الرسولية ، المصدر السابق ، ص٣٣ .

وأخوهم .. فأجابوه بالسمع والطاعة ، وأن البلاد بلاد مولانا السلطان ، وأن لا خلاف لما رسم به عليهم ، وذلك في أول ربيع أول "[١٩٨]

- في رمضان المعظم ٨١٨هـ " وصلت البشائر بأن الأمراء دخلوا إلى جازان .. وقد وصل الشريف خالد بن قطب الدين صاحب جازان إلى الباب الشريف فصفح عنه مولانا السلطان "[١٩٩] .

- في نهار الجمعة رمضان ٨٣٦هـ " وصل القاضي رضى الدين أبو بكر بن محمد الصنعاني من شرفة حرض ، ووصل معه بعشر من الخيل من شيخ الشرجة ، وهو باذل الخدمة والطاعة لمولانا السلطان "[٢٠٠] .

❖ **خلال حكم الأئمة :** كان التحدي الأكبر الذي واجه حكم الأئمة هو نزاعهم فيما بينهم ، ففي بعض الأحيان كان يدعي الإمامة أكثر من شخص ، وكانت المعارك بينهم هي الفيصل . في تلك الأثناء كان موقف ولاة المناطق يختلف من وال إلى آخر ، فمنهم من كان يساند إماماً ضد آخر ، ومنهم من كان يستغل الفرصة ليستقل لحساب نفسه .

وفيما يتعلق بالمنطقة التي نبحثها نجد أنه عندما قام الحسين بن القاسم بمعارضة الإمام المهدي في ١٧١٢م واعتبر نفسه أحق بالإمامة منه فإن أمير أبي عريش وقف إلى جانبه وحارب الإمام المهدي ، لكن الإمام المهدي ألقى القبض عليه ثم أعدمه[٢٠١] .

---

[١٩٨] المصدر السابق . ص٨٩، ٩٠ .

[١٩٩] المصدر السابق . ص٩٧ .

[٢٠٠] المصدر السابق . ص١٥٦.

[٢٠١] راجع : د/ محمد حسن العيدروس ، ص١٤٩-١٥٠ .

الفصل الثالث

السيادة على عسير
بعد الانسحاب العثماني

ظلت الجزيرة العربية تتبع الخلافة العثمانية إلى أن تفككت على إثر الحروب العالمية الأولى . هذا الفصل يسلط -في مبحث أول- الضوء على وضع عسير خلال الحكم العثماني ، ويبحث -في ثلاثة مباحث- وضعها القانوني بعد رحيل العثمانيين من الجزيرة العربية .

المبحث الأول
وضع عسير
خلال الحكم العثماني

كانت الخلافة العثمانية تقسم المناطق التي تحكمها إلى " إيالات " (ولايات) وكل ولاية مقسمة إلى أجزاء أصغر تسمّى " سناجق " (متصرفيات)[٢٠٢].

وعندما بسط العثمانيون سلطانهم على جزيرة العرب قسموها إلى ثلاث ولايات هي: ولاية اليمن ، ولاية الحجاز ، ولاية نجد .

وقد جاء في تقرير عن الجزيرة العربية أعدته دائرة الأركان العامة لوزارة الحرب البريطانية في عام ١٩٠٧م " تقسم ولاية اليمن التركية إلى أربعة سناجق وهي صنعاء والحديدة وتعز وعسير ، عاصمة الولاية

---

(٢٠٢) أندريه ريمون : المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، ترجمة : لطيف فرج ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى . ١٩٩١ ، ص٢٣ .

صنعاء ، وميناءها الرئيسي الحديدة ، ويقدر عدد السكان بصورة تقريبية بثلاثة ملايين .."(٢٠٣).

وقد تتابع على حكم ولاية اليمن العديد من الولاة العثمانيين كان آخرهم " محمود نديم بك " ، وكان الوالي يمارس سلطاته من مركز الولاية صنعاء ، ويتبعه متصرفون في " السناجق " الأربعة(٢٠٤).

وفي ضوء التنظيم الإداري العثماني كان كل " سنجق " يقسم إلى تقسيمات إدارية أصغر يطلق على كل منها " قائمقامية " (أقضية) .

ويوضح الجدول التالي(٢٠٥) عدد الأقضيات والنواحي والقرى التابعة لكل متصرفية :-

المتصرفية	أقضياتها	نواحيها	قبائلها	عزلها	قراها
صنعاء	٨	٢٦	—	١٠٣	٣٦٧٢
الحديدة	٨	١٦	٣٨	١٧٣	
عسير	٦	١	٣٤٣	—	—
تعز	٥	١١	—	٢٧٦	٢٦٦٧

كانت عسير تتألف من مركز المتصرفية " مدينة أبها " وست أقضيات: اثنتان منها في السراة وهما النماص الواقعة شمال أبها وشرقي القنفذة ، وغلمد الواقعة شمالي النماص ، وشرقي مرفأ دوقة الواقع على البحر الأحمر .

(٢٠٣) نجدة فتحي صفوة : الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ، المجلد الأول ، مصدر سابق ، ص١٣٢.

(٢٠٤) د/ محمد حسن العيدروس ، ص٦٣.

(٢٠٥) حسب ما جاء في الجريدة الرسمية لعام ١٩٠٤ ، مأخوذ عن المرجع السابق .

وتقع الأربع الأقضيات الأخرى بتهامة عسيـر وهي: رجال ألمع ومركزها الشعبة وتقع في منتهى سفل جبل الحجاز غربي أبـها ، ومحايـل ومركزها محايل ، والقنفـذة الواقعة على البحر الأحمر ، وصبيـا الواقعـة فـي الجهـة الشرقية من مرفأ جيـزان[٢٠٦] .

المبحث الثاني

وراثة الحكم العثماني

عرفنا ــ في الباب التمهيدي ــ أن السلطان عبد العزيز بن سعود والشريف حسين شريف مكة تحالفا مع بريطانيا وقاما بمحاربة العثمانيين وإخراجهم مـن نجد والحجاز ، بينما رفض الإمام يحي الوقوف إلى جانب الإنجليز مما أدى إلى بقاء العثمانيين في اليمن حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

ولما قام الحاكم البريطاني في عدن بإبلاغ الوالي العثمـاني فـي صنعـاء بشروط " صلح مودروس الذي نص على استسلام القـوات التركيـة المطلـق للحلفاء في البلدان العربية (العراق ، سوريا ، الحجـاز ، اليمـن) "[٢٠٧]، رد عليه الوالي العثماني بأن الأسلحة والممتلكات التركية في اليمـن سيتم تسـليمها إلى لإمام يحيى باعتباره الوارث الشرعي للحكم العثماني في اليمن ، ولضـرورة تأمين البلاد قبل الانسحاب[٢٠٨] .

وقد دخل الإمام يحيى صنعاء في نوفمبر ١٩١٨م بناء على الدعـوة التـي وجهها إليه الوالي العثماني[٢٠٩] ، كما قام الوالي بتسليم الإمام الأسلحة والمعدات

---

(٢٠٦) عمـر رضا كحالة : جغرافية شبه جزيرة العرب ، ١٩٤٤ ، ص٢٨١-٢٨٢.

(٢٠٧) مجموعة من المؤلفين الروس : تاريخ اليمن المعاصر -١٩٨٢م ، ترجمة : محمد علي البحر ، مراجعة : د/محمد أحمد علي ، مكتبة مدبولي ١٩٩٠م ، ص٧ .

(٢٠٨) راجع : د/ فاروق عثمان أباظة ، المرجع السابق ، ص٥٠٢ .

(٢٠٩) المرجع السابق ، ص٤٢٠ .

العسكرية ، والمقرات الحكومية . وبذلك أصبح الإمام الـوارث الفعلـي للحكـم العثماني في اليمـن[٢١٠] .

وفي ضوء أحكام التوارث الدولي[٢١١] ترتب على ذلـك التسـليم والتسـلم النتائج الآتية :-

أولا : أصبحت السلطة الجديدة المسئولة عن الإقليم (السـيادة الإقليميـة) وعن الأشخاص والرعايا المقيمين عليه (السيادة الشخصية).

ثانيا : أصبحت السلطة الجديدة صاحبة الاختصاص في عقـد المعـاهدات الدولية المتعلقة بالإقليم اليمني سواء كانت معـاهدات حـدود أو عقـود منـح امتيازات أو غيرها.

ثالثا : أصبحت السلطة الجديدة صاحبة الاختصاص فـي اسـتخدام القـوة المسلحة سواء للدفاع عن سلامة الإقليم اليمني أو للمحافظة على النظام والأمـن داخل الإقليم.

رابعا : إذا حدث تنازع بين السلطة الجديدة والقوى المحلية الأخـرى فإننـا نكون بصدد نزاع داخلي لا يجوز للأطراف الخارجية التدخل فيه .

الموقف الدولي من تسليم العثمانيين السلطة للإمام يحي

كان طبيعيا أن يسلم العثمانيون السلطة إلى الإمام يحيى أثناء انسحابهم مـن اليمن لأنه كان القوة الرئيسية فيها ، بل إن الإمام " كان من أهـم القـوى علـى مستوى الجزيرة العربية "[٢١٢]. فبينما سعت عدة قوى في الجزيرة إلى التقـرب

---

(٢١٠) مجموعة من المؤلفين الروس ، تاريخ اليمن المعاصر ، ص٧-٩ .

(٢١١) حول التوارث الدولي راجع : أستاذنا الدكتور/أحمـد أبو الوفا : الوسيط في القـانون الـدولي العـام ، دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٩٩٦م ، ص٤٢٤-٤٣٦ .

(٢١٢) راجع:-

-Lenore G. Martin: The Unstable Gulf, Op. Cit, p14

من بريطانيا والحصول على دعمها فإن بريطانيا سعت أثناء الحـــرب العالميــة الأولى إلى اكتساب الإمام إلى جانبها ، لكنه رفض كل العروض وأكد التزامـــه بالاتفاق الذي أبرمه مع العثمانيين في ١٩١١م . وهذا مــا أكــده أحــد الحكـام البريطانيين في عدن[٢١٣]

ومع أن بريطانيا سعت بعد الجلاء العثماني إلى إعـــادة تشــكيل الخريطــة السياسية للجزيرة العربية بما يتواءم مع أهدافها إلا أنها أقرت بـــالوضع الجديــد "لولاية اليمن العثمانية "، فعندما كان الإمام يطالب الإنجليز بتسليمه جنوب اليمــن كانوا يحتجون عليه أنه "بصفته وريثا للدولة التركية في اليمن عليـــه أن يلــتزم بالاتفاق الانجلو-تركي بخصـــــوص المحميــات ، وفقـــا لمقتضيــات القــانون الدولي"[٢١٤].

وفي الوقت الذي وضعت فيه العديد من الولايات العربية العثمانية تحــت الانتداب البريطاني فإن ولاية اليمن أضحت دولة مستقلة منذ تسلم الإمام يحيــى السلطة من العثمانيين في نوفمبر ١٩١٨م . وقد تأكد استقلال اليمن وصــودق عليه واعترف به دوليا في ٢٤يوليو ١٩٢٣م في أثناء الدورة الثانية لمؤتمــر الصلح الذي عقد بمدينة لوزان[٢١٥]

---

[٢١٣] حيث يقول :-

-"During the 1914-18 War he had remained true to an agreement with his Turlish overlords .. Every endeavor made by us to win him over to our side was unsuccessful "
Hickinbotham , Aden , Op.Cit , p66

[٢١٤] د/عمــر عبد الله باحسون ، مرجع سابق ، ص٣٩ .

[٢١٥] د/فاروق أباظة ، المرجع السابق ، ص٤٢٢ .وقد قررت اتفاقية لوزان أن تتحمل الدولة اليمنية جــزءا مــن الديون العثمانية التي كان لها ارتباط بمشاريع تم تنفيذها في اليمن [المواد ٤٦-٥٤] ، وقد أشار الجدول الموضــح للمديونية العثمانية إلى طريق صنعاء — الحديدة .

المبحث الثالث

الوضع الإقليمي للدولة اليمنية بعد الانسحاب العثماني

لا شك أن الوضع الإقليمي أو الحدود الإقليمية للدول المستقلة من أهم المسائل التي تثور عقب الاستقلال الذي يترتب عليه انتقال السيادة من الدولة السلف إلى الدولة الخلف ، والحل المتفق عليه دوليا في هذا الشأن هو " مبدأ الحدود الموروثة "(٢١٦) ويقضي المبدأ بأن ترث الدولة الخلف الحدود كما كانت عليه في تاريخ خلافة الدول .

وقد ظهر المبدأ(٢١٧) بهذا المفهوم سنة ١٨١٠م في أمريكا الجنوبية عقب الاستقلال الجماعي لأقاليمها فتحولت الحدود الإدارية إلى حدود دولية ، ثم تطور وأصبح مبدءاً عالميا طبق في آسيا وأفريقيا وأوربا(٢١٨).

وقد حسم القضاء الدولي العديد من نزاعات الحدود بناء على هذا المبدأ ، ففي النزاع بين مالي وبوركينا فاسو الذي عرض على محكمة العدل الدولية عام ١٩٨٦م قالت المحكمة " إن هذا المبدأ معترف به في القانون الدولي .. إنه مبدأ عام وله صلة منطقية بظاهرة الاستقلال ، وهدفه الواضح هو حماية سيادة الدول الجديدة ، وتأمين استقرارها بدلا من أن تجد نفسها قد تورطت في قتال انتحاري مبعثه الخلاف حول الحدود "(٢١٩)

---

(٢١٦) محمد قجالي : ضبط الحدود الإقليمية للدول ومبدأ حسن الجوار الحالة الجزائرية-التونسية ، رسالة ماجستير ، ١٩٩٠ ، ص٢٥٤.

(٢١٧) راجع : أستاذنا الدكتور أحمد أبو الوفا ,Abou El Wafa . A . " Arbitration and adjudication " Revue Egyption Droit International , 1986 p103-104

(٢١٨) محمد قجالي : ضبط الحدود الإقليمية للدول ومبدأ حسن الجوار ، ص٢٤٥،٢٤٦.

(٢١٩) قالت المحكمة : " There is no doubt that the obligation to respect preexisting International frontiers .. derives from a general rule of International law "

ومع أن المتفق عليه فقها وقضاء أن الدولة المستقلة لا تلتزم بالاتفاقات التي أبرمتها الدولة السلف وهو ما يطلق عليه " الصحيفة البيضاء " ، فإن ذلك لا ينطبق في حالة الحدود الدولية ، فالمادتان (١١،١٢) من اتفاقية فينا لخلافة الدول في المعاهدات لعام ١٩٧٨م استثنت معاهدات الحدود من تطبيق أحكام المادة (١٦) التي تنص على أن الدول المستقلة حديثا لا تلزم بأن تبقى على نفاذ أية معاهدة أو أن تصبح طرفا فيها لمجرد أن المعاهدة كانت في تاريخ خلافة الدول نافذة إزاء الإقليم الذي تتناوله خلافة الدول[٢٢٠].

أي أن اتفاقية فينا أقرت " مبدأ الحدود الموروثة " ولذلك فحكم المادة (١١) تمتد آثاره حتى ولو لم توجد نصوص قانونية بين الدول المجاورة للدولة الخلف ودولة السلف وهو ما يتماشى مع " مبدأ الحدود الموروثة الواقعي "[٢٢١].

"ومن الناحية القانونية فإن تحديد الحدود في معاهدة دولية لا ينشئ الحق وإنما هو عمل كاشف فقط عن وجود هذا الحق "[٢٢٢] وهذا هو المستقر دوليا ، وقد عبرت عن ذلك محكمة العدل الدولية في حكمها الصادر في قضية الامتداد القاري في بحر الشمال بقولها التحديد يكشف عن منطقة خاضعة من قبل وبحسب الأصل للدولة الساحلية وليس إعطائها للدولة من جديد . " فكلام المحكمة يعني أن تحديد الحدود هو مجرد إجراء للكشف عن حق وليس عملية تقسيم وتوزيع جديدة بين الدول المتجاورة للمناطق التي حددت حدودها "[٢٢٣]

---

(٢٢٠) راجع : محمد قجالي : ضبط الحدود الإقليمية للدول : ص٢٥٥

(٢٢١) المرجع السابق ، ص٢٥٦

(٢٢٢) د/ علي إبراهيم : النظرية العامة للحدود الدولية ، ص٤١ .

(٢٢٣) المرجع السابق ، ص٤٢ .

وتطبيقا للقواعد القانونية السالفة الذكر فإن عسير انتقلت إلى سيادة الدولة اليمنية كغيرها من المناطق اليمنية التي كانت تشكل ولاية اليمن العثمانية للأسباب الآتية :-

أولا : إن عسير ظلت جزءا من ولاية اليمن العثمانية إلى الوقت الذي سلم فيه العثمانيون السلطة إلى الإمام يحيى . فقد ظل المتصرف العثماني لعسير يمارس مهامه في " أبها " ــ مركز متصرفية عسير ــ حتى نهاية الحرب العالمية . ومن خلال الوثائق المتوفرة نجد أن الإمام يحيى كان يمارس أدوارا في عسير من قبل أن يتسلم السلطة رسميا من العثمانيين :-

- **جاء في مذكرات متصرف عسير (١٩٠٨-١٩١٢م) " وفي يوم ٧مارس ١٩١٢م تلقيت أمرا من عزت باشا القائد العام للقوات العمومية العثمانية في اليمن ، وقد أرسل لي هذا الأمر .. بواسطة إمام اليمن الإمام يحيى بن محمد حميد الدين .."[٢٢٤] " وقد أرسلت جوابي هذا حسب أمر حضرة الإمام يحيى إلى الشيخ حسين بن سلطان من آل بسام في أرض قحطان "[٢٢٥]**

- جاء في تقرير بريطاني للميجر سي.آر.برادشو من الأركان العامة في عدن بعد استطلاعه للمنطقة في ١٩١٦ه " الإمام والقائد التركي في أبها على ما يظهر يستطيعان التراسل أحيانا بالطريق الداخلي صعدة-أبها"[٢٢٦].

---

(٢٢٤) محمد بن أحمد العقيلي : مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير ، الناشر نادي أبها الأدبي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ه-١٩٨٤م ، ص١٤٤-١٤٥ .

(٢٢٥) المرجع السابق ، ص١٤٦ .

(٢٢٦) صفوة ، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، ص٤٩٩-٥-٢ .

ثانيا : ظلت عسير جزءا من ولاية اليمن ولم يلحق أي جزء منها بولاية أخرى :-

- جاء في مذكرات متصرف عسير أن شريف مكة -وكان حينذاك يتبع الدولة العثمانية- كان يحاول أن يوصل نفوذه إلى بعض أطراف عسير حيث قام بإصدار أمر بتعيين أحد مشايخ بيشة أميرا عليها ، وأعلمه أن الزكاة تجبى باسم إمارة مكة . فبعث المتصرف إلى وزارة الداخلية " إذا كانت المنطقة الشمالية من عسير قد ألحقت بإمارة مكة فالمرجو أن تصدروا لي الأوامر وتعليمات الإلحاق ، فجاءه الجواب " إن الدولة لم تعط شبرا من عسير لأحد ولا يمكن أن تفعل ذلك " فكتب المتصرف إلى ذلك الشيخ " إن دولة أمير مكة هو من موظفي الحكومة ، وأن بيشة مرتبطة بعسير"[٢٢٧]

- جاء في برقية بعث بها Sir Hinrry Mac Mahon إلى الخارجية البريطانية بتاريخ ١٨ إبريل ١٩١٦م يطلب فيها- بناء على طلب الشريف حسين لذلك - فرض حصار شديد على سواحل اليمن ابتداء من جدة[٢٢٨] .



---

(٢٢٧) مذكرات متصرف عسير . المرجع السابق ، ص١٨١ .

(٢٢٨) صفوة : المصدر السابق ، ص١٤٩ .

المبحث الرابع

هل انفصلت عسير عن الدولة اليمنية

لا تكاد دولة –حديثة الاستقلال– أن تخلو من حدوث صراع بين قواها الداخلية بعد حصولها على الاستقلال ، فكل قوة فيها تدعي أحقيتها بحكم الإقليم أو جزء منه . ولم تشذ اليمن عن هذه الظاهرة سواء بعد الانسحاب العثماني أو عقب رحيل الاستعمار البريطاني .

بعد الانسحاب العثماني حدث صراع بين الأئمة ، والأدارسة ، وآل عائض ، كما هو مذكور سابقا ، وعقب انسحاب الإنجليز حدث صراع بين الجبهة القومية ، وجبهة التحرير ، والقوى التقليدية من مشايخ وسلاطين.

ومن خلال تتبع الأحداث حول الصراع الذي شهدته اليمن بعد انسحاب العثمانيين يتضح الآتي :-

١-أن الإمام يحيى " كان يرغب في المحافظة على آل عائض "[٢٢٩] بحيث يحكموا عسير نيابة عنه .

٢-أن الأئمة وآل عائض كانوا يعتبرون الإدريسي دخيلا على المنطقة يجب التخلص منه ، فعندما توجه آل عائض إلى الإمام يحيى – عقب الانسحاب العثماني – وتحادثوا معه حول عسير والتحركات التي يقوم بها الإدريسي في المنطقة ، أكد لهم الإمام بأنه " سيسعى لإجهاض حركة الإدريسي وطرده من تهامة "[٢٣٠]

---

[٢٢٩] محمد بن مسلط بن عيسى البشري ، تاريخ عسير، ص٢٨٢ .

[٢٣٠] المرجع السابق ، ص٢١٩ .

٣-عمل آل عائض على استعادة مكانتهم السياسية -التي بدأت كما سبق وأن أشرنا في ١٨٣٣م- ولذلك سعوا بعد الانسحاب العثماني إلى مد نفوذهم إلى عدة مناطق ، بل إن هناك من ذكر أنهم كانوا يطمحون إلى توحيد اليمن تحت قيادتهم[٢٣١].

٤- رغم أن الإدريسي لم يظهر على المسرح السياسي إلا من بعد ١٩١٠م فإن الحرب العالمية الأولى لم تنته إلا وقد ذاع صيته فظهر على أنه يسيطر على أجزاء كبيرة من تهامة وبعض أجزاء من عسير.

الحكم القانوني لمحاولات الانفصال

إن قيام الإدريسي بتوثيق صلاته بالإنجليز بعد الانسحاب العثماني كان ينم عن توجه الإدريسي نحو الانفصال بالمناطق التي سيطر عليها ، ولم تكن رسائله إلى الإمام والتي كان يؤكد من خلالها أنه يعتبر الإمام المسئول عن " لم شعث الأمة "[*] سوى وسيلة لكسب الوقت .

وكما هو معروف فإن المحاولات الانفصالية على مستوى العالم كثيرة ومتعددة ، وقد درج العرف الدولي -قديما وحديثا- على عدم الاعتراف بتلك المحاولات إلا إذا تحققت الشروط الآتية :-

أولا : وجود شعب دائم **A permanent Population**

أوضح فقهاء القانون الدولي انه لكي يتحقق وصف الشعب لا بد أن تتوافر في أفراده صفات عامة مشتركة تجعله يظهر في مواجهة الشعوب الأخرى بمظهر الوحدة[٢٣٢].

---

[٢٣١] المرجع السابق ، ص٢٧٩ .

[*] راجع : العلاقة بين الإمام والإدريسي في الباب التمهيدي .

[٢٣٢] د/ يحي الحمل : الاعتراف في القانون الدولي العام ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ص٦٣ .

وأبناء تلك المنطقة جزء من الشعب اليمني المعروف ببيئته وشخصيته منذ آلاف السنين ، فأبناء أبها لا يختلفون عن أبناء صعدة وصنعاء ، وابن نجران يكاد يكون هو ابن حراز وصعفان ، وابن القنفذة لا يتميز عن ابن الحديدة ، وابن صبيا وجيزان متماثل مع ابن الصليف وكمران.

وقد حاول بعض الكتاب الذين يخالفون هذه الوجهة من النظر أن يجدوا دليلا لما ذهبوا إليه فراحوا يقولون إن سكان تهامة كانوا " يعارضون كل المعارضة الآراء القائلة بأن تهامة من الممتلكات الموروثة ، بل إنهم كانوا يرون العكس من ذلك تماما أي أن (أهل) تهامة حكموا صنعاء منذ أيام الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).."[٢٣٣] والواقع أن هذه الحجة تؤيد ما ذكرناه ، فليست المشكلة أن تكون قاعدة الحكم في صنعاء أو حضرموت أو زبيد أو صبيا أو عدن أو تعز أو نجران أو غيرها فكلها مدن يمنية ، ومن ناحية ثانية فتلك الحجة تؤكد أن الصراع الذي حدث كان تنافسا حول من يحكم . أما بالنسبة " للممتلكات الموروثة " فكل المناطق اليمنية ليست ملكا موروثا لأي حاكم ، ولا يعني قبول اليمنيين لحكم الأئمة مدة طويلة من الزمن أن اليمن صارت من أملاكهم الموروثة .

ثانيا : وجود إقليم محدد[٢٣٤] A defined territory

وهو مساحة معلومة من الأرض يستقر عليها الشعب وتمارس عليها السلطة مظاهر السيادة . وكما هو مذكور سابقا فتلك المناطق جزءا من الإقليم اليمني المحدد منذ آلاف السنين هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فلم تكن هناك منطقة

---

[٢٣٣] الخترش : ص٤٧ .

[٢٣٤] راجع :-

-Chrisn . Ckeke , Controversial Subjects Of Contemporary International Law , PH . D. , Rotterdam University Press / 1974 , p88

محددة يسعى الإدريسي إلى الانفصال بها ، فالظروف والعوامل الخارجية كانت هي التي تحدد له هذه المنطقة أو تلك ليسيطر عليها .

ثالثا : تحقق الفعالية **Effectiveness**

ويقصد بالفعالية تحقق الاستقلال الكامل عن السيادة السابقة ، وتحقق الاستقرار في ذلك الجزء من الإقليم بحيث يزول الاحتمال بإمكانية بسط الدولة السابقة سلطتها على ذلك الجزء[٢٣٥]

وإذا ما تتبعنا وضع الإدريسي نجد أن نجمه لم يسطع إلا في أثناء حرب الدولة العثمانية مع دول الإفرنج[٢٣٦] ، أي في حربها مع إيطاليا ١٩١٢م ، ثم في حربها مع بريطانيا ١٩١٤-١٩١٨م . ورغم الدعم العسكري المباشر وغير المباشر الذي حصل عليه الإدريسي من الإيطاليين ثم من البريطانيين فإنه عجز عن المحافظة على أية منطقة سيطر عليها ، فخلال الحرب العثمانية-الإيطالية وصل الأسطول الحربي الإيطالي إلى الشواطئ اليمنية وقصف القنفذة بالقنابل في ٥إبريل ١٩١٢م تمهيدا لسيطرة الإدريسي عليها[٢٣٧] ، ولكن ما إن انتهت الحرب العثمانية-الإيطالية ، وانقطع الدعم الإيطالي حتى انكفأ الإدريسي على نفسه وفقد ما كان قد سيطر عليه.

وخلال الحرب العالمية مده الإنجليز بالمال والسلاح وقصفت البوارج الحربية البريطانية عدة مدن خاصة القنفذة والحديدة واللحية ، ومهدت له الطريق لاحتلالها ومع ذلك عجز عن تشكيل أية خطورة على العثمانيين[٢٣٨].

---

[٢٣٥] راجع :-

-Encyclopedia of Public International Law, North Wolland, Vol. 10 , p. 386

[٢٣٦] أمين الريحاني ، المصدر السابق ، ص٣١٦ .

[٢٣٧] راجع : الخترش ، ص٣٥ .

[٢٣٨] ورد في تقرير لأحد الضباط البريطانيين بعد زيارته للمنطقة في ١٩١٦م " .. وانطباعي العام .. لا شيء من قبيل الهجوم ضد الأتراك ، ولكن مجرد كون الإدريسي معاديا للترك وعدوا للإمام ينطوي على فائدة عسكرية لنا =

ولما انتهت الحرب العالمية عجز الإدريسي عن السيطرة على أية منطقـــة من مناطق عسيـــر التي كان يسيطر عليها آل عائض ، بل إنه منـــي بالهزيمـــة من قبلهم[٢٣٩]. أي أن الوجود السياسي للإدريسي كان يقوم كليـــة علـــى الدعـــم الخارجي ، ولذلك ما إن انتهى ذلك الدعم حتى انتهى الأدارســـة .

ومن خلال الوقائع السابقة وتطبيقا للقواعد الدولية فإن الوصــــف القـــانوني الذي ينطبق على الإدريسي خلال تلك الفترة أنه " محارب " . فالاتفاقات الدوليـــة ابتداء باتفاقيات لاهاي ١٨٩٩،١٩٠٧ ومرورا باتفاقية جنيـــف ١٩٤٩م اهتمـــت بأفراد المقاومة المسلحة فأسبغت عليهم وصف المحاربين واعتبرت من يقع منهم في يد عدوه أسير حرب إذا توافرت شروطا أربعة[٢٤٠] :

١-أن يكونوا تحت قيادة شخص مسئول عنهم .

٢-أن يتبعوا في نشاطهم قوانين الحرب وعاداتها .

٣-أن يكون لهم شارة ثابتة مميزة يمكن معرفتها من بعيد .

٤-أن يحملوا السلاح علنا وبصورة مكشوفة .

وهذه الشروط متوافرة في المسألة الإدريسية ، فقد كان للإدريســـــي أفـــراد يتبعونه ، وكانت له راية مميزة أطلق عليها " الراية الشريفية " ، وكـــان أتباعـــه يحملون السلاح علنا .

= .. ولا يمكن في وضعه الحاضر الاعتماد عليه لجذب قوة تركية إلى الشمال من لحج لأن التهديد الذي يشكله غير كاف " راجع : صفوة ، الوثائق البريطانية ، ص٤٩٩-٥٠٢ .

[٢٣٩] راجع : محمد البشري ، ص٢٢١-٢٢٤ .

[٢٤٠] عبد المجيد إسماعيل حقي : الوضع القانوني لإقليم عربستان في ظل القواعد الدولية ، رسالة دكتوراه ، جامعـــة القاهرة ١٩٧٤ ، ص٣٩٦

رابعا : انتهاء مقاومة الدولة الأم

لا يكفي توافر الشروط السابقة لكي يتحقق الوجود القانوني للجزء المنفصل فهناك شرط آخر يستلزمه القانون الدولي العام وهو انتهاء مقاومة الدولة الأم وتسليمها بالوضع الجديد بالاعتراف به صراحة أو ضمنا[٢٤١] فالقانون الدولي يعتبر كل ما يدور داخل الإقليم شأنا داخليا تختص السلطات القائمة فيها بمعالجته ، كما أنه يحظر أي تدخل في تلك الشئون عدا ما تقوم به المنظمات الإنسانية من تقديم العون لضحايا النزاعات المسلحة ، أو التوسط الخيّر لتقريب وجهات النظر بين الفئات المتناحرة .

وإذا بحثنا هذا الشرط نجد أن الدولة العثمانية انسحبت من اليمن ولم تعقد أية اتفاقية أو معاهدة دولية تجعل لعسير أو الحديدة وضعا متميزا عن بقية المناطق اليمنية التي كانت تشكل الولاية العثمانية ، كما أن السلطة التي تسلمت الحكم بعد العثمانيين لم تقر للإدريسي أو لغيره بأي وضع خارج إطار الدولة اليمنية .

موقف الإمام يحيى من المحاولات الانفصالية بعد الانسحاب العثماني

لا شك أن المراحل الانتقالية ــ التي يمر بها أي إقليم والتي تحدث أثناء تغير السلطات أو الأنظمة ــ تصاحبها فترات من الاضطراب وعدم الاستقرار الذي يستمر إلى أن يتم التكيف مع الوضع الجديد .

---

(٢٤١) Encyclopedia, Op Cit, p. 387

والواقع أن المشكلة الإدريسية لم تكن هي المشكلة الوحيدة التي واجهت السلطة اليمنية . وما يهمنا من الناحية القانونية هو معرفة موقف السلطة الشرعية من تلك المحاولات وما هي الجهود التي قامت بها للقضاء عليها .؟

من يتتبع السياسة التي انتهجها الإمام في هذا الصدد يجد أنه ركز على ثلاثة محاور :-

المحور الأول : العمل على وقف التدخل البريطاني في المشاكل الداخلية:

كانت المشكلة مع بريطانيا هي أكبر تحد تواجهه الحكومة اليمنية في تلك الفترة للأسباب الآتية :

١-أصبحت بريطانيا في تلك الفترة القوة الدولية المتنفذة في المنطقة .

٢-لم تكتف بريطانيا باحتلال جنوب اليمن بل سارعت عقب انتهاء الحرب العالمية إلى احتلال الحديدة واللحية .

٣-كانت بريطانيا هي التي تحرك الإدريسي وبعض القوى القبلية وتساعدهم على مناوئة الإمام كي تجبره على الاعتراف بشرعية وجودها في جنوب اليمن .

وقد حاول الإمام بشتى الطرق إقناع بريطانيا برفع يدها عن اليمن ووقف تدخلها في الشئون اليمنية ، وفي هذا السبيل اتبع الأساليب الدبلوماسية والأساليب العسكرية .

أولا : الأساليب الدبلوماسية وتمثلت في :

- قيام الإمام بتعيين مندوب مقيم عنه في عدن[٢٤٢] .

---

(٢٤٢) المخرش ، ص٢٧ . وقد جرت مفارضات متعددة بين مندوب الإمام والمقيمين البريطانيين في عدن ، ومنذ بداية المفاوضات أعلن مندوب الإمام " أن الإمام يحى يطالب باليمن كله في حدوده التاريخية " راجع : عزيز خودا بيرد يف ، الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن ، مرجع سابق ، ص١٨

- استمرار الإمام في مطالبة بريطانيا -بصورة مباشرة وأيضا عبر المنظمات الدولية- بتسليمه المحميات اليمنية .
- عندما احتل الإنجليز الحديدة عقب الانسحاب العثماني قدم الإمام احتجاجا رسميا فجاءه الرد الإنجليزي بأنهم دخلوا الحديدة لحفظ النظام فيها ، وسوف يسلمونها إليه بعد استتباب الأمن بها[٢٤٣]
- عندما نكث الإنجليز بوعدهم وسلموا الحديدة للإدريسي قام الإمام بسحب مندوبه من عدن ، واتهم الحكومة الإنجليزية بالخيانة[٢٤٤]

ثانيا : الأساليب العسكرية :

بدأت المواجهة المسلحة بين الإمام والإنجليز في اللحظات الأولى للانسحاب العثماني ، فكما هو معروف فقد تمكن القائد العثماني علي سعيد باشا من احتلال لحج خلال الحرب العالمية ، ولما حصلت الهدنة بين تركيا والحلفاء طالب الحاكم البريطاني بتسليم لحج باعتبارها كانت داخلة ضمن منطقة النفوذ البريطانية حسب الاتفاق الانجلو-تركي ١٩١٤م ، وكما يبدوا من المراسلات التي تمت خلال تلك الفترة أن القائد العثماني كان موافقا على تسليمها[٢٤٥] بينما رفض الإمام أن تسلم للإنجليز ، وبعث برسالة إلى القائد العثماني يحثه على عدم تسليم لحج للإنجليز إلى أن تصل قواته لتسلمها ، ومما جاء في تلك الرسالة " .. حصل معنا التصميم على القتال حتى الممات من دون خوف ولا مراقبة لغير الله .."[٢٤٦] .

---

[٢٤٣] المرجع السابق ، ص٢٥ .

[٢٤٤] المرجع السابق ، ص٢٨ .

[٢٤٥] جاء في رسالة بعثها إلى قائد الفيلق في صنعاء " كفانا ما لقيناه نحن العسكر العثمانيين .. من المتاعب المضنية للأجساد .. كل هذه الدماء التي أرقناها والأرواح التي أزهقناها في هذا السبيل إنما هي للمحافظة على عرض وشرف ووجدان أهل اليمن المقدس " راجع : نص الرسالة في أباظة . المرجع السابق ، ص٥٠١ .

[٢٤٦] راجع النص في المرجع السابق ، ص٤٩٧ .

المحور الثاني : ربط القوى المحلية بالسلطة المركزية

بدأ الحوار بين الإمام والقوى المحلية عقب الانسحاب العثماني سواء بصورة مباشرة أو عن طريق التراسل ، فقد ذكرنا أن آل عائض توجهوا إلى صنعاء وتحادثوا مع الإمام حول وضع عسير(*) ، كما أشرنا إلى تبادل الرسائل بين الإمام والإدريسي .

والمتتبع لسياسة الإمام يتضح له أن الإمام كان يرى أن الخطورة تكمن في استغلال الإنجليز للأدارسة أو غيرهم من القوى المحلية ، وأن يحاولوا النفاذ من خلالهم للسيطرة على مزيد من الأرض اليمنية ، وقد أشرنا إلى الرسالة التي وجهها الإمام إلى الإدريسي والتي جاء فيها " هل لهم من حجة يحتجون بها (يقصد الإنجليز) ويجعلونها ذريعة لهم إلى مقصدهم الخبيث من ادعاء الحق في أي جانب لهم من اليمن ؟ وهل لكم من فكاك من تلك الرابطة تزول به كل وسيلة إلى أي تجاوز . ؟ "(*)

المحور الثالث : استخدام القوة المسلحة في حالة الضرورة

لم يكن الإمام يتردد في استخدام القوة المسلحة لمعالجة المشكلات الداخلية إذا رأى ذلك ضروريا ، وأهم الحالات التي استُخدِمت فيها القوة المسلحة هي:-

أولا : وضع حد لتمرد الأدارسة :

عندما فشلت الوسائل السلمية في معالجة المشكلة الإدريسية قام الإمام باستخدام القوة المسلحة ، وقد تمكنت قواته في مارس ١٩٢٥م من استعادة السيطرة على الحديدة بدون معركة حقيقية ، وواصلت تحركها جنبا إلى جنب

(*) راجع : هامش (٢٣٠)

(*) راجع : العلاقة بين الإمام والإدريسي ص ٤١-٤٣ .

مع القبائل المحلية حتى وصلت صبيا مقر الإدريسي ومسقط رأسه ، ولم تواجه تلك القوات خلال تقدمها أية مقاومة تذكر[٢٤٧]. وقد أدى استخدام القوة ضد الإدريسي إلى النتائج الآتية :

١-أظهر أن مكانة الإدريسي في المنطقة تكاد تكون منعدمة ، فقد انضم غالبية أهلها إلى جيش الإمام[٢٤٨].

٢-أظهر أن المشكلة الإدريسية مشكلة مفتعلة ما كان لها أن تحدث لولا التدخل الإنجليزي الذي أغرى الأدارسة بالوقوف ضد السلطة الشرعية ثم استخدمهم ورقة مساومة لتحقيق أهدافه .

٣-أقنع الأدارسة انه لا قبل لهم بمحاربة السلطة الشرعية للبلاد فجنحوا للسلم ، وقد راعى الإمام دخول شهر رمضان المعظم ١٣٤٣هـ-١٩٢٥م فأمر بإيقاف القتال ، وكان ذلك مناسبة لعودة الحوار بين الإمام والأدارسة . ومن يطلع على ما دار بين الطرفين يجد أن المشكلة كانت في حكم المنتهية ، خصوصا وأن الإمام وافق على أن يكون الإدريسي حاكما في المنطقة باسم صنعاء[٢٤٩] رغم أن قوات الإمام كانت تحاصر الإدريسي في معقله الرئيسي .

ثانيا : إنهاء تمرد قبيلة الزرانيق في تهامة :

كان تمرد هذه القبيلة الأكثر خطورة من حيث الاضطرابات القبلية ، ليس بالنسبة لضحاياه الذين قدروا بالآلاف ، بل لأنه كان أول تمرد قبلي تظهر فيه

---

[٢٤٧] مجموعة من المؤلفين الروس ، تاريخ اليمن ، ص١٥،١٦ .

[٢٤٨] راجع : الخترش ، ص٨٣ .

[٢٤٩] حول المحادثات بين الطرفين راجع : المرجع السابق ، ص٨٧ ، ولم يوضح الباحث أسباب فشلها ، ولم يورد أي دليل فيما ذهب إليه من أن شروط الإمام يحيى كانت مجحفة ، مع أنها أقل بكثير من شروط الحماية السعودية التي ذكرها الباحث في ص٩٢ وما بعدها .

نزعة سياسية انفصالية فقد سبق هذا التمرد ــ كما أشرنا سابقا ــ أن شيخ القبيلة قدم مذكرة إلى عصبة الأمم يحتج فيها على استيلاء الإمام على تهامة والحديدة بدعوى أنها جزء متمم لأملاك قبيلته ، ثم شرع بعض أفراد القبيلة بالقيام بأعمال السلب والنهب ، وقد أرسل الإمام إليهم أحد عماله لإقناعهم بالكف عن تلك الأفعال ، فإذا بهم يستدرجون العامل ويقتلوه . فما كان من الإمام إلا أن وجه قواته التي أخضعتهم قسرا[٢٥٠]

ثالثا : القضاء على تمرد قبيلة يام في نجران :

تعتبر نجران من المناطق اليمنية التي نالت شهرة واسعة منذ أمد بعيد ، قبل الإسلام اشتهرت بحادثة الأخدود[*] ، وبعد الإسلام اشتهرت بقصة المباهلة[*]. وتعتبر قبيلة يام من القبائل اليمنية المعروفة بشدة بأسها وثباتها في القتال[٢٥١] . ولذلك فإن تمرد هذه القبيلة على سلطة صنعاء يعد محكا حقيقيا

---

[٢٥٠] راجع : نزيه مؤيد العظم ، رحلة في بلاد العرب السعيدة ، ص٦٦-٦٩ .

[*] تتلخص وقائع الحادثة في أن الملك اليمني ذو نواس لم يقبل أن يعتنق بعض رعاياه الديانة المسيحية فارتكب ضدهم المذبحة التي ذكرها القرآن العظيم في سورة البروج ، وقد كانت تلك الحادثة سبب الغزو المسيحي لليمن . فقد روي أنه نجى من المذبحة شخص يقال له دوس ذو ثعلبان فانطلق حتى أتى قيصر ملك الروم فأخبره بما حدث وطلب منه النصرة الدينية فقال له قيصر : بعدت بلادك منا ، ولكن سأكتب إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك . راجع : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ص١٥٦ .

[*] المباهلة لغة : الملاعنة وهي أن يجتمع القوم فيقولوا لعنة الله على الظالم منا وأول من دعي إلى لمباهلة هم نصارى نجران فعندما وفدوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)تحاوروا معه حول نبي الله عيسى عليه السلام فلما لم يقتنعوا دعاهم رسول الله إلى المباهلة إلا أنهم امتنعوا عن ذلك خوفا من عاقبة المباهلة لعلمهم أن ما قاله رسول الله حق . وقد ورد ذكر المباهلة في قول الله تعالى " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الظالمين " الآية (٦١) من سورة آل عمران . راجع : أحكام القرآن للقرطبي وتفسير ابن كثير وغيرها من كتب التفسير والحديث .

[٢٥١] راجع : حسين خلف الشيخ خزعل ، مرجع سابق ، ص٢٤٨ .

لاختبار مدى قدرة تلك السلطة على ضبط أمورها الداخلية خصوصا في ذلك الوقت الذي كانت تواجه فيه العديد من التحديات .

وتتلخص وقائع المشكلة(٢٥٢) في أن إحدى القبائل في منطقة نجران لم تسلك مسلك الطاعة فأمر الإمام عامله في " برط " بالتوجه إليهم ، فتحالفت تلك القبيلة مع قبيلة يام واتفقوا على مواجهة قوات الدولة معا ، فما كان من الإمام إلا أن وجه ولي عهده بقوات كبيرة تمكنت من إخضاع القبيلتين والقضاء على تمردهما.

يتضح مما سبق أن السلطة التي ورثت الحكم العثماني ممثلة بالإمام يحيى أثبتت فعاليتها وقدرتها على ضبط أمورها الداخلية ، حيث تمكنت من القضاء على حالات التمرد في جميع المناطق التي كانت تشكل ولاية اليمن العثمانية ، وبذلك أكدت قدرتها على ربط السيادة القانونية بالسيادة الواقعية .

وفي هذا السياق نجد أن محكمة العدل الدولية عندما أكدت على أهمية ممارسة الاختصاصات الفعلية على الإقليم قالت إن هناك تفرقة يجب أن تقام بين عدة فروض(٢٥٣):-

- فعندما يكون التصرف متطابقا مع القانون .. فإن دور الفعالية يؤكد ممارسة الحق المتفرع عن السند القانوني .
- وعندما يكون التصرف غير متطابق مع القانون أي يدار الإقليم بوساطة دولة غير الدولة صاحبة السند القانوني على الإقليم فالأفضلية يجب أن تعطى لمن هو ممسك بالسند القانوني .

(٢٥٢) راجع : الخرش ، ص١٦٢ .

(٢٥٣) د/ علي إبراهيم ، النظرية العامة للحدود الدولية ، ص١٠٠ .

الباب الثاني

الضم السعودي لعسير

أعلنت المملكة العربية السعودية في ١٣٥١هـ- ١٩٣٣م ضم عسير إليها واعتبارها جزءا من أراضي المملكة ، وقد سبق هذا الإعلان وأعقبه حدوث مواجهات مسلحة ومفاوضات متعددة بين الدولتين السعودية واليمنية .

هذا الباب يعرض لتلك الأحداث ويحللها ، لنعرف ما إذا كان إعلان الضم تم بتراضي الدولتين أم بالإرادة المنفردة للملكة السعودية ، في ضوء ذلك سيناقش الباب ـــ في فصول متتالية ـــ المواضيع الآتية :-

- ❑ الحرب.
- ❑ المفاوضات.
- ❑ آثار الضم

الفصل الأول

الحرب السعودية اليمنية
١٩٢١-١٩٣٤م

سيتم تقسيم الفصل إلى مبحثين ، في الأول نتتبع وقائع الحرب ومبرراتها ، وفي الثاني نستعرض عوامل الانتصار والانهزام .

المبحث الأول

وقائع الحرب ومبرراتها

إذا تتبعنا حالة الحرب التي كانت قائمة بين الدولتين السعودية واليمنية في تلك الفترة نجد أن كل طرف كان يلقي باللائمة على الطرف الآخر ، وكل منهما كان يدعي كراهيته للحرب ورغبته في السلام ، وأنه اضطر للحرب دفاعا عن الشرف والكرامة .

والواقع أن تحديد المعتدي أثناء الحروب ليس بالأمر الهين نظرا لأن كل طرف يدعي أنه يخوض حربا دفاعية ، ولذلك بذلت عدة جهود في إطار المنظمات الدولية بغرض التوصل إلى تعريف المعتدي ، وفي عهد عصبة الأمم عقدت ثلاث اتفاقيات حول هذا الموضوع[٢٥٤] ، وقد جاء فيها : " يعتبر معتديا في مشكلة دولية كل دولة تكون البادئة بارتكاب أحد الأعمال الآتية:-

١-إعلان الحرب على دولة أخرى.

٢-غزو أراضي دولة أخرى حتى بدون إعلان الحرب.

---

[٢٥٤] يراجع:-
عصبة الأمم غاياتها -وسائلها-أعمالها : وضعته سكرتارية عصبة الأمم ، جنيف ١٩٣٨ ، ص٦٩-٧٠.

٣-الهجوم بالجيوش البرية أو البحرية أو الجوية على أراضـــــي أو بـــوارج أو مطارات دولة أخرى حتى بدون إعلان الحرب .

في ضوء المفاهيم السابقة ، ومن خلال استعراض وقائع الحرب السـعودية-اليمنية نستطيع أن نحدد من المسئول عن تلك الحرب ، ومن الذي يتحمل تبعاتـها . وفي هذا الصدد نجد أن المواجهة بين الدولتين مرت بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : الهجوم السعودي على أبها في١٩٢١

بينما كانت الحكومة اليمنية منشغلة بمشكلتي الحديدة ولحج مع الاســـتعمار البريطاني ــ كما هو مذكور سابقا ــ إذا بها تفاجـــأ بقيـــام القـــوات الســعودية بمهاجمة شمال عسير وتتقدم تدريجيا نحو أبها ، محاولة القضاء على آل عـائض الحكام المحليين للمنطقة .

ومع أن معظم القوات اليمنية في تلك الفترة محتشدة على الجبهة الجنوبيـــة والغربية فقد أرسل الإمام بعض القوات إلا أنها لم تكن كافية لمواجهة القـــوات السعودية ، كما بعث الإمام برسالة إلى السعوديين يطلب منهم الكف عن مهاجمة المناطق اليمنية ، وقد جاء في تقرير بعث به قائد القوات الســعودية إلــى عبـد العزيز بن سعود " .. إن ابن حميد الدين قد دخلت قواته إلى عسير في الوقـــت الذي كانت المعارك تدور بيننا وبين قوات آل عائض .. وقد طلب منا الارتحـال عن عسير .. ويعد ما قمنا به من سير إلى عسير ليس إلا اعتداء وغزوا "[(٢٥٥)] .

وقد أكد السعوديون أن قواتهم توجهت إلى أبها لنصرة الإدريسي وحمايتـــه من آل عائض ، فقد جاء في الرسالة التي بعث بها القائد السعودي إلـــى أهـالي مدينة أبها " إنما جئنا لننصر المستضعف (يقصد الإدريســـي) ، وإن كـل مـا

---

(٢٥٥) راجع النص في : محمد بن مسعد البشري ، تاريخ عسير ، ص٢٥٦-٢٥٧ .

حدث فالمسئول عنه حسن وأعوانه (يقصد آل عائض) فهم الذين جرونا إلى ما حصل لطمعه في الإدريسي ، وجوره عليه ، وحشده القوات للقضاء عليه [٢٥٦].

والواقع أن ذلك التبرير لم يكن حقيقيا ، ومما يدل على أنه كان مجرد ذريعة التقرير الذي بعث به القائد السعودي إلى أميره عبد العزيز بن سعود حيث جاء فيه " هذا مع العلم أن ابن إدريس قد بدت تظهر عليه علامات التغير بالنسبة لنا إذ يريد أن تكون عسير له ولا يرد أن تكون تحت نفوذنا "[٢٥٧].

سلوك القوات السعودية مع سكان أبها

يروي أحد الذين عايشوا الأحداث أن القوات السعودية عندما تمكنت من دخول المدينة قامت بالفتك بالسكان " ولم ينج إلا من قدر الله له السلامة فتسلل إلى خارج المدينة ، وبعد الفتك اتجه الغزاة إلى البيوت فنهبوها ، ولم تترك أيديهم إلا ما احتقروا من المتاع ، ولم يخشوا الله الذي يظهرون عبادته والدعوة لدينه فهتكوا الأعراض ولم يرعوا حرمة لأحد "[٢٥٨]

وقد برر القائد السعودي ما حدث بقوله " إن كل جيش لا بد أن يضم بعض العناصر غير الطيبة وهم الذين يسيئون إلى جميع من معهم "[٢٥٩]

هذا التبرير لم يقبله الطرف الآخر فقد علّل القائد اليمني ابن عائض ما حدث بأنه " نتيجة الحياة التي عاشها آل سعود في الكويت أيام سيطرة آل رشيد على نجد ، وحياة الذل التي فرضها عليهم آل الصباح ، فنشأت عندهم روح

[٢٥٦] المرجع السابق ، ص٢٤٥ .

[٢٥٧] المرجع السابق ، ص٢٥٧ .

[٢٥٨] المرجع السابق ، ص٢٤٧ .

[٢٥٩] المرجع السابق ، ص٢٤٩ .

الانتقام والتشفي من الآخرين .. وكذلك كان نتيجة إعطاء الجند هذا القتال صفة الجهاد ووصف الخصوم بالكفر وإحلال دماءهم ونساءهم "[٢٦٠]

مذبحة الحجاج اليمنيين حادثة عرضية أم فعل مقصود

المكان : عقبة تنومة بعد أبها .

الزمان : ١٣٤٠هـ-١٩٢٢م .

الواقعة : مقتل ٢٩٩٥حاج يمني أثناء توجههم إلى بيت الله الحرام .

وجهة النظر السعودية :

وردت وجهة النظر السعودية في العديد من الدراسات التي تناولت الموضوع ، وتتلخص في أن القائد السعودي في أبها " استقبل الحجاج اليمنيين وأكرم وفادتهم ، فلما عزموا على مواصلة السير نحو الحجاز قال لهم : إن أمامهم طريقين أحدهما مأمون والآخر محفوف بالمخاطر ، ونصحهم باختيار الطريق المأمون ، غير أنهم لم يستمعوا لنصحه ، وآثروا السير في الطريق الآخر المحفوف بالمخاطرة حيث كانت الحرب مشتعلة بين قوات ابن سعود وقوات الشريف حسين . وسارت القافلة في الطريق الآخر رغم تحذيرات العامل السعودي المتكررة حتى أنه اضطر إلى أن يأخذ موافقة خطية بأنهم إنما ساروا في هذا الطريق بمحض إرادتهم ، كما أخذ عليهم تعهدا بأنهم يتحملون مسئولية السير في هذا الطريق ، وأن الحكومة السعودية بريئة من كل تبعة إذا نزلت بهم نازلة في هذا الطريق . ولقد تحققت مخاوف العامل السعودي ، حيث أطبقت

---

[٢٦٠] المرجع السابق ، ص٢٤٧ .

عليهم قوات ابن سعود في وادي تنومة الواقع بين جهتي بالأحمر وبالأسمر ، ظنا منها أن القافلة جزء من قوات الشريف متنكرة في لباس الحج "[٢٦١]

أي أن وجهة النظر السعودية تعتبر الحادث عرضيا وغير مقصود ، وترى أن إصرار الحجاج اليمنيين على سلوك الطريق الخطر هو الذي أدى إلى حتفهم على أيدي القوات السعودية حيث التبس عليها الأمر فلم تفرق بين كونهم حجاجا أو قوات مقاتلة .

وجهة النظر اليمنية

أورد وجهة النظر اليمنية مؤرخ اليمن في تلك الفترة حيث قال " وكان حجاج اليمن الذين أتوا من هذا الطريق ثلاثة آلاف ، وأخذوا دوابهم وأمتعتهم ، فلما وصلوا إلى التنومة اعترضهم أصحاب الملك ابن سعود فقتلوهم وهم آمنون ، وليس معهم سلاح أو مستعدون لقتال .." [٢٦٢].

إذن وجهة النظر اليمنية تختلف عن الرؤية السعودية وترى أن الحادث كان مدبرا ومقصودا .

وجهة نظر محايدة

ذكر أحد الرحالة أنه عمل على تقصي الحقيقة حول تلك الحادثة من خلال زيارات ميدانية قام بها إلى كل من اليمن والحجاز ، ومن خلال التقائه بعدد من المسئولين المختصين في اليمن والسعودية وغيرها . وقد لخص الحادثة بقوله " صادف في تلك السنة ١٣٤٠ه حسب العادة ذهاب الحجاج اليمانيين عن طريق

---

[٢٦١] د/ فتوح الخترش ، تاريخ العلاقات السعودية اليمنية ١٩٢٦-١٩٣٤م ، ص١١٧ ، **يراجع** كذلك د/عبد الله سعود القباع : العلاقات السعودية اليمنية ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ١٤١٣ه/١٩٩٢م ، ص١٨٣،١٨٤ .

[٢٦٢] الشيخ/ عبد الواسع الواسعي ، تاريخ اليمن ، ص ٢٤٦ .

البر لتأدية هذه الفريضة الدينية ، وكان الحجاج في جميع الروايات التي سمعتها عزلا من السلاح الحربي ، وهم آمنون لا يفكرون في اعتداء أحد عليهم ولا يرغبون في قتال أحد ، ولما وصلوا إلى التنومة اعترضهم كمين من الإخوان أصحاب الملك ابن سعود وأصلوهم نارا حامية ، فلم يسلم منهم إلا سبعة أو خمسة أشخاص كانوا متأخرين عن رفقائهم ، وسلب الإخوان جميع أمتعة هؤلاء الناس وتركوهم ممددين على الثرى ، وعادوا بغنائمهم فائزين وبانتصارهم فرحين "

ويرى هذا الرحالة " أن هناك يدا أجنبية أوعزت إلى ابن سعود أن الشريف حسين اتصل سرا بالإمام وطلب منه المساعدة في حربه مع ابن سعود ، وأن الإمام وافق على مساعدته ولكن سرا حيث أنه كان لا يقوى في ذلك الوقت على الدخول في حرب سافرة مع ابن سعود نظرا لتفاقم الوضع في الداخل ، ولذلك وافق الإمام على أن يرسل إلى الشريف قوة متنكرة على هيئة قافلة حجيج .. وأمام هذه الصورة فإن ابن سعود أصدر أوامره إلى جنده بإبادة هذه القوة اليمنية المتنكرة "[(٢٦٣)]

تحليل وجهات النظر السابقة

نظرا لشذوذ تلك الحادثة فإنه يصعب على الباحث تصور أنها كانت مدبرة ، لكن الأدلة والشواهد تثبت أنها لم تكن حادثاً **عرضياً** :-

أولا : التبريرات السعودية واهية :

١-القول بأن الحجاج اليمنيين رفضوا الاستماع إلى نصيحة القائد السعودي وأصروا على سلوك الطريق المحفوف بالمخاطر ، لا يقبله منطق عاقل ، سواء كانت القافلة حجاجا أو قوات متنكرة ، فإن كانوا حجاجا فما

---

(٢٦٣) نزيه مؤيد العظم ، **المصدر** سابق ، ص٢١٨-٢٢٠ .

مصلحتهم وقد قاربوا على الوصول إلى مكة حرسها الله -بعد رحلة شاقة سيرا على الأقدام أو حملا على الدواب- أن يرفضوا الطريق الآمن ؟ وإذا كانوا قوات متنكرة ما الفائدة التي سيجنونها من الإصرار على سلوك الطريق الخطر ؟ بل إن حرصهم على الطريق الآمن سيكون أشد .

٢-القول بأن القائد السعودي أخذ تعهدا من قافلة الحجاج بأن الحكومة السعودية لا تتحمل أية تبعة إذا نزلت بهم نازلة ! يدل على أن الأمر دبر بليل ، فلا يعقل أن تكون الصلة منبتة بين ذاك القائد وتلك القوات وهي ترابط في نفس المنطقة ، إن ذلك القول يصدق في حالة ما إذا كان الخطر متوقعا من جهة غير سعودية ، أما أن يكون آخذ التعهد سعوديا ، والقاتل سعوديا ، والمنطقة تحت الاحتلال السعودي فهو ما يؤكد أن العملية مدبرة ومخططة . وإذا كان القائد السعودي قد أكرم وفادة الحجاج اليمنيين كما يقولون ، فلم لم يرسل إلى القوات المرابطة في " التنومة " يخبرها بهوية القافلة التي ستمر من ذلك الطريق خصوصا وأنه توقع الخطر ! ألم يكن في استطاعته ـ وهو الحريص على سلامة الحجاج ـ أن يبعث معهم قوة ترافقهم إلى أن يجتازوا منطقة نفوذه !؟

٣-القول بأن قوات ابن سعود أطلقت النار على الحجاج ظنا منها بأنهم جاءوا متنكرين بلباس الحج عذر أقبح من ذنب ! فقد سبق أن قالوا أن عاملهم في المنطقة قد التقى بالحجاج وأكرمهم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى هل الالتباس والظن يؤدي إلى إطلاق النار مباشرة والقضاء على الآلاف دون شفقة أو رحمة ؟ ألم يكن ارتداء أولئك الضحايا للباس الحج في موسم الحج دافعا للقتلة كي يتأكدوا من هوية ضحاياهم !؟ ومن ناحية ثالثة فإن اختيار مكان تنفيذ الجريمة ، وطريقة التنفيذ ، ومسارعة القتلة إلى جمع ما خلفه الضحايا يدل على دقة التخطيط والتنفيذ وعلى أن لديهم معلومات مسبقة عن

خط سير الحجاج ، ويدل على ما تميز به القتلة من وحشية وقسوة !! تنفيان وقوع الحادث عن طريق الخطأ والالتباس .

ثانيا : الاتجاه الذي يلقي بتبعية الحادث على المؤامرات الأجنبية يؤكد أنه كان مدبرا ، وتم بناء على أوامر صريحة من قبل ابن سعود . فالوشاية الأجنبية إذا كانت قد حصلت فعلا لا تنفي المسئولية عن آل سعود بل تثبتها ، فقد كان بإمكان ابن سعود أن يأمر قواته بمحاصرة الحجاج وأسرهم ، أو حتى منعهم من الوصول إلى مكة المكرمة بدلا من الإجهاز عليهم .

ثالثا : يلاحظ أن التعامل السعودي مع الخصوم خلال الحقب المختلفة اتسم بالوحشية والقسوة وللتدليل على ذلك نذكر المثالين التاليين :

المثال الأول : ما وقع لأهالي الرياض خلال الإمارة السعودية الأولى

في ١٧٤٤م بلغ أمير الرياض تسيير آل سعود جيشا كبيرا لمحاربته فاجتمع بأهالي المدينة قائلا لهم " يا أهل الرياض كلكم يعلم أني خضت معارك كثيرة لسنين كثيرة مع ابن سعود ، وأما الآن فقد سئمت الحرب وتركت له البلد ، فمن أراد منكم مرافقتي فليفعل ومن شاء البقاء في المدينة فليبق " فخرج من الرياض وخرج معه الرجال والنساء والأطفال مذعورين دون أن يتزودوا بالماء والطعام ، ولما دخل القائد السعودي المدينة وجدها خالية من السكان إلا القليل فاستولى على ما كان فيها[٢٦٤] ثم انطلق يلاحق الفارين قاتلا المبطئين منهم وناهبا ما معهم وكانت شدة حرارة الصيف قد قضت على كثير منهم[٢٦٥]

---

(٢٦٤) حسين خلف الشيخ خزعل ، المرجع السابق ، ص٣١٠ .

(٢٦٥) سنت جون فيلبي ، المرجع السابق ، ص٩٥ .

المثال الثاني : ما وقع لأهالي الطائف خلال الدولة السعودية المعاصرة

عندما وصلت القوات السعودية إلى المدينة فر الآلاف من سكانها فقامت القوات بمطاردتها حتى قتلت جميع الشاردين ، وقد أعمل القائد السعودي السيف في من تبقى من سكانها فنهب كل بيت وكل إنسان[٢٦٦]

رابعا : سبق أن عرفنا أن ابن سعود جمع البدو فكون منهم ما عرف بحركة الإخوان ، وتولّى المشايخ تعبئتهم بالأفكار التي جعلتهم يعتقدون أن كل ما عداهم ليس بمسلم . ولذلك عندما قتلوا الحجاج اليمنيين كان عملهم من وجهة نظرهم بطولة ونصرا لأنهم تخلصوا من عدد كبير من المشركين !!

خامسا : مما يؤكد أن الحادث كان مدبرا أن القتل كان هينا وأمرا معتادا في سياسة الملك عبد العزيز بن سعود ، بل إنه وصل إلى الحد الذي يحث فيه المقيم السياسي البريطاني sir Pircy Cox على قتل أبناء عمومته . فقد خاطبه في إحدى لقاءاتهما بالقول " العشائر يا حضرة المندوب لا يفهمون إلا بالسيف .. اشهروا السيف يرتعدوا يتأدبوا "[٢٦٧]

سادسا : إن رفض الإمام للاحتلال السعودي لمدينة أبها وما حولها ومطالبته لآل سعود بالرحيل منها ليوحي بأن تلك الحادثة كانت رسالة تهديد وتخويف.

---

(٢٦٦) المرجع السابق ، ص٤٥٠-٤٥١ .

(٢٦٧) أمين الريحاني ، المصدر السابق ، ص٥٥١ .

المرحلة الثانية : الهجوم السعودي على جيزان في ١٩٣٣

بعد سقوط الحجاز في يد ابن سعود أرسل إلى السلطات البريطانية في يونيو ١٩٢٥م " أنه لأسباب تتعلق بالأمن على حدوده الجنوبية أمر قائده في أبها بأن يحتل المنطقة التي طلب منه زعماء عسير احتلالها "[٢٦٨]

وقد ذكرنا سابقا أن الإنجليز في تلك الفترة في مرحلة مساومة مع الإمام يحي وكانوا على أمل التوصل إلى اتفاق معه بخصوص المحميات اليمنية ، ولذا كان ردهم لابن سعود يقضي " بضبط النفس " و " عدم إثارة مشكلات جديدة " فاتجه ابن سعود إلى التهدئة مع الإمام يحي وأرسل وفدا إلى صنعاء في يونيو ١٩٢٦م بغرض إقامة علاقات صداقة وحسن تفاهم . وعندما فشلت مهمة الوفد البريطاني الذي أرسل إلى صنعاء في ١٩٢٦ وعاد إلى لندن في أغسطس ١٩٢٦م دون أن يتمكن من إقناع الإمام بشرعية الوجود البريطاني في اليمن . إذا بابن سعود يعلن حمايته للإدريسي في أكتوبر ١٩٢٦م[*] وكان وفده الذي أرسله إلى الإمام لا يزال في صنعاء . وأضحى تعامل ابن سعود مع الإمام يحي بعد ذلك يعتمد على عاملين :

العامل الأول : مدى تصاعد المواجهة بين الإمام وبريطانيا

العامل الثاني : مدى انشغال ابن سعود نفسه بمشاكل أخرى

فإن كانت الحدود اليمنية – البريطانية ملتهبة ، وابن سعود لا يواجه ما يهدد وضعه اتجه إلى التشدد مع الإمام وحاول أن يقتطع مزيدا من الأراضي اليمنية ، والعكس صحيح . ومما يدل على ذلك الوقائع الآتية :-

---

(٢٦٨) رسالة من الملك ابن سعود إلى المستر برلارد جدة بتاريخ ٢٦يونيو ١٩٢٥م راجع : المتزش ، ص٩٣ .

(*) راجع هامش (٤٣٧) وما بعده .

- خلال عامي ١٩٢٧، ١٩٢٨ وبينما كانت قوات الإمام تخوض قتالا داخل المحميات ، وكانت الطائرات البريطانية تقصف عددا من المراكز اليمنية ، كان ابن سعود على وشك شن حرب ضد الإمام لرفضه مطالب ابن سعود في تحديد الحدود بين اليمن وبين ما أسمي بـ " الإمارة الإدريسية " إلا أن ابن سعود واجه ما لم يكن يتوقعه فقد اشتعلت النار على حدوده الشمالية ، حيث أغار جنوده " المسمون بالإخوان " على الأراضي الكويتية والعراقية وكانت تحت الحماية البريطانية ، ولما حاول ابن سعود أن يثنيهم عن ذلك رفضوا أوامره مما أدى إلى اندلاع المواجهة بينهم وبينه[٢٦٩].
- في أغسطس ١٩٣١م ذكرت التقارير البريطانية بأن الإمام يقوم بتنظيم حملة عسكرية في اتجاه المحميات ، وفي هذا الوقت ادعى ابن سعود أن قوات الإمام " اخترقت الحدود في منتصف أغسطس وتقدمت حتى منطقة جبل العرو "[٢٧٠]. ويذكر Philpy –وكان من ضمن مستشاري ابن سعود– بالرغم من أنه أكد لابن سعود أن " العرو " تقع على الجانب اليمني إلا أنه اتضح له أن ابن سعود كان يهدف إلى مهاجمة الإمام بأي ثمن[٢٧١]. ولما لم تحدث المواجهة بين الإمام وبريطانيا اتجه ابن سعود إلى التهدئة خصوصا بعد أن وصلته رسالة بريطانية توصيه " بتوخي الحذر "[٢٧٢]

شن الهجوم العسكري على جيزان :

تبين للأدارسة أن تحمس ابن سعود لحمايتهم كان بغرض السيطرة على ما تبقى من عسير ، لذلك أعلنوا رفضهم للحماية وطلبوا من الموظفين السعوديين

---

[٢٦٩] راجع : سنت جون فيلبي المرجع السابق ، ص٤٨٠-٤٨٨ .

[٢٧٠] الخترش ، ص١٣٦ .

[٢٧١] مشار إليه في المرجع السابق ، ص١٣٩ .

[٢٧٢] من هرب جيل إلى جون سيمون جدة في ديسمبر ١٩٣١م . المرجع السابق ، ص١٣٨ .

ـ الذين قيل بأنهم ارسلوا ليكونوا حلقة وصل بين الإدريسي وابن سعود ـ أن يغادروا جيزان ، فما كان من ابن سعود إلا أن أرسل قواته إلى جيزان ، فتمكنت من احتلالها بعد أن فشل الإدريسي في الصمود أمامها وتقهقر إلى " صبيا " وظل يقاتل هناك حتى هزم فتراجع إلى " أبي عريش " وأخيرا فر إلى حيث تتواجد قوات الإمام يحيى[٢٧٣] .

وبعدما تم للقوات السعودية احتلال تلك المناطق أصدر ابن سعود في ١٣٥١هـ-١٩٣٣م مرسوما قضى بضم عسير إلى المملكة العربية السعودية . أي أن إعلان ضم عسير حصل بعد قيام " المملكة العربية السعودية " والتي كان قد أعلن عنها في سبتمبر ١٩٣٢م

المرحلة الثالثة : الهجوم السعودي الشامل في ١٩٣٤م

الأسباب والدوافع لشن الهجوم : إذا تتبعنا سير الأحداث في تلك الفترة نجد أن هناك عددا من الأسباب حدت بالسعوديين إلى القيام بشن الهجوم الشامل على الدولة اليمنية ، ويمكن إجمالها في الآتي :

١-إرغام الحكومة اليمنية على الاعتراف بشرعية التواجد السعودي في أبها وجيزان ، فخلال المفاوضات المتعددة بين الدولتين (١٩٢٦-١٩٣٤) رفض الجانب اليمني التنازل عن أي جزء من عسير ، كما رفض التوقيع على أية اتفاقية حدود لا تتضمن عودة تلك المناطق إلى السيادة اليمنية .

٢-الحصول على مزيد من الأراضي . فبعدما تم لابن سعود احتلال أبها وجيزان ولى وجهه نحو نجران . في البداية طالب الإمام بأن يسحب قواته

---

[٢٧٣] حول تلك الأحداث راجع : الحربي ، ص١٠٢-١٠٥ ، ولم يذكر الباحث أي سند لتبرير **وجهة** نظره فيما ذهب إليه من اعتبار ذلك الحدث ثورة مرجهة ضد الحكم السعودي ، مع أنه ذكر أنه تم الاتفاق بين الأدارسة وابن سعود على حماية " الإمارة الإدريسية " من أطماع الإمام يحيى !

من نجران لتكون منطقة عازلة بين الدولتين ، وفي مرحلة تالية طالب أن تقسم بين الطرفين بصورة متساوية ، وقد قدمت هذه المطالب أثناء المحادثات التي عقدت بين الجانبين في أبها خلال شهر فبراير ١٩٣٤م أي قبل شن الهجوم بفترة قصيرة ، وكما رفض الجانب اليمني التنازل عن أي جزء من عسير فقد رفض أيضا التنازل عن أي جزء من نجران .

٣-الحصول على مزايا ومنافع اقتصادية ، فهناك من الباحثين من يشير إلى أن آل سعود قد اعتادوا على نهب الأعداء كلما اقتضت حاجتهم ذلك ، وفي تلك الفترة كانت اليمن هي البلد الوحيد المستقلة في الجزيرة العربية ، وكانت جميع البلدان الواقعة خارج حدود السعوديين آمنة وراء حدود قوية لا يمكن للسعوديين اختراقها بسبب وقوعها تحت الحماية البريطانية ، ولما كان آل سعود يعانون في تلك الفترة من عسرة مالية (خصوصا وأن المساعدات والهبات البريطانية لم تعد سخية كما كانت من قبل) ، لم يعد أمامهم من جهة ينهبونها سوى اليمن[٢٧٤] . ولهذا الرأي وجاهته إذا علمنا أن المناطق اليمنية كانت أوفر حظا في مقومات الحياة لكونها أغزر مناطق الجزيرة العربية مطرا ، وأخصبها تربة[٢٧٥] ، ومما يدعم هذا الرأي أيضا أن ابن سعود وضع ضمن شروطه لوقف الحملة العسكرية أن يدفع الإمام مائة ألف من الذهب .

٤-كان رفض الأدارسة للحماية السعودية ورجوعهم إلى الإمام يعد انتكاسة لابن سعود ، ذلك أن تآلف القوى السياسية في اليمن من شأنه أن يقوي الجبهة الداخلية ويمكن الدولة اليمنية من استعادة ما تراه حقا ، وقد اتضح ذلك من خلال رفض الإمام الطلب السعودي بتسليم الأدارسة ومطالبته

---

(٢٧٤) سنت جون فيلي ، ص٤٩٩-٥٠٤ .

(٢٧٥) الخترش ، ص١٦ .

للسعوديين بإعادة الحقوق إلى أهلها ، كل ذلك جعل ابن سعود يقــرر القيــام بعمل عسكري كبير ضد الإمام يحيى حتى يكف عن مطالباته . ولكي يضمن استمرار الدعم البريطاني أرسل ابن سعود إلى الحكومـــة البريطانيـــة بــأن إيطاليا " تقوم بتزويد الإمام والإدريسي معا بالأسلحة والذخيرة ، وأنها تشـجع الهجوم المتوقع على عسيــر خدمة لأهدافها الخاصة "[٢٧٦]

مبررات الهجــوم : بدأ عبد العزيز بن ســـعود الاســتعداد للقيــام بعمــل عسكري كبير بعدما احتل الحجاز ، غير أن حصول المواجهة بينه وبيــن قــادة جيشه المعروفون بالإخوان أدت إلى عرقلة مخططه وإضعاف قدراتـــه ، ولمــا استعاد عافيته بدأ يخطط للهجوم في ١٩٣١م وكان يريد المســـارعة فـــي شــن الحرب قبل أن تخف حدة المواجهة بين الإمام وبريطانيا ، إلا أنـــه كــان مــن الصعب عليه أن يشن حربا مكشوفة دون أن يوجد ما يبررها لسببين :

الأول : بعد أن أصبح ابن سعود حاكم الحرمين الشريفين أراد أن يحسن صورته أمام البلدان العربية والإسلامية والتي كانت قد اهتزت بسبب المآسي التـــي سببتها حروبه السابقة خصوصا مذبحة الحجاج اليمنيين ومجزرة الطائف.

الثاني : أن ابن سعود كان قد بدأ في السعي للاعتراف الدولي به بعد أن سمحت له بريطانيا في إقامة علاقات خارجية وفق اتفاقية جدة ١٩٢٧[٢٧٧] ، وكانت المباحثات من أجل الاعتراف الأمريكي بابن سعود قد بدأت بمناسبة توقيـــع معاهدة منع الحروب والمعروفة بميثاق باريس أو اتفاقية بريـــان-كيلــوج ١٩٢٨م والتي أنكرت الحرب كأداة للسيادة القومية ، وقد قامت حكومة ابــن

---

(٢٧٦) من فانسيتارت إلى السير جردام - وزارة الخارجية – لندن ٢٤يرليو ١٩٣٤م . مشار إليـــه في : الخـــترش ، ص١٥٣ .

(٢٧٧) راجع :-

-The Middle East and North Africa , 1990 , OP.Cit , p722

سعود بالتوقيع على تلك المعاهدة[٢٧٨] . ومن ثم أصبح ابن سعود ملزم دوليا بالامتناع عن الحروب العدوانية ، ولذلك ظل يتحين الفرصة المناسبة لشن الهجوم ، ويعمل على إيجاد المبررات التي تظهر حربه على أنها دفاعية :

- في ١٩٣١م أراد أن يستغل ما عرف بمشكلة " العرو " لشن الهجوم ، فادعى أن قوات الإمام اخترقت الحدود وأنه ملزم بالدفاع عن " الأراضي الموكولة إليه " إلا أن مستشاره المستر Philpy أكد أنه لا يوجد مبرر للحرب[٢٧٩].
- في ١٩٣٣م وبعدما أعلن عن ضم عسير أراد القيام بهجومه فادعى أن إيطاليا تزود الإمام والإدريسي بالسلاح وتشجعهما على شن هجوم ضده . ولأن الإنجليز يعرفون حق المعرفة أن عسير جزء من اليمن ، وأنهم الذين أثاروا المشكلة وحرضوا الإدريسي على الوقوف في وجه الإمام ، كما أنهم الذين أوعزوا إلى ابن سعود أن يتدخل في النزاع بين الإمام والإدريسي ، ولأنهم يريدون نزاعا طويل المدى بين ابن سعود والإمام فقد كان ردهم لابن سعود يقضي بالتمسك " بسياسة الاعتدال " ، كما أنهم ظلوا إلى ذلك الوقت غير معترفين بضم ابن سعود لعسير ، وقد بعث ابن سعود برسالة إلى بريطانيا يسألها عما إذا كانت ثمة عقبات قانونية أو واقعية تحول بينها وبين الاعتراف بذلك الوضع[٢٨٠] .
- في مايو ١٩٣٣م وجد ابن سعود الفرصة مواتية لشن الهجوم عندما قامت الحكومة اليمنية بالقضاء على التمرد القبلي في نجران فادعى أن قوات

---

[٢٧٨] راجع : د/محمد النيرب ، المرجع السابق ، ص٤٢ .

[٢٧٩] راجع : الخترش ، ص١٣٦-١٣٩ .

[٢٨٠] من السير جون سيمون إلى مستر كالفرت – وزارة الخارجية لندن ١٩٣٣م ، المرجع السابق ، ص١٥٤ ، ٢١٨ .

الإمام اخترقت الحدود وأن " هذه القوات بعد أن قمعت الثورة التي كانت قائمة ضد الإمام في نجران اليمن ، بدأت تتقدم نحو نجران نجد "[٢٨١] ، ولا شك أن المتتبع للأحداث سيتصور أن هناك نجرانان مع أن الجزيرة العربية لا توجد بها سوى نجران اليمن . عندئذ تم التحرك الفعلي لشن الهجوم حيث بدأت القوات السعودية تتوافد على الحدود ، كما " نشرت إدارة المطبوعات السعودية في تلك الفترة بلاغا رسميا عن الحوادث التي جرت على الحدود لتوضح للرأي العام العربي والإسلامي أن الملك ابن سعود يكره الحرب ولكنه ملزم بالدفاع عن أراضيه "[٢٨٢]

وبينما كان ابن سعود على وشك أن يشن هجومه في نهاية العام المشار إليه إذا بالإنجليز ينصحونه " بالتعقل " . والسبب في ذلك أن الاتصالات بينهم وبين الإمام تجددت في تلك الفترة وكل من الطرفين قد خفت حدة لهجته . بالنسبة لبريطانيا فقد أزعجها توقيع الإمام اتفاقيات تجارة وصداقة مع كل من إيطاليا والاتحاد السوفيتي فصارت تود أية صيغة تحافظ على الأمر الواقع ولم تعد تصر على الاعتراف الصريح بشرعية وجودها ، وبالنسبة للإمام فإن تزايد الضغوط والحشود العسكرية على الجبهة الشمالية جعلته يقتنع باستحالة مواصلة الحرب على جبهتين[٢٨٣] خصوصا وأن محاولاته في الابتعاد عن مواجهة ابن سعود من أجل التفرغ للجبهة الجنوبية لم تفلح ، لذلك بدأ يخفف من لهجته تجاه بريطانيا فلم يعد يرفض أي تعامل مع الإنجليز .

وبناء على النصيحة الإنجليزية ولكي يظهر أنه يحب السلام وافق ابن سعود على فتح باب المفاوضات بينه وبين الإمام ، وأبلغت الخارجية السعودية

---

(٢٨١) المرجع السابق ، ص١٥٩ .

(٢٨٢) المرجع السابق ، ص١٣٩ .

(٢٨٣) راجع:-

عزيز خودا بيرد يف ، مرجع سابق ، ص١٠٥ ؛ Hickinbotham , Op Cit , p.68,69

المسئولين في الخارجية البريطانية " بأن الملك ابن سعود سيحافظ على سياسته فيما يتعلق بمشكلاته مع الإمام ، وأنه من جانبه مصمم على ألا يتخذ سياسة عدائية في حل المشكلات المعلقة بين البلدين "[٢٨٤] فعقد بين الجانبين السعودي واليمني مؤتمر أبها في فبراير ١٩٣٤م في الوقت الذي كان ابن سعود قد أكمل استعداده العسكري ، وكان جيشه " يقف متأهبا على طول الحدود بين عسير ونجران مزودا بكميات وافرة من الأسلحة والذخائر "[٢٨٥] . وفي أثناء سير المباحثات صرح الوفد السعودي بأن " السلم والحرب متوقفان على قضية نجران ، فإذا كان وفد سيادة الإمام يصر على احتلال نجران من قبل الإمام يحيى فإن الوصول إلى حل سلمي مستحيل "[٢٨٦] .

وفي الوقت الذي كانت تدور فيه المفاوضات السعودية اليمنية في مدينة أبها في فبراير ١٩٣٤م ، كانت المفاوضات اليمنية البريطانية قد اختتمت بتوقيع اتفاقية صنعاء في فبراير ١٩٣٤م . وقد سارع ابن سعود إلى القيام بالعمل العسكري قبل أن يتحسن وضع الحكومة اليمنية بسبب هدوء جبهتها الجنوبية ، فقام بشن الهجوم والوفد اليمني لا يزال في أبها .

المناطق التي استهدفها الهجوم :

مع أن المبررات والتصريحات أكدت على أن الهجوم السعودي كان يهدف إلى استرجاع المناطق التي قيل إن الإمام يحيى احتلها ، فإن الدلائل والوقائع أكدت على أن هدف الهجوم كان أبعد من ذلك بكثير ، لقد كانت " صنعاء " هي الهدف النهائي لذلك الهجوم للأدلة الآتية :-

---

[٢٨٤] مشار إليه في : الخترش ، ص١٧٨ .

[٢٨٥] راجع : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

[٢٨٦] المرجع السابق : ص١٨٥ .

١-بدأ الإعداد للهجوم بعد سقوط الحجاز في يد ابن سعود ، فالوفد الأول الذي أرسله ابن سعود إلى الإمام يحيى بغرض " إقامة علاقات صداقة وحسن تفاهم " مكث في صنعاء مدة تزيد على العام ، ولما عاد الوفد إلى ابن سعود قدم له تقريرا عن " الوضع الداخلي في اليمن "[٢٨٧] .

٢-في ١٩٣١م عندما بدأ التخطيط الفعلي للهجوم عكف ابن سعود – مع مستشاريه ومنهم المستر Philpy – يدرس التقارير والخرائط ، ويضع هجوما صحراويا كاسحا على صنعاء من الشمال الشرقي[٢٨٨] .

٣-في ١٩٣٣م وأثناء الاستعداد للهجوم طلب ابن سعود من الحكومة البريطانية " أن تقدم له معونة مادية .. أو أسلحة بشروط طيبة ، وفي مقابل ذلك سيكون مستعدا ليبدي كرمه الشديد إزاء المصالح البريطانية سواء في " المملكة العربية السعودية " أو في " اليمن " إذا ما احتلها ، وقد فهمت الحكومة البريطانية أن الملك قد يكون مستعدا بالإضافة إلى ترضية الحكومة البريطانية فيما يتعلق بمصالحها بوجه عام ، لأن يقدم لها تنازلات خاصة "[٢٨٩].

٤-بعد أن احتلت القوات السعودية مدينة الحديدة أرسل ابن سعود إلى بريطانيا للحصول على مزيد من الدعم والمساندة ومما جاء في الرسالة " إنه لا يستطيع أن يوقف زحف جيشه على صنعاء ، وأنه يأخذ على نفسه مسئولية المحافظة على الأمن ، وعلى سلامة الأجانب ، ولا يضمر شرا للإنجليز ، ولا ينوي الاعتداء على مستعمراتهم وممتلكاتهم "[٢٩٠]

---

(٢٨٧) المرجع السابق ، ص١٢٩ .

(٢٨٨) المرجع السابق ، ص١٣٩ .

(٢٨٩) من السير جون سيمون إلى مستر كالفرت – وزارة الخارجية-لندن ، ٢٧ يوليو ١٩٣٣م . مشار إليه في المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

(٢٩٠) مشار إليه في المرجع السابق ، ص١٩٢ .

والسؤال الذي يفرض نفسه : إذا كان الإعداد والتخطيط للهجوم قد تم منذ وقت طويل ، وإذا كانت صنعاء هي الهدف النهائي للهجوم فلماذا تراجع بن سعود عن الزحف عليها ؟

المتتبع لسير الأحداث يجد أن هناك عدة أسباب جعلت ابن سعود يعيد حساباته وأهمها :-

أولا : إن الخطة الأساسية للهجوم على صنعاء والتي وضعت في ١٩٣١م كانت تحدد مسار الهجوم من الشمال الشرقي . وعندما تم شن الهجوم اتضح فشل الخطة ، فبينما نجح الجناح العسكري السعودي الذي تولى الهجوم على الخط الساحلي في الوصول إلى الحديدة ، فإن الجناح الأساسي الذي تولى الهجوم في اتجاه أبها ــ صعدة ــ صنعاء تعثرت مهمته ولم يتمكن من الوصول حتى إلى صعدة[٢٩١] . ولذلك اقتنع ابن سعود أن من الصعوبة بمكان الوصول إلى صنعاء نظرا لعدم قدرة قواته على القتال في الجبال لوعورتها ومنعتها ، ولخبرة قوات الإمام في القتال عليها ، فقد سبق أن عجزت القوات العثمانية عن القضاء على الأئمة رغم الحملات المتعددة سواء خلال الفتح العثماني الأول أو الثاني لليمن . ولذلك عندما فشل الجناح العسكري الأساسي فإن الجناح الذي وصل إلى الحديدة رغم تحمسه لمواصلة القتال لم يندفع للتقدم نحو المرتفعات الجبلية[٢٩٢].

ثانيا : تردد الموقف البريطاني : ذكرنا سابقا أن بريطانيا عملت بعد الانسحاب العثماني على إعادة تشكيل الخريطة السياسية للجزيرة العربية بما يوافق مصالحها ، وعلمنا أن الدولة اليمنية كانت تعتبر دولة معادية لبريطانيا ، فقد كانت الدولة الوحيدة في المنطقة التي طالبت برحيل الاستعمار

---

[٢٩١] حول وقائع الهجوم راجع : المرجع السابق : ص٢٣٠-٢٣٢ .

[٢٩٢] Hickinbotham , Aden , p69

الإنجليزي عن الجزيرة العربية ، وكانت الوحيدة التي دخلت مع الإنجليز ميدان العراك والقتال ، وكانت الوحيدة التي أقامت علاقات خارجية دون استشارة بريطانيا ومع دول تعتبر منافسة لها . ورأينا أن ابن سعود كان من ضمن الأدوات التي استخدمتها بريطانيا لكبح جماح الدولة اليمنية والضغط عليها حتى ترضخ للمطالب البريطانية . ولاحظنا أن بريطانيا عملت على أن يظل الصراع السعودي-اليمني متواصلا ولذلك كلما كان ابن سعود يرسل إليهم طالبا دعمهم وموافقتهم على شن الهجوم الشامل كان ردهم يقضي " بضبط النفس " أو " توخي الحذر " إلخ .

وقد جاء في أحد التقارير البريطانية أن بريطانيا " منذ أن تصاعد النزاع السعودي-اليمني لم تدع الفرصة تمر دون أن تقدم النصح للملك ابن سعود ، وقد استجاب الملك ابن سعود حقيقة لهذه النصائح ، وأمر ببذل كل جهد ممكن لديه للوصول إلى حل سلمي مع الإمام وتأجيل استخدام القوة في نزاعه معه "[٢٩٣].

ولما حقق الإنجليز هدفهم بتوقيع اتفاقية صنعاء مع الإمام لم يعودوا بحاجة إلى مزيد من الضغوط عليه ، ثم إن ابن سعود قد انتظر كثيرا وأجل الهجوم عدة مرات نزولا على رغبتهم فلا ضير من أن يمارس هوايته بعد ذلك فلم يعد مهما لديهم من المنتصر ومن المهزوم . ولذلك عندما بعث ابن سعود إلى الإنجليز يطلب دعمهم حتى يتمكن من مواصلة الحرب جاءه الرد بأن الحكومة البريطانية " ستراعي في جميع أعمالها الحياد الدقيق إزاء النزاع القائم الآن في جزيرة العرب "[٢٩٤]

---

(٢٩٣) مشار إليه في : الخرش ، ص٢٨٦ .

(٢٩٤) مشار إليه في المرجع السابق ، ص٢٨٩ .

ثالثا : عندما وصل الجناح العسكري السعودي الثاني إلى الحديدة فت في عضد الإمام فأرسل إلى ابن سعود طالبا الهدنة ، فانتهز ابن سعود هذه الفرصة ورأى أن تحقيق مطالبه المعلنة خير له من الاستمرار في حرب غير مضمونة العواقب وربما تؤدي إلى مفاجئات غير سارة خاصة وأن بريطانيا لم تبد استعدادها لمواصلة الدعم والمساندة .

المبحث الثاني
عوامل الانتصار والانهزام

العوامل السياسية .

اختلفت الأولويات السياسية لكل من ابن سعود والإمام يحيى بعد الانسحاب العثماني من الجزيرة العربية ، فقد ركز ابن سعود جهوده السياسية في توسيع رقعة نفوذه معتمدا على العون البريطاني . بينما كانت سياسة الإمام يحيى تقوم على اعتبار أن بريطانيا هي الخطر الحقيقي الذي يهدد الجزيرة العربية ولذلك حشد جهوده العسكرية والسياسية لمواجهة ذلك الخطر . تلك السياسة جعلت الإمام يواجه قوتين في آن واحد :

- بريطانيا وهي قوة عظمى تملك وسائل الترغيب والترهيب ولها قدرة على إثارة القلاقل والنعرات القبلية والمناطقية والمذهبية .

- ابن سعود وكان قد برز كقوة لا يستهان بها في الجزيرة العربية خصوصا بعد احتلاله للحجاز . وقد ظل يرقب التطورات على الساحة اليمنية سواء فيما يتعلق بالمشاكل الداخلية أو فيما يتعلق بالمواجهة مع بريطانيا فكان يستفيد من كل ذلك لتوسيع نفوذه على حساب المناطق اليمنية(٢٩٥).

---

(٢٩٥) راجع :-

-Lenore G. Martin , The Unstable Gulf Threats from within ,Op.Cit , P20.

ففي الوقت الذي كانت الطائرات البريطانية تقصف عددا من المناطق اليمنية في الجنوب كان ابن سعود يشن هجماته على عدد من المناطق اليمنية في الشمال ، وفي الوقت الذي يقتل فيه البريطانيون عددا " محدودا " من اليمنيين كانت قوات ابن سعود تقتل منهم عددا " غير محدود " .

ولما رأى الإمام أن ابن سعود لم يتوقف عن تلك الأفعال أراد أن يعيد ترتيب أوراقه السياسية فوافق على عقد اتفاقية " الوضع الراهن " مع بريطانيا في فبراير ١٩٣٤م ، ولكن في ذلك الوقت كان ابن سعود قد أكمل تجهيزاته العسكرية فقام بشن هجومه الكاسح قبل أن يلتقط الإمام أنفاسه ، ممّا مكنّه من فرض إرادته على الإمام .

العوامل العسكرية

في الوقت الذي كان الجيش السعودي مجهزا بأحدث التجهيزات العسكرية في ذلك الحين فإن قوات الإمام كانت رديئة التسليح وليس لديها ما لدى الطرف الآخر من وسائل النقل والاتصالات[٢٩٦]

فعندما شن ابن سعود هجومه الشامل لم تكن قوات الإمام مجهزة لخوض حرب مكشوفة لأن المعدات التي تمتلكها تناسب حرب الجبال لكنها لا تجدي في حرب الرمال ، ولذلك تراجعت إلى الجبال منذ بداية الهجوم تاركة القوات السعودية تزحف بطول الساحل وتتوغل في تهامة دون مقاومة[٢٩٧] .

ويبدو أن الأئمة عندما شعروا أن صنعاء هي المستهدفة من الهجوم فضلوا انسحاب قواتهم من السواحل إلى الجبال فإذا ما تقدمت القوات السعودية صوب الجبال أمكن التعامل معها نظرا لخبرة قواتهم في هذا الجانب لكن الت[illegible] ات

---

[٢٩٦] مجموعة من المؤلفين السوفيت ، المرجع السابق ، ص٥٠ .

[٢٩٧] راجع : الحترش ، ص ٢٣٢ .

السعودية التي وصلت إلى الحديدة استفادت من تجربة الجناح السعودي الأساسي الذي تعثرت مهمته على محور أبها ــ صعدة ولذلك لم تندفع صوب التلال فيصيبها ما أصابه .

ومن ثم فإن التحليل الذي أورده أحد الكتاب عندما عزا نجاح القوات السعودية في تهامة إلى أنه نابع من تعاون سكان تهامة مع تلك القوات نظرا لميول " الشوافع العقائدية "[٢٩٨] تحليل يجانبه الصواب ، ويتناقض مع ما ذكره الكاتب نفسه من أن سكان تهامة تعاونوا مع قوات الإمام وانضموا إليها أثناء زحفها على الإدريسي في ١٩٢٥م ، فإذا كانت " الميول الشافعية " دافعا لتعاون السكان فالمفترض أن يكون تعاونهم مع الإدريسي أكثر على اعتبار أن الجميع من أتباع المذهب الشافعي ! أما القوات السعودية فلا علاقة لها بذلك المذهب ! هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الكاتب لم يقدم نموذجا واحدا يدل على التعاون ، بل إنه ذكر أن السكان طلبوا الأمان على أنفسهم ، فهل طلب الأمان يعتبر من قبيل التعاون !؟

والواقع أن عدم مقاومة السكان للقوات السعودية يرجع إلى سببين :

١-إن سكان تهامة كانوا قد سئموا الحروب ، فهم على الدوام أول من يصطدم بالقوات الغازية لليمن ، وكما ذكرنا سابقا فقد تعرضت المدن اليمنية في تهامة خصوصا القنفذة والحديدة للقصف المتعدد من البوارج الحربية الأجنبية ، فخلال الحرب العثمانية الإيطالية قصفت السفن الإيطالية القنفذة بالقنابل في ١٩١٢م ، وأثناء الحرب العالمية ١٩١٤-١٩١٨م كانت تهامة مسرحا للعمليات العسكرية ، حيث طال القصف البريطاني عدة مدن فيها ، كما كانت تهامة مسرحا لصراع القوى الداخلية المتنافسة على السلطة في

---

(٢٩٨) المرجع السابق ، ص٢٢٦ .

اليمن . وما إن كادت تهدأ وتستقر وتسترد عافيتها بعد أن خبا النزاع الداخلي بين الإمام والإدريسي حتى اجتاحتها القوات السعودية .

٢-إن القسوة التي اشتهرت بها القوات السعودية في تعاملها مع سكان المناطق التي يحتلونها قد أصاب سكان تهامة بالذعر والهلع ، فما حدث لأهالي أبها من فتك وسلب ونهب ، وما وقع لأهالي الطائف من قتل وتشريد ، وما تعرض له الحجاج اليمنيون من ذبح وإبادة ليس ببعيد عن أبناء تهامة لا مسافة ولا زمنا ، ومما زاد من هلعهم أن القوات الحكومية قد انسحبت إلى الجبال فأنّى لهم بالمواجهة والمقاومة ؟

العوامل المعنوية

بعد انتهاء الحرب العالمية انتشى ابن سعود غبطة وسعادة ، فالقوة الدولية التي دخل تحت حمايتها وحارب إلى جانبها ، ونقض عهده مع العثمانيين من أجلها خرجت منتصرة من تلك الحرب ، وأضحت القطب الدولي الوحيد المهيمن على شئون المنطقة .

الوضع الجديد رفع من معنوية ابن سعود لأن العثمانيين كانوا هم الذين قضوا على الإمارة السعودية الأولى ، وكانوا حلفاء آل الرشيد الذين قضوا على الإمارة السعودية الثانية . ولأن السعوديين لم يسبق لهم أن واجهوا خطرا حقيقيا من داخل نجد أو الحجاز فإن انتهاء الدور العثماني في الجزيرة العربية فتح الأمل أمام ابن سعود لإعادة الحكم السعودي فيهما .

لكن وكما هو مذكور سابقا لم يكن ابن سعود الوحيد في الجزيرة الذي تحالف مع البريطانيين وحظي بدعمهم فقد كان شريف مكة أكثر منه قربا ومكانة لديهم ، وكان اعتمادهم عليه في تسيير الجيوش العربية لمحاربة العثمانيين كبيرا نظرا لمكانة مكة المكرمة بين العرب والمسلين .

ولقد أراد ابن سعود أن يعرف مكانته في ظل المعادلة الجديدة فأرسل قواته إلى الحجاز في ١٩١٩م أي عقب الحرب العالمية مباشرة فكان الإنذار البريطاني في ٤يونيو ١٩١٩م محذرا له من التقدم في الأراضي الحجازية(*) فانصاع للتحذير وعاد بقواته إلى الرياض ، واتجه للقضاء على ما تبقى من آل رشيد وانتهى من ذلك في ١٩٢١م ، ولأن جنده متحمسين لمواصلة الفتوحات والقضاء على المشركين ! وهو ممنوع من قبل الإنجليز في ذلك الوقت من التقدم نحو الحجاز ، فقد فتح ابن سعود للإخوان جبهة يجاهدون فيها هي الجبهة اليمنية ، فكانت أحداث أبها ومقتل الحجاج اليمنيين خلال الفترة من ١٩٢١م-١٩٢٣م . ثم توقفت الأحداث على الجبهة اليمنية بعدما رفع الإنجليز أيديهم عن الشريف حسين ، فكانت أحداث الحجاز في ١٩٢٤،١٩٢٥م .

ولا شك أن الانتصارات المتلاحقة للقوات السعودية قد جعلت معنويات السعوديين قادة وجندا مرتفعة ، فكانت تحركاتهم أكثر ثباتا وثقة .

وفي ظل المعادلة الجديدة كان وضع الإمام حرجا للغاية ، فقد دخل في عراك وصدام مع بريطانيا — كما عرفنا سابقا — منذ اللحظات الأولى للانسحاب العثماني ، وبينما كان الإمام مركزا جهوده وحاشدا قواته على الجبهة الجنوبية إذا به يتلقى أقسى الضربات على الجبهة الشمالية ، وقد جاء في إحدى رسائل الإمام إلى حسن بن عائض الحاكم المحلي لعسير " إن الضربات النجدية التي كانت توجه إلى أطراف عسير كنت أحس أنها تقع على رأسي ، فإذا ما استقر أمير نجد — لا سمح الله — في أبها كانت الضربات بعدها على صنعاء "(٢٩٩). ثم تقع أحداث أبها ومقتل الحجاج اليمنيين لتدخل الخوف إلى نفسية الإمام ، ولما هدأت الجبهة الشمالية نتيجة انشغال ابن سعود بالحجاز وبحركة الانشقاق

(*) راجع هامش (٤٣) .

(٢٩٩) محمد بن مسلط البشري المرجع السابق ، ص٢٨٦ .

التي حدثت في صفوف قواته ، كان الإمام منشغلا بالقضاء على هذا التمرد أو ذاك الاضطراب والتي كانت تحدث غالبا بفعل دسائس الإنجليز[٣٠٠] ، ومـا أن تتوقف الاضطرابات الداخلية حتى تنشط الطائرات البريطانية فتقصف عددا من المناطق اليمنية في فترات متفاوتة . ثم إن سقوط الحجاز أصاب الإمام بفزع شديد ، ذلك أن الشريف حسين كان قد ذاع صيته وعلت شهرته ، وبدا مؤهلا لحكم المنطقة العربية كلها ، فهو يحكم الحجاز ، وأبناؤه يحكمون العراق والأردن . ولذلك لم يكن أحد يتوقع في تلك الفترة أن تسقط الحجاز في أيدي القوات السعودية بتلك الكيفية والسرعة ، كما أن مسارعة السفن البريطانية إلى أخذ الحسين ونفيه إلى قبرص كان معناه أن بريطانيا قد جعلت ابن سعود ركيزتها في الجزيرة العربية .

تضافرت تلك العوامل لتجعل نفسية الإمام مهزومة ، فكانت تحركاته مترددة ومضطربة ولذلك سارع في الأيام الأولى لشن الهجوم الشامل إلى مناشدة ابن سعود طالبا منه إيقاف الحرب مبديا استعداده لقبول شروطه ، بينما نجد أن ولي عهده والذي كان يتولى صد الهجوم السعودي على محور أبها - صعدة كان يرى مواصلة الحرب ورفض الشروط السعودية[٣٠١] لأن معنوياته كانت مرتفعة نتيجة تمكنه من إفشال الهجوم السعودي على ذلك الاتجاه ومحافظته على نجران وجبال عسير .

---

[٣٠٠] راجع :

- عزيز بيرد يف ، ص١٣٤ .
- الخترش ، ص١١٤ .

[٣٠١] القاسمي ، المرجع السابق ، ص١٦٨ .

الفصل الثاني

المفاوضات السعودية-اليمنية ١٩٢٦-١٩٣٤م

عرف الإنسان التفاوض منذ القدم سواء في العلاقات بين المجموعات البشرية أو في العلاقات الدولية ، وجاء الإسلام فأقر هذه الوسيلة وطبقها ، ولذلك فأبنا الجزية العربية — مهبط الوحي ، ومبوأ الفصحى ومنطلق العروبة — مدعُوّون أكثر من غيرهم لحل خلافاتهم عبر الحوار الأخوي المباشر .

وقد شهدت الفترة من ١٩٢٦-١٩٣٤م تبادل العديد من الوفود والرسائل والبرقيات بين الحكومتين السعودية واليمنية ، وعقدت جلسات المحادثات المباشرة الآتية :-

- محادثات صنعاء في ١٩٢٦م
- محادثات صنعاء في ١٩٢٧م
- محادثات مكة في ١٩٢٨م
- محادثات صنعاء في ١٩٣٣م
- محادثات أبها في ١٩٣٤م

كانت تلك المحادثات بارقة أمل في أن الدولتين ستحلان خلافاتهما سلما بدلا من مواصلة سفك الدماء ، وإزهاق الأرواح ، وتخريب الممتلكات ، وترويع الآمنين . في هذا الفصل نلقي الضوء على تلك الفترة لنتعرف على مواطن الخلاف ، والنتائج التي أسفرت عنها اللقاءات المباشرة بين الطرفين .

المبحث الأول

موضوع التفاوض

كان موضوع النقاش بين الطرفين في كل جلسات التفاوض يدور حول " تحديد الحدود وإقامة علاقات طبيعية بين الدولتين " رغم تعدد الأسباب والبواعث التي كانت تؤدي إلى التقاء الطرفين . وكما هو معروف فإن العلاقة بين الأئمة وآل سعود لم تكن ودية منذ أن وجد الحكم السعودي في نجد والحجاز . فكل من الطرفين لا يذكر الآخر بخير :

- فالأئمة يذكرون لآل سعود انهم سيروا أكثر من حملة عسكرية على المناطق الشمالية من اليمن منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر[*].
- وآل سعود يذكرون للأئمة تعاونهم مع حملة محمد علي خلال مهاجمتها للإمارة السعودية الأولى[٣٠٢]

وكما هو مذكور سابقا فقد بدأت المفاوضات في صنعاء حيث أرسل ابن سعود وفدا إلى الإمام يحيى بغرض " تثبيت الحدود وإنشاء علاقات صداقة وحسن تفاهم "[٣٠٣] .وفي تلك الفترة كان هناك عقبتان تعوقان التوصل إلى اتفاق يثبت الحدود ويجعل علاقات الدولتين حسنة :-

العقبة الأولى : مصير " أبها " : ذكرنا سابقا أن القوات السعودية تمكنت، من احتلال أبها والقضاء على آل عائض حكامها المحليين في ١٩٢٣م وعرفنا أن الإمام عندما لم يتمكن من صد الهجوم وجه رسائله إلى السعوديين مؤكدا أن ، ما حدث يعد اعتداء وغزوا .

(*) راجع : جذور النزاع ص٥٠-٥٥ .

(٣٠٢) راجع : د/ عبد الله القباع ، المرجع السابق ، ص١١٥، ١١٦ ..

(٣٠٣) راجع : الخترش ، ص١٢٧ .

ولما عقدت المباحثات بعد مرور ثلاث سنوات تقريبا من الاحتلال ، سعى الجانب السعودي إلى إقرار الأمر الواقع والحصول على اعتراف الإمام بشرعية تواجده ، بينما طالب الجانب اليمني بإعادة المنطقة إليه .

العقبة الثانية : تسوية حادث الحجاج اليمنيين : لا شك أن ما حدث للحجاج اليمنيين يعد جريمة بشعة تأباها النفس البشرية وترفضها الأديان السماوية .

- ذلك الفعل جريمة موجهة لليمنيين جميعا لأن الضحايا كانوا من مختلف المناطق والقبائل اليمنية .
- ذلك الفعل وصمة عار في جبين أبناء الجزيرة عموما ، فالضحايا من أبنائها وكانوا متوجهين إلى البيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ، ولم يسبق لأبناء الجزيرة أن عرفوا مثل هذا الفعل لا في جاهلية ولا في إسلام .
- ذلك الفعل تشويه لصورة المسلمين ، وخنجر مسموم ضد مبادئ الإسلام والتي جاءت لتحمي النفس البشرية وتسموا بها إلى آفاق أرحب ، ويكفينا قول الله تعالى " أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا "[٣٠٤].
- ذلك الفعل جريمة موجهة ضد الإنسانية جمعاء يندرج في عداد الجرائم المخلة بسلم الإنسانية وأمنها وجرائم إبادة الجنس البشري .

ولذلك كان من الصعوبة بمكان إقامة علاقات حسنة دون معالجة آثار ذلك الحادث الذي زرع الحقد والكراهية بين أتباع الدولتين . وكان أقل ما يمكن فعله لتلافي تلك الآثار أن يحاكم المتسببون في الحادث ، وأن يتم تعويض أسر الضحايا .

---

(٣٠٤) الآية (٣٢)من سورة المائدة .

وممـا يثير الدهشة والاستغراب أن هناك من الكتاب من راح يخطئ الجـانب اليمني لاهتمامه بتلك المسألة ، معتبرا أن المشكلة انتهت بإرسـال ابـن سـعود رسالة رقيقة إلى الإمام يحيى(٣٠٥) . وكأن الضحايـا مـن الأمـلاك الخاصـة بالزعيمين !

المبحث الثاني

سلوك الطرفين أثناء مرحلة التفاوض

يعتبر سلوك الأطراف خلال مرحلة التفاوض علامة هامة على مدى اتجـاه كل منهما إلى إيجاد حل للمشاكل القائمة ، ويقتضي حسن النية أن يلتزم الطرفـان خصوصا في منازعات الحدود بالآتي :-

١-المحافظة على الوضع القائم بالتوقف عن أية استحداثات جديدة .

٢-التوقف عن التحركات العسكرية والامتناع عن إطلاق التهديدات .

سلوك الطرف السعودي

إن مبادرة ابن سعود بإرسال وفد إلى الإمام يحيى في يونيو ١٩٢٦م وقبـول الأخير التباحث مع ذلك الوفد كان مظهرا لرغبة مشتركة في التوصل إلى حلـول مناسبة .

وإذا كان الجانب السعودي هو الذي أوجد المشكلة باحتلاله " أبـها " وقتلـه للحجاج اليمنيين فإنه كان يتحمل القسط الأكبر في العمل على بناء وتعزيز الثقـة بين الجانبين . لكن الواقع العملي يظهر لنا غير ذلك ، فالجـانب السـعودي لـم يكتف بالسعي إلى إقرار الأمر الواقع حينئذ فحسب بل إنه أثار مشكلات جديـدة ،

---

(٣٠٥) د/عبد الله سعود القباع ، المرجع السابق ، ص١٨٣ ، الخترش ، ص١٢٠ .

وتقدم بطلبات إضافية على فترات زمنية ارتبطت إلى حد كبير بظروف الدولة اليمنية . ففي مرحلة أولى تدخل في المشكلة الإدريسية ، وفي مرحلة ثانية طالب باقتسام نجران . ونتناول ذلك بشيء من التفصيل :

المرحلة الأولى : التدخل في النزاع بين الإمام والإدريسي

عرفنا سابقا أن الإمام يحيى ورث الحكم العثماني في اليمن ، وأصبح بموجب قواعد القانون الدولي المسئول عن كافة المناطق اليمنية التي كانت تشكل الولاية العثمانية ، وأن العلاقة بينه وبين القوى السياسية في اليمن سواء كانت إيجابية أو سلبية تعد شأنا داخليا .

وبينما كانت المفاوضات السعودية اليمنية تدور في صنعاء لإيجاد حل لمشكلة أبها ومشكلة الحجاج إذا بابن سعود يتدخل في المشكلة الإدريسية :

- **في خطوة أولى :** أرسل ابن سعود رسالة إلى الإمام يحيى أبدى فيها رغبته في الحفاظ على ما أسماه " إمارة الأدارسة " حتى تكون حدا فاصلا بين بلاده واليمن[٣٠٦].
- **في خطوة ثانية :** وبينما كان الوفد السعودي في صنعاء إذا بابن سعود يعلن في أكتوبر ١٩٢٦م حمايته للإدريسي بصورة مفاجئة أثارت الدهشة والاستغراب كما هو مذكور سابقا .
- **في خطوة ثالثة :** شن ابن سعود هجوما عسكريا احتل بواسطته المنطقة التي كانت في يد الإدريسي والتي أعلن أنه سيحميها . مما أدى إلى فرار الإدريسي إلى الإمام .

---

[٣٠٦] الخرش ، ص١٢٢ .

- في خطوة رابعة : وجه ابن سعود رسالة إلى الإمام يحيى يطالبه فيها بتسليم الإدريسي باعتباره -كما جاء في الرسالة- " بؤرة فساد .. وعنده رجال مفسدون .. وهو عدونا وعدوكم "[٣٠٧]

المرحلة الثانية : إثارة الجدل حول نجران

رغم أن القوات السعودية تحركت بصورة نشطة لاحتلال المناطق اليمنية خلال الفترة من ١٩٢١-١٩٣٤م فاحتلت " أبها " ثم " جيزان " فإن ابن سعود لم يوجه أية قوات نحو " نجران " ، وربما تكون الضربة التي وجهها والي نجران إلى الإمارة السعودية الأولى هي التي جعلته يحجم عن ذلك .

وقد ظلت الأمور هادئة في نجران حتى مايو ١٩٣٣م حين تمردت إحدى القبائل على سلطة صنعاء فقامت قوات الإمام بقمع التمرد وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه ، وهنا وجد آل سعود الفرصة مواتية للتدخل :

- في خطوة أولى : ادعوا أن قوات الإمام بعد أن قمعت الثورة التي كانت قائمة ضد الإمام في نجران اليمن تقدمت نحو نجران نجد[*]

- في خطوة ثانية : ادعوا أن أهالي نجران أرسلوا وفدا إلى العامل السعودي في أبها يؤكدون خضوعهم وولاءهم للملك ابن سعود[٣٠٨] .

- في خطوة ثالثة : طالبوا باستقلال نجران واعتبارها نوعا من الأراضي العازلة أو المحايدة بين السعودية واليمن[٣٠٩] ، حيث أكد الملك ابن سعود أنه بالرغم من إيمانه بتطلع أهل نجران نحو نجد أكثر من تطلعهم نحو اليمن فإنه ومن أجل الحل السلمي مستعد لأن يضحي بمصالحه الخاصة مقابل أن

---

[٣٠٧] راجع النص في المرجع السابق ، ص١٥٨ .

[*] راجع مبررات الهجوم السعودي الشامل

[٣٠٨] الخترش ، ص١٦٤ .

[٣٠٩] من اندرو رايان إلى جون سيمون - جدة ٢يناير ١٩٣٤ ، مشار إليه في الخترش ، ص١٦١ .

يوافق الإمام على حياد ذلك الإقليم ! ، ومستعد لأن يوافق على عدم إرسال أي قوات إلى نجران إلا من أجل المحافظة على النظام والقانون هناك(٣١٠).

- **في خطوة رابعة :** طالبوا باقتسام نجران بالتساوي ، وقد جاء في رسالة بعث بها ابن سعود إلى الإمام " وأما مسالة نجران ، فإما أن تقبلوا اقتراحنا عليكم (يقصد الحياد) أو أن تقترحوا ما به المساواة بيننا وبينكم ليقطع دابر الفساد ويثبت السلم والإصلاح "(٣١١) .
- **في خطوة أخيرة :** بعد انتصارهم في الهجوم الشامل في ١٩٣٤م فرضوا على الإمام إخلاء نجران كاملة .

سلوك الطرف اليمني

عرفنا أن الدولة اليمنية خلال نزاعها مع آل سعود كانت تواجه نزاعا في مستواه أو أشد منه وهو نزاعها مع بريطانيا التي سخرت إمكاناتها لإضعاف الدولة اليمنية فعملت على إثارة الاضطرابات الداخلية من خلال رعاية العناصر المناوئة للدولة وتقديم الدعم اللازم لها .

ومن ثم لم يكن بإمكان الدولة اليمنية أن تفتح لها جبهة أخرى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يلاحظ أن السياسة اليمنية حينئذ كانت تعتبر الخطر البريطاني أولى بالمواجهة ، ولذلك كان السلوك اليمني في تعامله مع ابن سعود يقوم على أساسين :

الأساس الأول : تجنب الخيار العسكري : فعندما تدخل ابن سعود في الشئون اليمنية وأعلن حمايته للإدريسي في الوقت الذي كان وفده في صنعاء فإن الدولة اليمنية لم تقم بأي هجوم كما لم تقم بطرد الوفد السعودي من

---

(٣١٠) المرجع السابق ، ص١٦٥

(٣١١) المرجع السابق ، ص١٨٦ .

أراضيها، وعندما شن ابن سعود هجومه العسكري على جيزان وقضى على الأدارسة لم تقم الدولة اليمنية بأي رد عسكري مضاد .

الأساس الثاني : عدم الاعتراف بأية استحداثات يقوم بها آل سعود: رغم أن الدولة اليمنية لم تقم بأي فعل عسكري ضد الاقتطاع السعودي للأرض اليمنية خلال تلك الفترة فإنها ظلت تعتبر تلك الأفعال غير مشروعة :

١-اعتبر الجانب اليمني إعلان ابن سعود حمايته للإدريسي إعلانا باطلا لأن محاولات الإمام لإخضاع الإدريسي كانت قائمة لم تنته بعد[٣١٢] .

٢-اعتبر الإمام وجود القوات السعودية في منطقة عسير انتهاكا مباشرا لحدود دولته ولمبادئه التي يؤمن بها وبخاصة مبدأ " اليمن لليمنيين "[٣١٣]

٣-رفضت الحكومة اليمنية الإعلان السعودي بضم عسير حيث أصر الجانب اليمني في مفاوضات يوليو ١٩٣٣م على تخلي السعودية عن عسير[٣١٤]

---

(٣١٢) راجع : المرجع السابق ، ص١١٦ .

(٣١٣) المرجع السابق ، ص١١٥ .

(٣١٤) راجع : المرجع السابق ، ص١٥٦-١٥٨ .

المبحث الثالث

نتيجة المفاوضات

النتيجة الطبيعية للتفاوض هي توصل الأطراف إلى اتفاق بشأن المواضيع التي تم التفاوض حولها . وإذا كان التفاوض عموما عملية معقدة " فإن التفاوض الدولي أكثر تعقيدا وتداخلا ، فهو يشمل التفاعل البشري المعقد في مستواه الأول ، وفي مستوى ثان تأتي الوحدة الدولية ككيان معقد ومتشابك ، في إطار مستوى ثالث هو البيئة الدولية "[٣١٥].

ويعتبر التفاوض في مجال " الحدود الدولية " من أصعب أنواع المفاوضات ، فالطرف المسيطر على الجزء المتنازع عليه لا يمكن أن يتخلى عن ذلك الجزء إلا في إحدى حالتين : إما أن يجبر على ذلك ، أو أن تتكون لديه قناعة بأن لا حق له في ذلك الجزء فيبادر بإعادة الحق إلى أهله وهذا أمر نادر الوقوع . والطرف الذي فقد ذلك الجزء لا يمكنه التسليم بشرعية استيلاء خصمه ، ولذلك يظل مترقبا للفرصة المناسبة للتوثب على خصمه واستعادة ما يراه حقا.

والواقع أنه كان بإمكان الدولتين السعودية واليمنية أن يقدما في تلك الفترة نموذجا رائعا لحل الخلافات سلما عبر الحوار الأخوي المباشر ، وللأسف الشديد لم يحدث ذلك ، فتلك المفاوضات التي استمرت ما يقرب من ثماني سنوات أعقبها حرب شاملة بين الدولتين .

أسباب فشل المفاوضات : من خلال العرض السابق لموضوع وسلوك الطرفين أثناء التفاوض ، ومن خلال تتبع الأحداث في تلك الفترة يتضح الآتي :-

---

(٣١٥) د/محمد بدر الدين مصطفى : نحو إطار لدراسة [illegible]رضات الدولية ، مجلة السياسة [illegible]ولية ، العدد (١٢٥) ، يوليو ١٩٩٦م ، ص[illegible] .

أولا : كانت المباحثات أشبه ما تكون بجلسات للجدل العقيم ، فكلما قدم أحد الطرفين دليلا على ما يقول ، سارع الآخر إلى نفيه :

- خلال المباحثات الأولى في صنعاء أوضح الجانب اليمني أن عسير جزء من اليمن ، فرد عليه الجانب السعودي إن عسير ليست من بلاد اليمن[٣١٦].
- خلال مباحثات أبها أكد الوفد اليمني أن نجران قسم من اليمن منذ القدم ، فأجاب الوفد السعودي بأن نجران لم تكن في يوم من الأيام من اليمن[٣١٧]

ثانيا : كان الجانب السعودي يتحرك على الأرض ثم يفاوض ، سعيا إلى إقرار الأمر القائم ، وأملا في الحصول على مكاسب جديدة . أما الجانب اليمني فكانت وسيلته المباحثات فحسب ، سعيا وراء استعادة ما فقده :

- خلال مباحثات صنعاء في ١٩٢٦/١٩٢٧م سعى الجانب اليمني إلى استعادة أبها وإيجاد تسوية لقضية الحجاج ، بينما طالب الجانب السعودي بالحفاظ على " إمارة الأدارسة " .!
- خلال مباحثات صنعاء ١٩٣٣م التي عقدت بعد الهجوم السعودي الذي أدى إلى رجوع الأدارسة إلى الإمام سعى الجانب اليمني إلى استعادة عسير ، أما الجانب السعودي فطالب بتسليم الأدارسة . !
- خلال مباحثات أبها ١٩٣٤م طالب الجانب اليمني بإيجاد حل لمشكلة عسير ، بينما طالب الوفد السعودي بإخلاء نجران . !

من يتحمل تبعة فشل المفاوضات ؟

أول ما نلحظه أن الجانب السعودي هو الذي كان يبادر بإرسال الوفود إلى الإمام يحيى ، فقد أرسل إلى صنعاء ما لا يقل عن ثلاثة وفود في

[٣١٦] راجع : الخرش ، ص١٢٧، ١٢٨ .

[٣١٧] المرجع السابق ، ص١٨٤ .

١٩٢٦،١٩٢٧،١٩٣٣م مما يجعل المتتبع يظن لأول وهلة أن الطرف السعودي يبحث عن السلام ، ويحرص على اتفاق الدولتين .

لكن ذلك الظن يتبدد عندما نستعرض ما دار في لقاءات الأطراف ، وما حدث من تحركات على الجانبين ، وما جرى من اتصالات ومراسلات بين الطرفين ، أو بينهما وبين الغير ، حيث تبدوا الحقائق التالية :-

١-كان الهدف من إرسال الوفود الإطلاع على الأوضاع في اليمن ، والعمل على كسب موالين ومؤيدين ، فقد ذكرنا أن الوفد الأول الذي أرسله ابن سعود إلى صنعاء مكث هناك ما يزيد على السنة ، ولما عاد إلى ابن سعود قدم له تقريرا عن الوضع الداخلي في اليمن .

٢-لم يكن الهدف من المباحثات التوصل إلى حلول مناسبة لمشاكل قائمة من خلال استعراض وجهات نظر الطرفين كما يحدث عادة في المفاوضات ، بل إن ابن سعود كان يرسل الوفود بغرض تقديم طلبات ، وإملاء شروط .

٣-كان إرسال الوفود والرسائل إيهاء للجانب اليمني وتغريرا به ، ففي الوقت الذي كان ابن سعود يؤكد للإمام " إنه ليس لنا أغراض أو مطامع سواء في شخصكم أو وطنكم "[٣١٨] كان يجلس مع مستشاريه يضع الخطط لهجومه الشامل . وفي الوقت الذي كان يراسل الإمام يؤكد نيته الصادقة في تجنب أي عمل هجومي كان يراسل الإنجليز يطلب منهم العون المادي والعسكري لاحتلال ما تبقى من اليمن مبديا استعداده لتقديم التنازلات التي ترضيهم[*].

٤-كان هدف ابن سعود من عقد اللقاءات الظهور بمظهر الحريص على السلام والساعي إليه حتى إذا دخل في حرب شاملة مع الإمام " يكون قد كشف للعالمين العربي والإسلامي موقف الإمام مما يسوغ له شن حرب ضده

---

[٣١٨] المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

[*] راجع الفصل السابق .

"(٣١٩) . وقد سبق أن علمنا أن ابن سعود في الوقت الذي وافق علـــى عقــد مؤتمر المفاوضات في أبها كان جيشه يقف متأهبا على الحدود استعدادا لشــن الهجوم . وعندما وصل الوفد اليمني إلى أبها لم يجد إلا نبرة استعلاء وتلويح بالحرب كأنما ذهب لتلقي أوامر لا يحق له مناقشتها أو مراجعتها ، وقد سـبق أن أشرنا إلى تصريح الوفد السعودي الذي جاء فيــه " إن الســلم والحــرب متوقفان على قضية نجران " . وليت الأمر اقتصر على ذلك فقد قـــام ابــن سعود باحتجاز الوفد اليمني المفاوض ضاربا عرض الحائط بكل الأعـــراف والمواثيق الدولية . فعندما أصر الجانب السعودي على مطلبه بعث الإمـــام إلى ابن سعود يطلب منه عودة الوفد اليمني وأن يتاح له من الوقت ما يـــراه مناسبا لدراسة الموقف(٣٢٠) وبدلا من أن يرد ابن سعود على تلك الرسالة قام بشن هجومه الشامل والوفد اليمني محتجز لديه .

٥-اتبع ابن سعود خطة تكاد تكون واحدة للاستيلاء على مزيد مـــن الأراضـــي اليمنية منذ أن بدأ في إرسال الوفود إلى صنعاء ، تمثلت تلك الخطة في :-

- **إثارة الجدل حول المنطقة التي يزمع احتلالها** : فقد رأينا أنــــه عندمـــا أراد احتلال ما تبقى من عسير طالب بالإبقاء على ما أسماه " إمارة الأدارسة " .
- **المطالبة بحيادها لتكون منطقة عازلة بين الطرفين** : فقد كانت هذه ذريعتـــه عندما أراد الاستيلاء على جيزان ، وكانت ذريعته أيضا حينما ولى وجهه شــطر نجران ، وهذا يؤكد ما ذكره Philpy من أن ابن سعود كان يرى ضرورة تـــرك هذه الأماكن لاستقلالها الفوضوي بعض الشيء إلى أن تدفعها أوضاعـــــها إلـــى الوقوع تحت سلطته (*)

---

(٣١٩) الخترش ، ص١٧٨ .

(٣٢٠) المرجع السابق ، ص١٨٧، ١٨٨

(*) راجع : هامش رقم (٢١) .

- **اتهام الإمام باختراق الحدود ونقض التعهدات :** فقد عرفنا أنه كان يستغل أية مشكلة داخلية في اليمن فيدعي أن قوات الإمام اخترقت الحدود واعتدت على أراضيه ، وقد تكرر ذلك ما لا يقل عن مرتين : الأولى أثناء ما عرف بمشكلة العرو ، والثانية أثناء قيام الإمام بوضع حد لتمرد قبيلة يام في نجران .
- **شن الحرب دفاعا عن أراضيه :** فعندما فشل في الاستيلاء على ما تبقى من عسير عن طريق الحيلة قام بشن هجومه على جيزان تحت ذريعة مخالفة الإدريسي لاتفاق الحماية . ولما شن هجومه الشامل على الدولة اليمنية كان تحت ذريعة تحرير " نجران نجد !! " .
- **المطالبة بتحديد الحدود بناء على الأمر الواقع :** فبعدما احتلت قواته مدينة أبها قدم وفده المرسل إلى صنعاء اقتراحا بتحديد الحدود بناء على ذلك الواقع ، ولما أعلن حماية الإدريسي طالب بتحديد الحدود بين اليمن وبين ما أسماه " إمارة الأدارسة " ، ولما قضى على الأدارسة وأعلن ضم عسير إليه حاول الضغط على الإمام أكثر من مرة كي تحدد الحدود في ضوء تلك التطورات .

المبحث الرابع

مقارنة بين مفاوضات التسعينيات ومفاوضات العشرينيات

موضوع التفاوض

لأن المشكلة الحدودية لم تحل بطريقة ودية باتفاق إرادتي الطرفين فإن موضوع التفاوض لم يتغير عما كان عليه في العشرينات ففي كلا الحالتين دارت المباحثات ولا زالت حول " الحدود والعلاقات "

علاقات الطرفين أثناء التفاوض

في العشرينيات بدأ التفاوض وعلاقات الطرفين سيئة ، وفي التسعينيات بدأ التفاوض وعلاقاتهما سيئة أيضا :

- ففي العشرينيات بدأت المباحثات وقد أباد السعوديون آلاف اليمنيين واحتلوا عدة أجزاء من الأرض اليمنية ، وفي التسعينيات بدأت المفاوضات وقد طرد السعوديون مئات الآلاف من العمال اليمنيين دون ذنب اقترفوه أو جرم ارتكبوه.
- في العشرينيات نظر السعوديون إلى عرض القيادة اليمنية التوسط بينهم وبين أشراف الحجاز بأنه عرض غير ودي يهدف إلى مساعدة الشريف حسين[٣٢١] . وفي التسعينيات عندما رفضت القيادة اليمنية الحل العسكري الأجنبي لأزمة الخليج وتقدمت بمبادرة سلمية لحلها ، اعتبر السعوديون ذلك عملا معاديا القصد منه دعم القيادة العراقية .

---

[٣٢١] راجع :-

- د/ عبد الله الشباع ، ص١٨٤ .
- الخترش ، ص١٢١ .

سلوك الطرفين أثناء التفاوض

يكاد يكون سلوك الطرفين في مفاوضات التسعينيات هو نفسه في مفاوضات العشرينيات

الطرف السعودي :

- في العشرينات كان يتحرك على الأرض ثم يفاوض ، وفي التسعينيات يتحرك على الأرض أيضا ثم يفاوض ، وخير دليل على ذلك الهجوم السعودي على جزيرة " الدويمة " في ١٩٩٨م.
- في العشرينيات تدخل في النزاع بين الإمام والإدريسي ، وفي التسعينيات تدخل في النزاع بين الرئيس ونائبه .
- في العشرينيات كان يسعى إلى إقرار الأمر الواقع ثم يتقدم بطلبات جديدة ، وفي التسعينيات بعد أن سعى إلى إقرار معاهدة الطائف طالب بالحصول على منفذ إلى البحر العربي .
- في العشرينيات عندما كان يريد احتلال منطقة كان يبدأ في إثارة الجدل حولها كما فعل بالنسبة لـ " نجران " ، وفي التسعينيات عندما أراد الحصول على منفذ إلى البحر العربي تقدم بمذكرات تحفظ إلى المنظمات الدولية حول اتفاقية الحدود اليمنية–العمانية(*).

الطرف اليمني

- خلال العشرينيات لم يقم بالرد على أي هجوم عسكري سعودي ، وكذلك في التسعينيات لم يقم بالرد على الهجوم السعودي الذي طال جزيرة الدويمة.

(*) راجع :-

نظرة على المفاوضات الحدودية (١٩٢١-١٩٩٨) ص٦٣-٦٦ .

- في العشرينيات لم يتخذ أي إجراء عملي عند مقتل الحجـــاج اليمنييـــن ، وفي التسعينيات نجد أنه لم يتخذ أي إجراء عملي عندما تم ترحيـــل العمـــال اليمنيين ، كالمطالبة بحقوقهم مثلا ، أو رفع دعوى الحماية الدبلوماسية مـــن أجلهم .
- خلال مفاوضات العشرينيات كان يرفض التنازل عـــن أي جـزء مـن الأرض اليمنية ولم يذعن للشروط السعودية إلا بعد الهجوم الشـــامل فـــي ١٩٣٤م ، وفي التسعينيات نجد تصريحاته تؤكد أيضا على عدم التنازل .

ولا ندري هل سيقوم الطرف السعودي هذه المرة بهجوم كاسح على الدولـــة اليمنية لفرض الشروط التي يريدها كما فعل فـــي الثلاثينيـــات أم أنـــه سـيكتفي بممارسة الضغوط الاقتصادية والسياسية !!

توازن القوى بين الطرفين

في العشرينيات فاوضت الدولة السعودية بعد أن قضت علـــى خصومـــها ، وكانت تتلقى دعما من بريطانيا أكبر قوة دولية آنـــذاك ، أمـــا الدولـــة اليمنيـــة ففاوضت وهي في حالة حرب مع بريطانيا ، ووضعها الداخلي غير مستقر .

وفي التسعينيات تفاوض الدولة السعودية ووضعـــها متمـيز ، فاقتصادهـــا مزدهر ولها مكانتها على المستوى العربي والدولي ؛ بينتمـــا تفـــاوض الدولـــة اليمنية وأوضاعها صعبة نتيجة تأثر اقتصادها الشديد بأزمة الخليج ، كما شـــهدت خلال مفاوضاتها حربا داخلية دامية بسبب المحاولـــة الانفصاليـــة ، ولـــم يكـــد وضعها يهدأ بعد القضاء على تلك المحاولة حتى فوجئت باحتلال ارتيريا لبعـــض جزرها .

وإذا قارنا بين وضع الدولة اليمنية في العشرينيات ووضعها في التســـعينيات نجد تطورا كبيرا ، فبينما كانت تسيطر على جزء محدود من الأرض اليمنيـــة ،

وكان جيشها عبارة عن مجموعات قبلية ينقصها التدريب والتنظيم ، وكانت في حالة حرب مع قوة دولية عظمى ، فإنها الآن تبسط سلطتها على معظم الأرض اليمنية ، ولها جيش مدرب ومنظم وليست في حالة عداء مع أية قوة دولية .

وإذا قارنا بين الدولة السعودية في العشرينيات والدولة السعودية في التسعينيات نجد كذلك تطورا مهما ، فبينما كان اقتصادها يقوم على مساعدات بريطانيا ، وعلى " الغنائم " التي يجمعونها أثناء قتال " المشركين " ! وعلى موارد الحج (بعد السيطرة على الحجاز) وهي موارد شحيحة لا تكاد تفي لتغطية النفقات المطلوبة ، فإنها أضحت في أواخر هذا القرن تقدم المساعدات والعون للعديد من الدول والجماعات على مستوى العالم .

ولكن من الناحية المقابلة بينما كان لها قدرة ذاتية على إيصال تهديدها إلى جيرانها سواء في العراق أو الشام أو في داخل الجزيرة ، فإنها الآن لم تعد قادرة على حماية نفسها بذاتها في الوقت الذي صارت فيه أغلب الدول المجاورة لها في مستواها أو أقوى منها .

الوضع الدولي

في العشرينيات اختل التوازن الدولي وانهار نظام القطبية الثنائية بتفكك " الدولة العثمانية " فسيطر قطب واحد " بريطانيا " على مجريات الأمور في الجزيرة العربية .

وفي التسعينيات اختل التوازن الدولي بتفكك " الاتحاد السوفيتي " فأضحت أمريكا القطب الدولي الوحيد .

وفي كلتا الحالتين كان الاختلال الدولي في صالح " السعودية " فالقطب الذي برز في الحالتين ترتبط معه بعلاقات وثيقة . ولكن بينما كانت السعودية أداة بريطانيا في القضاء على القوى المعادية لها أو تحجيمها ، فإن أمريكا لم

تكن بحاجة إلى أداة إقليمية للقضاء على خصومها فهي تقـــوم بذلـك بصـــورة مباشرة ، وبينما كانت الدولة اليمنية في حالة حرب مع القطب الذي بـــرز فـــي العشرينيات فإن علاقتها تبدوا طبيعية مع القطب الذي برز في التسعينيات ، فقـــد سبق لأمريكا أن سارعت إلى الاعتراف بالنظام الجمهوري ودعمه في الستينيات ، كما أنها لم تقف ضد الوحدة اليمنية في التسعينيات .

الفصل الثالث

آثار الضم السعودي لعسير

عرفنا من خلال الفصلين السابقين أن المملكة العربية السعودية تمكنت عبر الهجمات العسكرية التي قامت بها منذ ١٩٢١م من احتلال عسير تدريجيا إلى أن أعلنت في ١٩٣٣م عن ضمها إلى إقليمها ، ولما فشلت في حمل الدولة اليمنية على إقرار ذلك الوضع عبر المباحثات قامت بشن هجومها الشامل في ١٩٣٤م ، وبواسطته نجحت في جعل الدولة اليمنية تذعن لكافة مطالبها .

وحيث أن ضم " عسير " لم يكن بتراضي الدولتين فقد ترتب عليه انعكاسات سلبية عديدة سواء على الأوضاع الداخلية في اليمن أو على مسيرة العلاقات بين الدولتين ، وهو ما سنوضحه في ثلاثة مباحث متوالية :-

المبحث الأول

تأثير ضم عسير على الأوضاع اليمنية

أدى الضم السعودي القسري للأراضي اليمنية إلى عدة تأثيرات على الساحة اليمنية يمكن إجمالها في الآتي :-

أولا : أحدث شرخا داخل الأسرة الإمامية الحاكمة :

عندما أعلنت السعودية عن ضم عسير اختلفت الأسرة الحاكمة في اليمن آنذاك في الأسلوب الذي يجب انتهاجه في التعامل مع ذلك الحدث ، فقد كان ولي العهد يميل إلى استعادة عسير بأي ثمن حتى لو أفضى ذلك إلى حرب مستمرة مع السعودية ، أما والده فكان يرى أنه يمكن استعادة عسير من خلال المفاوضات ، ولذلك رأينا أن الجانب اليمني في كل جلسات التفاوض يطالب الجانب السعودي أن يعيد " الأمانة إلى أهلها " .

ولما شنت السعودية هجومها الكاسح في ١٩٣٤م وتمكنت من احتلال المزيد من الأراضي اليمنية زادت الخلافات بين الإمام وولي عهده ، فالأول كان يرى أنه لا مناص من الرضوخ لشروط ابن سعود حفاظا على ما تحت اليد ، بينما رأى الآخر مواصلة الحرب ورفض التنازل عن شبر واحد من الأرض اليمنية[٣٢٢]

ثانيا : كان ضم عسير من الأسباب الرئيسية لسقوط الحكم الإمامي : من المعروف أن حركة المعارضة للنظام الإمامي لم تظهر إلا في منتصف

---

[٣٢٢] راجع : الخترش ، ص٢٥١ .

الثلاثينيات وكان من أسباب بروزها هزيمة الإمـــام أمـــام الســـعودية[٣٢٣] ورضوخه لمطالبها ، وقد واصلت تلك الحركة جهودها إلى أن تمكنت مـــن تحقيق أهدافها في ١٩٦٢م بإعلان قيام " الجمهورية العربيـــة اليمنيـــة " . وهكذا أدى ضم عسير إلى القضاء على النفوذ السياسي لثـــلاث أســـر فـــي اليمن :-

- ❖ آل عائض ١٩٢٣م.
- ❖ الأدارســـة ١٩٣٣م.
- ❖ الأئمـــة ١٩٦٢م

وبينما قضي على آل عائض والأدارسة من قبل السعوديين مباشـــرة فـــإن الأئمة قضي عليهم بسبب آل سعود بصفة غير مباشرة ، ومن سخرية الأقدار أن " عسير ونجران " والتي من أجلها دخل الأئمة في صراع طويل مع آل ســـعود أضحت بعد قيام الثورة اليمنية ــ بتمكين من السعوديين ــ المركز الذي انطلـــق منه الأئمة لمحاربة الجمهورية ومحاولة القضاء عليها[٣٢٤]

ثالثا : أدى ضم عسير إلى حدوث صراع بين القوى اليمنية الجمهورية حـــول كيفية التعامل مع السعودية : كان وضع عسير مثارا للصراع بين اليمنييـــن سواء على مستوى النظامين الحاكمين في صنعـــاء وعـــدن فـــي مرحلـــة التشطير أو على المستوى الداخلي في الجمهورية العربية اليمنية .

---

[٣٢٣] د/ صادق عبده علي : الحركات الاجتماعية والسياسية في اليمن ١٩١٨-١٩٦٧م ، ص١٠٩ . القـــاسمي ، ص٤٠ .

[٣٢٤] عندما شكل مجلس الأمن " بعثة الأمم المتحدة للمراقبة اليمنية " والتي عرفـــت ب UNYOM كمحاولـــة لإيقاف الصراع الجمهوري-الملكي وصلت مجموعتها الاستطلاعية الأولى إلى اليمن في ١٣ يناير ١٩٦٣م وانتشـــرت في كل من صنعاء والحديدة وصعدة ونجران وجيزان . راجع : إدجار أوبالانس : اليمن الثورة والحرب حتى عـــام ١٩٧٠م ، ترجمة وتعليق : د/ عبد الخالق محمد لاشيد ، دار الرتي-بيروت ، مكتبة مدبولي-القـــاهرة ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

بالنسبة للصراع بين الجمهوريتين :

نلاحظ أنه عندما اتفق قادتهما على التوحد عقب الصدام المسلح بينهما في ١٩٧٢م جاء في المشروع الذي قدمه وفد " جمهورية اليمن الديمقراطية " في الاجتماع الذي عقد بمقر الجامعة العربية بتاريخ ١٩٧٢/١٠/٢١م " .. والوحدة اليمنية خطوة في اتجاه وحدة الأمة العربية كلها وترتبط بالعمل على إعادة توحيد أراضي اليمن كلها باستعادة عسير ، نجران ، جيزان .. "[٣٢٥] . وجاء في الملاحظات التي أوردها على المشروع المقدم من وفد " الجمهورية العربية اليمنية " أنه " يستغرب إغفال مسألة استعادة الأراضي اليمنية السليبة .."[٣٢٦].

بالنسبة لصراع القوى السياسية في الجمهورية العربية اليمنية :

لم تتوقف الحرب الملكية-الجمهورية إلا بعد أن أوصلت البلاد إلى حافة الانهيار ، ولم يكن أمام النظام الجمهوري كي يخرج من كبوته سوى الرضوخ للشروط السعودية وأهمها إقرار الحدود الواردة في معاهدة الطائف ، ومن ثم صدر تصريح من وزيري خارجية الدولتين في ١٩٧٣م باعتبار تلك الحدود نهائية ودائمة .

ولأن معاهدة ١٩٣٤م " لم تمنح عسير للسعوديين بشكل نهائي ، بل لفترة عشرين سنة قابلة للتجديد "[٣٢٧] فقد أدى ذلك التصريح إلى مشكلات سياسية

---

[٣٢٥] راجع : د/أحمد عطية المصري ، مرجع سابق ، ص٣٢٣ .

[٣٢٦] راجع :

- د/أحمد عطية المصرية ، ص٣٢ .
- القاسمي ، ص١٦٩ .

[٣٢٧] مارك ن. كاتز : القوى الخارجية والحرب الأهلية في اليمن ، بحث ضمن كتاب " حرب اليمن ١٩٩٤ الأسباب والنتائج لـ مركز الإمارات للدراسات الاستراتيجية ، الطبعة الأولى ١٩٩٥، ص١٠٢ ، ١٠٣ .

داخل الجمهورية ، كما وقعت أحداث عنف مأساوية بين الحكومة ومناوئيها ، وطالت الاغتيالات العديد من الشخصيات اليمنية البارزة (٣٢٨) .

المبحث الثاني

تأثير ضم عسير على علاقات الدولتين

أشرنا سابقا إلى أن العلاقات السعودية اليمنية لم تشهد استقراراً منذ أن وجدت الدولة السعودية ، ورغم أنه تعاقب على حكم اليمن العديد من الأنظمة على امتداد العقود المتلاحقة من هذا القرن فإن أيا من تلك الأنظمة لم تستقر علاقتها مع المملكة السعودية .

ظلت العلاقات يسودها التوتر والحذر والتضاد في ظل النظام الملكي ، ومع النظام الجمهوري . في ظل الحكم الإسلامي ، وفي ظل الحكم الشيوعي . في أيام التشطير ، ومع دولة الوحدة .

وحتى التحسّن الذي ظهر في علاقة المملكة مع " الجمهورية العربية اليمنية " في السبعينيات اتضح أنها علاقات تكتيكية اقتضتها ظروف المد الشيوعي والصراع الذي ساد في علاقة النظامين اليمنيين ، ولذلك عادت العلاقات إلى التدهور بعد تقارب النظامين .

ويرى بعض الكتاب أن العلاقات السعودية اليمنية شهدت تطورا إيجابيا بعد معاهدة الطائف ١٩٣٤م لكن الانقلاب اليمني (هكذا يسمونه) لعام ١٩٦٢م والذي

---

(٣٢٨) حول الأحداث التي أعقبت ذلك التصريح راجع : جريجري جويس : العلاقات اليمنية السعودية بين الماضي والمستقبل (الأبنية الداخلية والمؤثرات الخارجية) ، رسالة دكتوراه ، ترجمة : سامية الشامي ، طلعت غنيم حسن ، مكتبة مدبولي-القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ، ص١٦٨-١٧١ .

أطاح بالنظام الملكي هو الذي دهور العلاقات وأحدث الصراع بين المملكة السعودية والدولة اليمنية[٣٢٩].

والواقع أن هذا الرأي قول نظري يناقضه الواقع ، ويكفي أن نشير إلى الآتي :-

١-ذكر أولئك الكتاب أن الملك عبد العزيز بن سعود تعرض لمحاولة اغتيال في ١٩٣٥م من قبل ثلاثة يمنيين بعد مرور عشرة أشهر على إعلان معاهدة الطائف . وقد اختلفت الأراء في الجهة التي كانت وراء الحادث ، فقد ذهب البعض إلى إن أصابع الاتهام وجهت إلى الإمام يحيى ، بينما أكد آخرون أن ولي عهد الإمام كان المسئول عن ذلك التدبير ، وذهب اتجاه ثالث إلى أن المحاولة كانت شخصية لا علاقة لها بالجهات اليمنية المسئولة[٣٣٠] . وبغض النظر عما إذا كان الحادث من تدبير جهة يمنية رسمية أم لا فإن التساؤل الذي يفرض نفسه هل كانت تلك المحاولة نتاج التطورات الإيجابية لمعاهدة الطائف ؟ أم أنها تدل على مشاعر الحقد والرغبة في الانتقام نتيجة المآسي التي سببتها الهجمات السعودية على اليمن خلال الفترة ١٩٢١-١٩٣٤م ؟

٢-عندما انقسم العالم العربي في الخمسينيات إلى معسكرين أحدهما المعسكر المحافظ وتقوده السعودية ، والآخر المعسكر التقدمي وتقوده مصر ، فإن الدولة اليمنية ــ ورغم أن نظام الحكم فيها كان ملكيا ــ انضمت إلى

---

(٣٢٩) / سعيد محمد باديب : الصراع السعودي المصري حول اليمن الشمالي (١٩٦٢م-١٩٧٠) ، دار الساقي ومركز الدراسات الإيرانية والعربية ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ، ص٤١-٤٦ . د/ عبد الله سعود القباع ، ص١٩٣-١٩٧ .

(٣٣٠) راجع : د/ عبد الله القباع ، ص١٨٩ .

المعسكر التقدمي[٣٣١] فهل كان ذلك دليلا على التطـورات الإيجابيـة بعـد معاهدة الطائف ؟.

٣-انتهجت الدولة اليمنية -في ظل النظام الملكي- خطا سياسيا مضادا للسياسـة السعودية حيث أوجدت نوعا من التقارب مع الاتحاد السوفيتي وعـدد مـن دول الكتلة الشرقية[٣٣٢]. إذن الثورة اليمنية ليست مسـئولة عـن تدهـور العلاقات مع السعودية لأنها متدهورة أصلا قبل أن يصل الثوار إلى الحكم .

والحقيقة أن الأسلوب العسكري الذي اتبع لحل الخـلاف الحـدودي بيـن الدولتين والذي ابتدأ في ١٩٢١م وبلغ ذروته في ١٩٣٤م هو السـبب الرئيسـي لتأزم العلاقات السعودية اليمنية ، فقد كان سلوك الدولتين بعد الحـرب الشـاملة بينهما يعبر عن إفرازات ونتائج الحرب ، فالمنتصر راح يعمـل علـى تعزيـز انتصاره واستمرار تفوقه ، والمنهزم راح يبحث عن منفذ يستطيع مـن خلالـه الخروج من كبوته :

بالنسبة للدولة اليمنية :

حاولت الاستفادة من تجربتها خلال الحرب مع السعودية فـاتضـح لـها أن السبب الرئيسي لهزيمتها عدم امتلاكها للوسائل والمعدات العسكرية المتطـورة ، إضافة إلى أن جيشها كان عبارة عن مجموعات قبلية غير منظمـة ، كمـا أن انعزالها عن العالم كان سببا في تأخرها وسببا في عدم قدرتـها علـى التحـرك السياسي والدبلوماسي للدفاع عن مصالحها ، ولذلك تحركت على النحو التالي :

---

[٣٣١] راجع : د/ سعيد باديب ، ص٤٦ .

[٣٣٢] المرجع السابق ، ص٤٤ ، ٤٥ .

١-عملت على تحديث قواتها : وفي هذا الصدد أرسلت عدة بعثات للدراسة في الخارج خصوصا العراق ومصر بغرض تخريج الكوادر العسكرية المتخصصة ، كما استقدمت خبراء وفنيين للقيام بتلك المهمة .

٢-انضمت إلى التجمعات الإقليمية التي يمكن من خلالها مواجهة الضغوط السعودية : ففي ظل النظام الملكي انضمت اليمن عام ١٩٥٨م إلى " الجمهورية العربية المتحدة " رغم الاختلاف البين في نظامها وأسلوب حكمها عن كل من مصر وسوريا .

وفي ظل النظام الجمهوري انضمت اليمن إلى " مجلس التعاون العربي " رغم أن الدراسة التي تمخضت عنها فكرة إنشاء المجلس كانت تقتصر على " العراق ، مصر ، الأردن "[٣٣٣] ورغم البعد الجغرافي لليمن عن الدول الثلاث . ومما دفع " الجمهورية العربية اليمنية " إلى الاستجابة السريعة لذلك المجلس فتور العلاقات بينها وبين بعض العواصم المجاورة خصوصا " الرياض " بسبب عدم دعوتها للاشتراك في " مجلس التعاون الخليجي " فقد اعتبرت " صنعاء ذلك الموقف تجاهلا لدورها في حماية المنطقة من الأخطار الشيوعية[٣٣٤].

بالنسبة للدولة السعودية :

ركزت جهودها في التعامل مع اليمن منذ ١٩٣٤م على تثبيت النتائج التي تمخضت عنها الحرب من خلال :

١-**الحفاظ على مكاسب الحرب** : عرفنا أن السعودية تمكنت خلال هجماتها المسلحة على اليمن من الاستيلاء على أجزاء كبيرة من أراضيها ، ولأن التجربة السعودية مع اليمن تدل على أن تلك المكاسب ما كان لها أن تتحقق لولا

---

[٣٣٣] راجع : محمد حسنين هيكل ، ص١٦٩ ، ١٧٦ .

[٣٣٤] حسن أبو طالب ، ص١٥٩ .

انشغال الدولة اليمنية بترتيب أوضاعها الداخلية ، وتحرير أرضيها المستعمرة من الإنجليز ، فقد ظلت السياسة السعودية تضع في حساباتها إمكانية أن تقوم أية حكومة يمنية بشن هجمات عسكرية أو شبه عسكرية لاستعادة تلك المناطق[٣٣٥] ولمواجهة هذا الاحتمال قامت " المملكة " ببناء قواعد ومدن عسكرية ضخمة في عسير أهمها مدينة خميس مشيط العسكرية .

٢-العمل على ربط السياسة الخارجية اليمنية بالسياسة السعودية: ظلت "المملكة " تتعامل مع الدولة اليمنية تعامل المنتصر مع المهزوم طوال هذا القرن ، فاستكثرت على اليمن أن يكون لها أي دور في الجزيرة العربية ولم تقبل بأن تتبنى الدولة اليمنية موقفا سياسيا يختلف عن موقفها ، بدليل الوقائع الآتية:-

- عندما انضمت اليمن إلى " الدولة العربية المتحدة " في أواخر الخمسينات اعتبرت السعودية ذلك الانضمام تآمرا عليها ، مما أدى إلى زيادة تأزم العلاقة بين الدولتين[٣٣٦].
- عندما انضمت اليمن إلى " مجلس التعاون العربي " في أواخر الثمانينات اعتبرت السعودية أن هناك مؤامرة لتطويقها من الجنوب[٣٣٧] .
- عندما طلبت اليمن الانضمام إلى " مجلس التعاون الخليجي " بعد قيام الدولة اليمنية الواحدة وافقت ثلاث دول على ذلك الطلب[*] ، أما السعودية فقد تجاهلت الطلب تماما وكأنه لا يستحق الرد والمناقشة !

---

[٣٣٥] راجع : د/ سعيد باديب ، ص١٨٢ .

[٣٣٦] راجع : المرجع السابق ، ص٤٦ ، ٤٧ .

[٣٣٧] راجع : محمد حسنين هيكل ، ص١٥٩ وما بعدها ، فقد ذكر أن العلاقات المصرية السعودية أصابها بعض التدهور نتيجة انضمام اليمن ، مما حدا بالرئيس المصري إلى أن يرسل وزير الخارجية إلى السعودية لتوضيح مسألة انضمام اليمن ، وما إن بدأ الوزير المصري حديثه عن الموضوع حتى قال الملك السعودي " ما هي حكاية اليمن هذه ؟ " .

عندما اتخذت اليمن موقفا سياسيا من أزمة الخليج تمثل في رفض الحل العسكري الأجنبي اعتبرت السعودية ذلك الموقف تآمرا مع القيادة العراقية ، ومع أن عددا من الدول العربية اتخذت نفس الموقف فإن أيا منها لم تعان ما عانته اليمن على كافة الأصعدة .

ولا ندري كيف نسيت الحكومة السعودية أن مؤسسها الملك عبد العزيز عندما شنّ حربه الشاملة على اليمن في ١٩٣٤م بعث مذكرات رسمية إلى بريطانيا وإيطاليا وفرنسا عندما كانت سفنها تجوب مياه البحر الأحمر آنذاك يخبرها فيها " بأن الحرب محصورة بين دولتين إسلاميتين ، فلا يجوز لدولة غير مسلمة أن تتدخل في النزاع "[٣٣٨]

(*) تقدمت اليمن بطلبها الرسمي في ديسمبر ١٩٩٦م خلال انعقاد قمة مجلس التعاون التي عقدت في الدوحة ويقال أن قطر وعمان والإمارات أبدت موافقتها على الطلب .

[٣٣٨] الخترش ، ص ٢٨٥ .

المبحث الثالث

تأثير ضم عسير على الموقف السعودية إزاء التطورات اليمنية

لأن ضم عسير كان قسرا ولم يكن بتراضي الدولتين السعودية واليمنية ، فقد ظلت " المملكة السعودية " تتوجس من أية تطورات على الساحة اليمنية ، ورغم ما يتردد كثيرا من أن السعودية لا تتدخل في الشئون الداخلية لليمن[٣٣٩] فإن الواقع يثبت أنه لم يمر حدث ذا شأن في اليمن على امتداد هذا القرن دون أن تساهم " السعودية " فيه وتترك بصماتها عليه :-

- في ١٩٢٦م دخلت السعودية في النزاع بين الإمام والإدريسي .
- في ١٩٦٢م تدخلت في النزاع الملكي-الجمهوري .
- في ١٩٩٤م تدخلت في النزاع بين الحكومة والانفصاليين .

الموقف السعودي من النظام الجمهوري

إذا كان المبرر السعودي لتدخلها في النزاع الملكي-الجمهوري أنه تم بناء على التماسات الأسرة المالكة ، وكان نتيجة للأخطار التي شكلها التدخل العسكري المصري على الأمن السعودي[٣٤٠] فإن التجربة السابقة واللاحقة على ذلك الحدث تؤكد أن " السعودية " تتدخل لصالحها فقط دون التزام أية معايير :-

- فعندما تدخلت عسكريا في النزاع بين الإمام والإدريسي أثناء تمرد الأخير كان التدخل ضد الحكم القائم ، ولم يكن هناك أية أخطار تهدد " الأمن السعودي ".

---

[٣٣٩] انظر :

د/ سعيد باديب ، ص٢٠٠ ، د/عبد الله القباع ، ص١٩٧ وما بعدها .

[٣٤٠] انظر :- د/عبد الله القباع ، ص٢٠٠-٢٠٤ .

وعندما تدخلت في النزاع بين الحكومة والانفصاليين في ١٩٩٤م كان التدخل أيضا ضد الحكم القائم ، ولم يكن هناك أي خطر يستهدف " السعودية ".

وأستطيع أن أزعم أن السعودية كانت ستتدخل للقضاء على النظام الجمهوري سواء حصل التدخل العسكري المصري أم لا ، لأن المكاسب التي تحققت للملكة السعودية من حرب ١٩٣٤م كانت تقتضي ذلك للآتي :-

١-إن مصلحة آل سعود تقتضي أن يستمر حكم اليمن بيد النظام الإمامي باعتباره النظام الذي هزم وحُجِّم على أيديهم .

٢-كان القادة الجمهوريون في صنعاء وعدن كثيرا ما يصرحون بأن " مدن جيزان ونجران وإقليم عسير تابعة لليمن ولا بد أن تعاد إليها كاملة "[٣٤١].

٣-إن المملكة لم تعترف بالنظام الجمهوري إلا بعد أن أصبح على درجة من الضعف ، وبعد أن أصبحت هي التي تشرف وترعى المفاوضات بين الجناحين الجمهوري والملكي[٣٤٢] .

ومما يثير الدهشة أن بريطانيا والسعودية كما أنهما وقفتا معا ضد النظام الإمامي عندما كان يحاول بسط سلطته على كافة المناطق اليمنية ، فقد وقفتا معا ضد النظام الجمهوري من خلال العمل على إحداث صراع طويل بين القوات الملكية والجمهورية[٣٤٣]

---

[٣٤١] راجع : د/سعيد **باديب** ، ١٠٥ حيث يذكر أن الرئيس السلال وهو أول رئيس للجمهورية " ادعى أن مدن جيزان ونجران وإقليم عسير تابعة لليمن " .

[٣٤٢] انظر المرجع السابق : د/ سعيد باديب ، ص١٦١ حيث يقول إن " المملكة العربية السعودية عندما شعرت بأن هناك أرضية صالحة ، ونوايا حسنة من جانب الجمهوريين ، وأن المباحثات التي تجري بإشرافها وعلى أرضها هي مباحثات تبشر بالخير ، بادرت في ٨إبريل ١٩٧٠م بالاعتراف بنظام الحكم ومن هذا المنطلق نجد أنه نتيجة لاعتراف المملكة .. وضعت الحرب الأهلية اليمنية أوزارها بعد ثماني سنوات من القتال الضاري " .

[٣٤٣] **المرجع** السابق ، ص١١١ .

المساعدات السعودية لليمن

أشرنا إلى أن العلاقات بين " المملكة العربية السعودية " و" الجمهورية العربية اليمنية " ظهرت متحسنة منذ النصف الأول من السبعينيات وكان من مظاهر التحسن :-

- إنشاء مكتب المشروعات السعودية بصنعاء عام ١٩٧٢م .
- تأسيس مجلس التنسيق السعودي اليمني في ١٩٧٥م .

وقد مولت الحكومة السعودية العديد من المشروعات التي شملت مختلف مجالات التنمية ، كما قامت بتغطية العجز في ميزانية الحكومة لعدة سنين متوالية . وفي هذا السياق يصبح التساؤل منطقيا عن السبب الذي أدى إلى تحول السياسة السعودية تجاه صنعاء من سياسة المواجهة مع نظامها الجمهوري إلى سياسة الدعم والمساندة ؟

المتتبع للأحداث يجد أنه خلال انشغال السعودية بمواجهة " الجمهورية العربية اليمنية " ظهرت في عدن جمهورية يمنية ثانية كانت أكثر تطرفا وتشددا هي " جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية " والتي كان قادتها يصرحون بأن عليهم عبئا ثوريا يحتم العمل على نشر مبادئ الثورة ، ليس فقط في شبه الجزيرة العربية بل أيضا على الشاطئ المقابل من البحر الأحمر[٣٤٤]

وقد استخدمت السعودية لمواجهة الجمهورية الثانية في عدن نفس الأساليب التي اتبعتها مع الجمهورية الأولى في صنعاء ، لكن النظام في عدن كان قد أحكم قبضته على السلطة فلم تجد معه تلك الأساليب مما دفع المملكة إلى تغيير استراتيجيتها ، فقامت بالاعتراف بالنظام الجمهوري في صنعاء ودعمته على

---

[٣٤٤] راجع:-

خالد بن محمد القاسمي ، ص٧٢

يوقف شطط الجمهورية الثانية ، وبالفعل دخلت الجمهوريتان اليمنيتان في صراع طويل تعددت أنماطه ووسائله .

وأضحت العلاقة بين صنعاء وعدن آنذاك مؤثرا عكسيا على العلاقة بين صنعاء والرياض فكلما كان يحصل تقارب بين صنعاء وعدن كانت العلاقة تسوء بين الرياض وصنعاء ، والعكس صحيح . وفي الفترات التي كان يحصل فيها تقارب بين النظامين الجمهوريين كان الدعم السعودي للقبائل يزداد حيث كان يتردد في الأروقة السياسية السعودية أنه " طالما بقيت قبائل اليمن الشمالي قوية فإن الشيوعية لن تستطيع التغلغل "[٣٤٥] ويشير بعض الباحثين إلى أن المساعدات السعودية للقبائل-في ذلك الوقت- كانت تقترب من تلك المقدمة لحكومة صنعاء ذاتها[٣٤٦]

ويلاحظ أن هناك من الكتاب من يسهب في الحديث عن المساعدات السعودية لليمن ، ويؤكد أنها كانت مساعدات خيرة ليس لها من هدف إلا الرغبة السعودية في تحديث اليمن وتمكين أبنائها من تخطي عقبات التخلف التي لازمت تاريخهم لفترات طويلة ، ولم يكن للسعودية أية مصالح لأن وضع اليمن وإمكانياته المحدودة لا تبعث على التطلع إلى أية منافع ملموسة[٣٤٧] . وفي هذا الصدد لا ندري كيف تناسى أولئك الكتاب الحقائق التالية :-

---

[٣٤٥] د/سعيد باديب ، ص١٩٢ حيث يقول " وعلى الرغم من فشل اليمن الشمالي في إدراك الخطر الحقيقي للشيوعية وعدم اتخاذها الخطوات اللازمة المترتبة على ذلك ، إلا أن هناك بعض المحللين السياسيين الذين يؤمنون بأنه طالما بقيت قبائل اليمن الشمالي قوية فإن الشيوعية لن تستطيع التغلغل .. " .

[٣٤٦] راجع: Lenore G. Martin , Op Cit , p. 56

[٣٤٧] د/عبد الله سعود القباع ، ص٣٠٦ ، ٣٠٧ ، وقد أفرد فصلا كاملا تحدث فيه عن برامج المساعدات السعودية لليمن ص٣٠٥ - ٣٠٧ . وأشار المؤلف ضمن المراجع التي اعتمد عليها في هذا الشأن إلى : عبد العزيز المهنا : اليمن من النافذة ، الرياض مطابع دار الهلال للأوفست ، ١٩٩٠م .

أولا : وفق القواعد العامة لمختلف الشرائع والأعراف والقوانين فالسعودية ملزمة بتعمير اليمن لأنها تسببت في تدميرها سواء من خلال الهجمات المباشرة التي قامت بها خلال الفترة من ١٩٢١-١٩٣٤م أو من خلال مساهمتها الفعالة في إحداث صراع طويل الأمد بين الجمهوريين والملكيين قضى اليمنيون خلاله عقدا من الزمن يقتلون بعضهم ويدمرون ممتلكاتهم بفضل الأموال والجهود السياسية السعودية ، وقد ذكرنا أن السعودية عندما غيرت سياستها ورضيت بالنظام الجمهوري توقف الصراع .

ثانيا : إن المساعدات مهما بلغت لن تعادل المآسي التي سببتها السعودية لليمن ، وكما هو مذكور سابقا ، ففي الوقت الذي كان اليمنيون مشغولون بمواجهة الاستعمار البريطاني كان أشقاؤهم على الجبهة الشمالية ينزلون بهم أقسى الضربات والتي فاقت بكثير الضربات التي تلقاها اليمنيون على أيدي الإنجليز ، ويكفي حادث الحجاج اليمنيين دليلا على ذلك !!

ثالثا : مع كل ما ذكرناه فإن المساعدات السعودية لم تتدفق إلا بعد أن خضع النظام الجمهوري للمطالب السعودية وأهمها اعترافه بالحدود التي أفرزتها الحرب السعودية اليمنية ١٩٢١-١٩٣٤م .

رابعا : إن المساعدات السعودية للجمهورية العربية اليمنية ارتبطت بفترة الخطر الشيوعي ، عندما زاد الخطر زادت ، ولما تقلص تقلصت ، وعندما انقطع انقطعت . ومن ثم فإن المساعدات السعودية لحكومة صنعاء في تلك الفترة كانت من منطلق حماية السعودية ذاتها من الخطر الشيوعي .

خامسا : كانت هناك استراتيجية غربية تقضي بمساعدة الدول الواقعة على خط التماس للمد الشيوعي ، وقد كانت اليمن مثلها في ذلك مثل الكوريتين ، والألمانيتين . وبالتالي كانت السعودية تنفذ في الأساس استراتيجية غربية.

سادسا : استخدمت السعودية المساعدات كورقة للضغط السياسي على حكومة

صنعاء ، على سبيل المثال في بداية ١٩٨٠م وجهت السعودية إنذارا إلى الرئيس اليمني بأنها ستوقف مساعداتها ما لم يتم الرجوع عن سياسته الرامية إلى التقارب مع الاتحاد السوفيتي ، ومع النظام في عدن[٣٤٨]

وهكذا يتضح أن المساعدات السعودية ارتبطت بفترة زمنية محددة (١٩٧٢-١٩٨٩م) من أجل تحقيق أهداف معينة لدى صانع القرار السياسي السعودي ، فخلال تلك الفترة ، كانت المساعدات تزداد وتنخفض ، تتوقف وتعود ، تبعا لمدى تفاعل صنعاء مع صانع القرار في الرياض ، وتبعا لمدى زيادة الخطورة القادمة من عدن .

ومما يثير الاستغراب ما ذهبت إليه إحدى الدراسات من أنه " لا يوجد تاريخ حقيقي لبدء المساعدات السعودية لليمن إذ أن هناك مناسبات سياسية تلقت اليمن فيها دعما سعوديا في عهد الملك عبد العزيز لكن الدعم في ذلك الوقت لم يكن واضحا نظرا لضيق الأفق في الإحاطة بمفهوم الدولة . إذ أن الدولة هي الإمام والإمام هو الدولة "[٣٤٩]. فالمعروف أن السعودية لم يتحسن وضعها الاقتصادي إلا بعد تصدير البترول الذي بدأ من الأربعينيات[*] ، ولم يشهد الاقتصاد السعودي والخليجي طفرته إلا من بداية السبعينيات[٣٥٠] ، ومن ثم فإن الموارد السعودية في تلك الفترة لا تكفي متطلبات الدولة ذاتها فضلا عن أنها تكفي لمساعدة غيرها .

ولأن المناطق اليمنية كانت-قبل ظهور البترول- أوفر حظا في مقومات الحياة وأفضلها اعتدالا وتنوعا في المناخ ، فقد كانت حاصلاتها الزراعية سببا

---

(٣٤٨) جريجري . جويس مرجع سابق ، ص٢٢٠ .

(٣٤٩) عبد العزيز المهنا : اليمن من النافذة ص٧١ . مشار إليه في د/عبد الله القباع ، ص٣٠٧ .

(*) راجع : عوامل بناء الدولة السعودية المعاصرة ص ١٨-٣٢ .

(٣٥٠) راجع : د/ جمال زكريا قاسم ، مرجع سابق ، ص١٨-٤٢ .

كافيا لتكرار المحاولات السعودية لاحتلال عسير[٣٥١] ، كما كانت الغنائم دافعا قويا للحروب السعودية ضد اليمن ، وهو ما تؤكده الوقائع لآتية :-

- في ١٩٢١م قامت قوات الملك عبد العزيز بمهاجمة أبها ونهب سكانها.
- في ١٩٢٢م قتلت قوات الملك عبد العزيز الحجاج اليمنيين ونهبت ما كان معهم من زاد وراحلة .
- في ١٩٣٣م هاجمت قوات الملك عبد العزيز جيزان واحتلتها .
- في ١٩٣٤م شنت قوات الملك عبد العزيز هجوما شاملا على اليمن ، ورفض الملك عبد العزيز إيقاف الحرب حتى يدفع له الإمام مائة ألف من الذهب .

فهل كانت تلك الوقائع مساعدة لليمن من قبل الملك عبد العزيز ؟ إذا كان الأمر كذلك فكيف يكون شكل العقاب ؟

---

[٣٥١] على سبيل المثال : تحدث البركاتي في كتابه الرحلة اليمانية بعد الزيارة التي قام بها عام ١٩١١م عن أحد أودية عسير فقال " وادي بيشة من أكبر الأودية وأخصبها ، والأودية التي تصب فيه يبلغ عددها خمسة وعشرين واديا . ويزرع في هذا الوادي من الحبوب القمح والشعير والذرة . ومن الخضر أنواع كثيرة .. ولأهل هذا الوادي اعتناء زائد في غرس النخيل حتى بلغ عدد النخيل فيه نصف مليون نخلة من أجود النخيل ، وأنواع الرطب فيه تزيد على الخمسين . وحدائق النخيل تحف بالوادي من الجانبين وهي متواصلة بعضها مسيرة يومين بالمجن .. " مشار إليه في : مصطفى مراد الدباغ ، مرجع سابق ، ص٢٢٣ .

الموقف السعودي من الوحدة اليمنية

عندما أقدمت " المملكة العربية السعودية " على ضم عسير عملت على إيجاد المبررات اللازمة لإثبات أن " عسير " لا تمت لليمن بصلة[٣٥٢] ، وعندما استعمرت بريطانيا جنوب اليمن عملت كذلك على إثبات أن تلك المنطقة جزءا قائما بذاته . ولما رفضت الدولة اليمنية ذلك الوضع دخلت ـ كما سبق أن عرفنا ـ في مواجهات مسلحة مع كل من بريطانيا والسعودية إلى أن تمكنت كل منهما من إخضاع الحكومة اليمنية في ١٩٣٤م . وقد كان من إفرازات الحرب السعودية اليمنية أن نصت معاهدة الطائف على أن يتنازل الإمام يحيى عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمانية[*].

ولذلك بينما كانت الوحدة اليمنية تمثل هدفا استراتيجيا عمل اليمنيون على تحقيقه طوال هذا القرن ، فقد كان إفشالها والحيلولة دون قيامها هدفا استراتيجيا للمملكة العربية السعودية[٣٥٣] على امتداد هذا القرن ، وهو ما تثبته الوقائع التالية:-

أولا : عندما سعت بريطانيا لتكوين " اتحاد الجنوب " ليضم المحميات اليمنية عارضت السعودية ذلك المشروع ، ولم يكن ذلك مثيرا للاستغراب لأن الدولة اليمنية وجامعة الدول العربية عارضت المشروع أيضا ، ولكن اتضح من الأحداث التالية أنه بينما كان دافع الدولة اليمنية وجامعة الدول العربية لمعارضة المشروع هو الخوف على الوحدة اليمنية من وجود كيان

---

[٣٥٢] على سبيل المثال أورد كتاب تاريخ المملكة العربية السعودية للصف الثالث الثانوي طبعة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م عدة خرائط للجزيرة العربية أظهرت اليمن على أنها الجزء المثلث البسيط الواقع بين البحر الأحمر وخليج عدن ، وأظهرت حضرموت ، وعسير على أنهما إقليمان متميزان عنها .

[*] المادة الثانية .

[٣٥٣] راجع : جريجري جويس ، ص١٨ وما بعدها .

جديد فإن دافع السعودية لمعارضة المشروع كان الحرص على إبقاء السلطنات والمشيخات لتكون دولا مستقلة.

ثانيا : كان موقف الدولة اليمنية من الاستعمار البريطاني -في ظل النظام الملكي والجمهوري- يتمثل في ضرورة انسحابه وتسليم المناطق اليمنية المحتلة إلى الدولة اليمنية ، ولم يحدث أي تحول في هذا الموقف إلا في عام ١٩٦٤م حيث وافقت الحكومة اليمنية على تقرير المصير لأبناء المحميات نزولا على رغبة المملكة العربية السعودية[٣٥٤].

ثالثا : عندما تم توقيع اتفاقية الوحدة بين نظامي الحكم في عدن وصنعاء في القاهرة وطرابلس عام ١٩٧٢م تحركت الرياض على نحو سريع لإيقاف اندفاع النظام في صنعاء نحو التوحد رغم أنه كان واضحا عدم وجود رغبة في تنفيذ بنود الاتفاقية[٣٥٥].

رابعا : عندما وقعت اتفاقية الوحدة في الكويت عام ١٩٧٩م وبدا أن هناك توجها لتنفيذها اتخذت السعودية عدداً من الإجراءات لوقف المحاولة[٣٥٦].

---

[٣٥٤] راجع : د/عمر عبد الله بامحسون ، مرجع سابق ، ص٣٦٨ .

[٣٥٥] جريجري جويس ، ص١٦٤ .

[٣٥٦] المرجع السابق ، ص٢١٩-٢٢١ وقد أشار الباحث إلى عدد من الإجراءات للضغط على حكومة صنعاء منها:-

- رفض تسليم صنعاء صفقة الأسلحة الأمريكية التي وعدت بها السعودية أثناء القتال بين عدن وصنعاء خلال شهري فبراير وصنعاء ١٩٧٩م .
- في شهر يناير ١٩٨٠م تم قطع العون المالي الذي كان معتمدا لحكومة صنعاء .
- في تلك الفترة تم الكشف عن مؤامرة انقلابية قيل إن السعودية كانت تساندها .
- في تلك الفترة أيضا حصلت اشتباكات حدودية بين القوات السعودية والقوات اليمنية أسفرت عن مصرع خمسة جنود يمنيين .

خامسا : بعدما اتجه النظامان إلى التوحد في ١٩٨٩م قام أحد كبار أفراد الأسرة السعودية بزيارة إلى عدن وقدم باسم حكومة المملكة مساعدات اقتصادية لـ " جمهورية اليمن الديمقراطية ". ومولت عددا من المشاريع[٣٥٧]

كان الموقف السعودي المعارض للوحدة خلال الفترة ١٩٧٢-١٩٨٩م يعلل بأنه قلق مشروع من سيطرة الجناح الشيوعي على مقاليد الأمور في اليمن مما سيؤدي إلى التأثير على الهوية الإسلامية للجزيرة العربية[٣٥٨] .

ولما حدثت المحاولة الانفصالية في ١٩٩٤م اتضح أن " السعودية " تقف ضد الوحدة اليمنية لذاتها ، فقد سارعت إلى احتضان ودعم أولئك الذين كانت تعتبرهم " شيوعيين وماركسيين " ورمت بكل ثقلها لإنجاح " الانفصال " ، وبفضل تحركها النشط وجد تحالف ضم أغنى الدول وأكثرها ثقلا على المستوى العربي[*] قام بجهود عديدة نذكر منها[٣٥٩] :-

---

[٣٥٧] حول تلك المساعدات انظر : د/ عبد الله سعود القباع ، ص٣٢٥،٣٢٦ .

[٣٥٨] حول قلق السعودية من سيطرة الجناح الماركسي على مقاليد الأمور في اليمن انظر :

- د/ سعيد باديب ، ص١٩١، ١٩٢ .
- د/ عبد الله سعود القباع ، ص٢٠٣ ، ٢٥٨ .

[*] ضم ذلك التحالف ـــ كما هو معروف ـــ مصر ودول مجلس التعاون الخليجي عدا قطر ، وقد كان لكل دولة دافعها :-

أما السعودية فكان موقفها متسقا مع سياستها الرامية إلى تفكيك الوحدة اليمنية . وكانت شهوة الانتقام من الحكومة اليمنية -بسبب موقفها أثناء أزمة الخليج- هو الدافع للموقف الكويتي . وبالنسبة لسلطنة عمان فقد كان موقفها متسقا مع سياستها الواقعية ذلك أنه في حالة نجاح المحاولة الانفصالية ستكون السلطنة مجاورة للانفصاليين ولذلك سارعت الحكومة العمانية إلى تحسين علاقتها مع الحكومة اليمنية عقب القضاء على المحاولة الانفصالية مباشرة وأعادت الأسلحة التي أخذها الانفصاليون أثناء هربهم إليها . أما البحرين فلا يمكنها مخالفة الموقف السعودي . وبالنسبة للإمارات فكان موقفها انطلاقا من العادات والتقاليد العربية التي تقضي بنصرة من يطلب النصرة فقد أخبرني أحد المقربين من الانفصاليين بأنهم شكلوا وفدا ذهب لمقابلة الشيخ زايد قبل اندلاع الحرب فأظهروا له أنهم يتعرضون للاضطهاد وناشدوا المروءة أن يقف معهم ويساعدهم . =

١-مارس كل أنواع الضغوط على الحكومة اليمنية لإيقاف الحرب ضد الانفصاليين بدعوى " الحل السلمي " ، وكان ذلك يعني السماح بالانفصال ليمر بهدوء وسلام .

٢-أوصل المشكلة — مع أنها داخلية — إلى مجلس الأمن خلال أيام معدودة صدر خلالها قراران[*] ، مع أن هناك عدداً من مشاكل الانفصال على مستوى العالم مضى عليها سنوات عجاف لم يلتفت إليها المجلس حتى بالمناقشة .

٣-حصل الانفصاليون على مساعدات هائلة وصلت إلى حد تزويدهم بأحدث الأسلحة والتي كان من بينها طائرات الميج ٢٩ ، وبرأي المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن لم يكن اليمنيون يمتلكون طائرات كهذه قبل الحرب[٣٦٠].

٤-تبنت وسائل الإعلام في معظم تلك الدول موقف الانفصاليين بدرجة مذهلة ، أظهرت الانفصاليين على أنهم مظلومين ومضطهدين ، حتى أضحوا يستقبلون في تلك العواصم استقبال المناضلين ، وكان يتردد صباح مساء في

- وأما الموقف المصري فكان مراعاة للعلاقات الحميمة مع مجلس التعاون ، ويقال أن مصر هي التي أثنت بعض دول المجلس التي اقترحت الاعتراف بالانفصاليين أثناء انعقاد اجتماع وزراء خارجية إعلان دمشق في الكويت قبل انتهاء الحرب اليمنية بيوم واحد .

[٣٥٩] لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع راجع : حرب اليمن ١٩٩٤م الأسباب والنتائج ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ .

[*] بذل الأمير بندر بن سلطان السفير السعودي في أمريكا جهوداً حثيثة في هذا الشأن وكرس جهده ووقته من أجل هذه القضية ، وقد صرح في إحدى المقابلات عقب صدور قرار مجلس الأمن بأن الجهود التي تبذل " لصالح الشعب اليمني الشقيق " !! ، أما الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية فقد تفرغ ليجوب العواصم العربية والأجنبية ، حتى كان وزير الخارجية اليمني لا يصل عاصمة من العواصم إلا ويسبقه الوزير السعودي أو يعقبه أو يتواجدا معاً في تلك العاصمة فكان سباقاً محموماً على كسب المواقف !!

[٣٦٠] مارك ن. كاتز ، مرجع سابق ، ص١٠٢ .

تلك العواصم " عدم جواز فرض الوحدة بالقوة "[*] ، وكان المسئول من تلك الدول يتلعثم ويتناقض إذا ما قيل له — في لقاء أو مؤتمر صحفي — بأن الوحدة تحققت سلما وأن ما يحدث الآن محاولة للانفصال بالقوة !!

٥-عندما اقترب النزاع من نهايته حاولت بعض تلك الدول إقناع حكومات عربية بالاعتراف[٣٦١] بالانفصال ، لكن خطوات الحكومة اليمنية في بسط سلطتها على كافة المناطق كانت أسرع من تلك المحاولة فلم يبق لها أية ذريعة أو مبرر .

ترحيل اليمنيين من السعودية في ١٩٩٠م إجراء قانوني أم انتقام سياسي؟

عندما دخلت اليمن في صراع طويل الأمد بين الجمهورية والملكية في صنعاء ، وبين الجمهورية والسلاطين في عدن ، ثم بين الجمهوريتين انتقل كثير من اليمنيين إلى المملكة السعودية فاستقروا هناك .

ولما أضحت السعودية منطقة جذب للعمالة بسبب ارتفاع كميات النفط وارتفاع أسعاره ، شكل اليمنيون نسبة كبيرة ضمن العمالة العربية والأجنبية.

تلك العوامل أدت إلى وجود جالية يمنية كبيرة ما بين عامل وتاجر وحرفي وطالب وأستاذ .. إلخ . وقد كان وجود العمالة اليمنية في السعودية يعود بفائدة مشتركة على الدولتين :-

بالنسبة للدولة اليمنية : كانت تحويلات المغتربين تعود بفائدة مباشرة وكبيرة على اقتصادها ؛ وكان لذلك أثره الكبير في التنمية وفي الاستقرار الاجتماعي .

(*) كان وزراء خارجية دول مجلس التعاون — عدا قطر — قد أصدروا بيانا أثناء النزاع أكدوا فيه أن دولهم عندما أيدت الوحدة اليمنية فلأنها تمت بالتراضي بين " الجمهورية العربية اليمنية " و " جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية " ولا بد أن يستمر هذا التراضي !! وكأن الوحدة اليمنية شركة تابعة للقطاع الخاص لا وحدة شعب وأرض .

(٣٦١) المرجع السابق ، ص١٠٢ ، ١٠٤ .

بالنسبة للدولة السعودية : شارك اليمنيون بجهدهم وعرقــهم فــي بنائــها وتعميرها ، وساهموا في ازدهارها الاقتصادي والتجاري . وإذا افترضنا أن تلـك الفائدة نسبية باعتبار أن غيرهم يمكن أن يقوم بها ، فإن وجــود اليمنيــن كـان عامل توازن في ظل تعدد العمالة الوافدة مما يسهم في الحفــاظ علــى الهويــة الاجتماعية والثقافية للجزيرة العربية لأن أبناء اليمن والحجاز ونجـد وســاحل الخليج يرجعون إلى نفس الموروث الحضاري والثقــافي ، ولا شـك أن تعـدد العمالة الوافدة له آثار سلبية متعددة على المدى المتوسط والبعيد(٣٦٢) ، فــالوافد يحمل معه دينه ولغته وسلوكه وثقافته .. إلخ

وقد ساهم اليمنيون المقيمون بالمملكة في تحسين الصــورة الســعودية فــي اليمن بعد أن كانت قد لطخت بسبب المآسي التي أحدثتها حروب آل سعود خـلال الثلث الأول من هذا القرن . وقد تحمس العديد منهم لأفكار الشــيخ ابــن عبـد الوهاب وفتح مراكز لتدريسها ونشرها في عدة مناطق يمنية ، تلك الأفكار التــي كانت سبب وجود الدولة السعودية .

ويرغم أن الدولتين السعودية واليمنية شهدتا جميع أنواع الصدام المسلح فيما بينهما خلال العقود المتتابعة مــن هــذا القــرن ، إلا أن التداخــل الاجتمــاعي والاقتصادي بين رعايا الدولتين لم ينقطع حتى في أحلك الظروف ، كــان مــن يحمل الرعوية اليمنية أو السعودية يدخل أيا من الدولتين في أي وقــت وينتقـل فيهما كيفما شاء .

ولذلك ظلت الحدود اليمنية السعودية حدودا بيــن الأنظمــة الحاكمــة فــي الدولتين ، وليست حدودا للقطيعة بين رعايا الدولتين ، وكان ذلك تــأكيد للوحــدة

---

(٣٦٢) حول المخاطر التي تشكلها العمالة الوافدة على أمن الخليج راجع : د/أحمــد البرصــان : العمالــة العربيــة والآسيوية والأمن القومي العربي . مجلة السياسة الدولية ، عدد (١٢٦) أكتوبر ١٩٩٦م ، ص٣١-٣٤ . راجع أيضا : د/ جمال زكريا قاسم ، مرجع سابق ، ص٤٥ وما بعدها .

العقائدية والاجتماعية والثقافية بين أبناء الجزيرة العربية في اليمن ونجد والحجاز وساحل الخليج.

لكن العمال اليمنيين لم يسلموا من اللعبة السياسية ، فقد استخدمتهم الحكومة السعودية كورقة للمناورة والضغط السياسي على الحكومة اليمنية :-

- في أوائل الثمانينيات عندما ساءت العلاقة بين الرياض وصنعاء للأسباب المذكورة سابقا تداولت الأروقة السياسية السعودية خيارين للضغط على حكومة صنعاء : أولهما قطع المساعدات الاقتصادية ، وثانيهما ترحيل العمالة اليمنية من السعودية[٣٦٣].
- بعدما وقعت اتفاقية الوحدة في نوفمبر ١٩٨٩م وقبل الموعد المحدد (مايو ١٩٩٠) لإعلان الدولة اليمنية الواحدة بأسابيع معدودة لوحت المملكة علنا بترحيل العمال اليمنيين ، إلا أنها تراجعت عن ذلك عقب زيارة الرئيس علي عبد الله صالح إلى الرياض في ذلك الوقت .
- في سبتمبر ١٩٩٠ وبعدما تبين للملكة الموقف اليمني من أزمة الخليج أصدرت قرارها الذي ترتب عليه ترحيل ما يقرب من مليون يمني .

القرار السعودي في ضوء القواعد القانونية

يلاحظ لأول وهلة أن القرار ورد بلفظ العموم وكأنه يعالج أوضاعا عامة ، ولا يستهدف جنسية معينة ، فقد بدأ القرار بالقول " حيث إنه توجد جاليات أجنبية بالمملكة منحت استثناءات من بعض الأنظمة المتعلقة بالإقامة والعمل .. وتركت لهم حرية العمل والتنقل في كافة أنحاء المملكة .. ولما كانت الاعتبارات والظروف التي قامت المملكة في ظلها بمنح الاستثناءات قد تغيرت وتبدلت بناء

---

[٣٦٣] راجع : د/ سعيد باديب ، ص٨٣ . حيث يقول : " فلجوء المملكة ــ على سبيل المثال ــ إلى طرد القوة العاملة من أبناء اليمن سيوقف الحوالات المادية التي تحتاج إليها اليمن بصورة ماسة .. كما أن من البديهي ستوقف المملكة الدعم المالي الذي تقدمه .. وكلا الإجراءين كفيلان بحدوث كارثة اقتصادية " .

على مقتضيات المصلحة العامة التي استوجبت إعادة النظر فيما سبق .. "[٣٦٤].
فالمعروف أن اليمنيين كانوا الوحيدين الذين كانت لهم حرية الإقامة والتنقل والعمل .

والواقع أن ذلك القرار كان سابقة فريدة في المجتمع الدولي المعاصر ، ويتنافى مع أبسط قواعد المشروعية للآتي :-

أولا : كان القرار عقوبة لليمنيين المقيمين في المملكة على موقف سياسي لا يد لهم فيه ، وذلك أمر ترفضه الأديان السماوية وتحرمه المواثيق الإنسانية .
فقد أكد القرآن الكريم على ذلك في العديد من الآيات مثل قول الله تعالى " ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله "[٣٦٥] وقوله سبحانه " ولا تزر وازرة وزر أخرى "[٣٦٦] .

وإذا كان العالم قد شهد في الحقب الماضية مثل ذلك الإجراء فإنه مع تطور المجتمع الدولي خلال العصر الحديث أضحت حقوق الإنسان محمية بموجب العديد من المواثيق والعهود الدولية ، وبذلك اختفى الإبعاد الجماعي بل والفردي إلا إذا ارتكب الأجنبي جريمة أو تآمر ضد الدولة[٣٦٧] التي يقيم على أرضها .

ثانيا : من المتفق عليه في مختلف النظم القانونية أن القوانين والقرارات الإدارية تصدر لتعالج أوضاعا مستقبلية أما القرار المذكور فقد صدر ليطبق بأثر رجعي . فإذا كانت المملكة تريد أن تغير معاملتها مع الدولة اليمنية أو حتى مع الشعب اليمني فقد كان بإمكانها أن تصدر القرار ليطبق على الحالات

---

[٣٦٤] راجع نص القرار في : د/عبد الله القباع ، ص٢٨٨ .

[٣٦٥] الآية (٨) من سورة المائدة .

[٣٦٦] الآية (١٨) من سورة فاطر .

[٣٦٧] راجع : د/فؤاد عبد المنعم رياض : الجنسية ومركز الأجانب ، دار النهضة العربية ١٩٩٤م ، ص٣٣٣-٣٣٧.

المستقبلية ، أما أولئك الذين كانوا متواجدين في المملكة فقد كان المفترض ألا يضاروا من أية قرارات أو أنظمة جديدة ، فليس من العدل أن يجدوا أنفسهم – دون ذنب ارتكبوه – مهددين بالرحيل !!

ثالثا : إذا وجد من أولئك المقيمين من أثار مشكلة أو تسبب في قلاقل داخل المملكة ، فمن حقها أن تتخذ ضدهم كافة الإجراءات التي تراها ضرورية لحفظ نظامها وأمنها ، والمتبعة في مثل تلك الحالات ، أما أن يضار الجميع ويتم الانتقام من الجميع فهو أمر يتنافى مع السلوك الإنساني السوي ، ولا يتصور ممن يحمون حرم الله ورسوله !!

رابعا : من المبادئ المتفق عليها أن الدولة إذا اضطرت لتأميم مشروع أجنبي أو إلغاء الامتيازات التي كان يتمتع بها ، فإنه يجب عليها تعويض صاحب المشروع عن الأضرار التي أصابته .

والمعروف أن الغالبية العظمى من اليمنيين كانوا يعملون في قطاع التجارة والمقاولات وعبر السنوات التي عملوا فيها صارت لهم منشئات تجارية متعددة أقاموها بطريقة مشروعة . وبالتالي فقيام المملكة بإرغام اليمنيين على التخلص من مشروعاتهم التجارية بموجب الفقرة الثامنة من القرار يعتبر مصادرة لتلك المشروعات بدون وجه حق . وإذا كان البعض قد اعتبر أن القرار الذي اتخذته السلطة السعودية " ما هو إلا ممارسة لحقها الطبيعي في السيادة "[٣٦٨] فإن المقيمين اليمنيين لم ينازعوا المملكة سيادتها ، فقد دخلوها بناء على قوانينها وأقاموا مشروعاتهم بموجب أنظمتها ، ولذلك كان من الواجب عليها وهي تطبق سيادتها أن تراعي حقوقهم ، وأن تقوم بتعويضهم حسب ما هو معمول به في أية دولة في العالم.

---

(٣٦٨) د/ عبد الله القباع ، ص٣٨٩ .

الباب الثالث

مشروعية
الضم السعودي لعسير

في الباب السابق تعرفنا على الضم السعودي لـ " عسير " والأحداث التي سبقت وأعقبت ورافقت الضم ، وفي هذا الباب نبحث مشروعية الضم من خلال استعراض الرؤية السعودية ، وتحليل الأسانيد التي اعتمدت عليها لتبرير الضم ، وتسليط الضوء على معاهدة الطائف .

في ضوء ذلك سينقسم الباب إلى الفصول الآتية :

- الرؤية السعودية لوضع عسير .
- تحليل الأسانيد السعودية في ضم عسير .
- مشروعية ضم عسير بناء على معاهدة الطائف .

الفصل الأول

تحليــل
الرؤية السعودية لوضع عسير

درجت الدراسات والأبحاث السعودية التي تناولت هذا الموضوع[٣٦٩] علـى تأكيد أن عسير كيان قائم بذاته ، ولذلك فقد كان لها رؤيتها الخاصة في وضـع عسير الجغرافي والتاريخي ، ووضعها بعد الانسحاب العثماني .

سنستعرض تلك الرؤية ونناقشها في مبحثين متتاليين :

المبحث الأول

تحليل الرؤية السعودية
لوضع عسير الجغرافي والتاريخي

أولا : الوضع الجغرافي :

تولى علماء الجغرافيا مهمة وصف الجزيرة العربية ، حيث تحدثوا بشـكل مفصل عن أقسامها الطبيعية وحددوها تحديدا دقيقا من قبـل أن يوجـد الحكـم السعودي ، وقد عرفنا –في الباب الأول من هذه الدراسة– أن هناك إجماع مـن الجغرافيين والرحالة بأن عسير جزء طبيعي من اليمن .

---

[٣٦٩] منها :-

- مي العيسى : المخلاف السليماني في عهد الدولة السعودية الأولى ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود ، ١٤٠٣هـ
- ٢- د/ عبد المنعم إبراهيم الجميعي : ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية ، دار جرش للنشر والتوزيع
- ٣-د/ محمد بن عبدا لله آل زلفه : دراسات من تاريخ عسير ، الرياض ١٩٩١م .
- ٤- عبد الله بن علي بن حميد : دور أمراء عسير في نشر الدعوة السلفية ، مجلة العرب ، دار اليمامة ، الرياض ١٩٧٥م .

ولما كانت هذه النتيجة لا تتفق مع ما يريده السعوديون فإن منهم من راح يتطاول على كبار علماء الجغرافيا- أمثال الحسن الهمداني ، عبد الله البكري ، محمد المقدسي ، وأبي القاسم بن خرداذبه ، وياقوت الحموي ، والادريسي ، والقزويني - فقالوا إن كتاباتهم "لم تخل من عيوب التعميم وتغليب الجوانب الجغرافية على المفاهيم السياسية التي تحدد الطبيعة الفاصلة لتبعية الأقاليم"[٣٧٠].

ولا شك أن هذا القول فيه خطورة شديدة ، فإذا كان المعيار السياسي هو " الفاصل لتحديد تبعية الأقاليم " فبإمكان أية قوة في الدنيا أن تلغي الجغرافيا والتاريخ لأية منطقة أو بقعة من الأرض ، وإذا سلمنا بهذا المعيار فلا حرج على إسرائيل وهي تعمل على إلغاء آلاف السنين من تاريخ فلسطين .

ولم يكتف أولئك الكتاب بالسخرية من مؤلفات أولئك العلماء الذين تنزه علمهم عن الأغراض السياسية ، بل إن منهم من راح يشوهها باسم التحقيق فقد ذكر أحدهم أن الله أعانه وعقب على " ما كتبه أصحاب المعاجم كالبكري وياقوت وأنه صحح أخطاءهم ونبه على أوهامهم "[٣٧١]

---

(٣٧٠) د/ عبد الله القباع ، مرجع سابق ، ص١٥٦ .

(٣٧١) محمد النجدي ، وبعد أن انتهى من تصحيح معاجم البكري وياقوت –حسب قوله- قام بتحقيق : صفة جزيرة العرب . للحسن بن أحمد الهمداني . وكتب على الغلاف : قام بنشره وتصحيحه ومراجعته وتحقيق بقاعه المؤرخ : محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي . مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣ ، ص٥ . وكتب في إهدائه" إلى رافع علم العروبة ، وحامي حمى الإسلام . إلى رائد النهضة الإصلاحية ، وباعث مجد الأباء والأجداد ، إلى مولاي سمو ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز .. اهدي هذا الكتاب .. في ظل مولاي حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود "

ومع أن المحقق المذكور قد سلم بأن الهمداني عرف بدقته العلمية وشدة تحريه فيما يودع كتابه من معلومات ، وانه كان يجوب آفاق الجزيرة ، ويدرس آثارها ، ويسجل ما رآه بالعين واختبره بالمشاهدة (ص٦،٧) فإن ذلك لم يشده إلى الاعتراف بالحقيقة فيما يتعلق بعسير وأجزائها فذهب ذات اليمين وذات اليسار كي يثبت أنها ليست من اليمن.

وأخيرا : عمل السعوديون على إيجاد جغرافيا خاصة بعسير تفصلها عن جغرافيتها الطبيعية ، فظهرت عدة مؤلفات في ذلك[٣٧٢]

ثانيا : الوضع التاريخي :

تتبعنا وضع عسير في الباب الأول –من خلال مختلف المصادر التاريخية– فوجدنها تتبع اليمن عبر مراحل التاريخ المختلفة . فالدولة اليمنية قبل الإسلام كانت تحكم الجزيرة العربية كلها ، وأحيانا كان يمتد نفوذها إلى خارج الجزيرة . ولما جاء الإسلام كان لليمنيين دور كبير وجهد وافر في إقامة الخلافة الإسلامية ، وكانت اليمن ضمن الأجزاء المكونة لدولة الخلافة . ولما تفككت دولة الخلافة ظلت عسير تتبع مركز الحكم في صنعاء أو زبيد أو جبلة أو عدن أو رداع .

و كما عملت الدراسات السعودية على تغيير حقائق الجغرافيا فقد عملت أيضا على نقض حقائق التاريخ . بعضها ادعت أن عسير " منسوب إلى أحد ساكنيه من القدماء واسمه عسير من العدنانيين "[٣٧٣] وكأن ذلك في حالة صحته سينفي عن عسير يمنيتها ، وربما نسيت تلك الدراسات أن اليمنيين سكنوا الحجاز ونجد وساحل الخليج فلم يكن ذلك مبررا للقول بأن تلك المناطق يمنية .

وبعضها أكدت أنه " حتى في العصور القديمة فإن (عسير ونجران وجيزان) كانت تشكل كيانات وأمارات مستقلة ولم يكن شأن هذه الأمارات أتل منزلة عن شأن الدولة اليمنية ذاتها "[٣٧٤]

---

[٣٧٢] منها :–

– فؤاد حمزة : في بلاد عسير ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥١م .

– ٢–محمد بن أحمد العقيلي : المعجم الجغرافي للبلاد العربية ، مقاطعة جازان ، المخلاف السليماني ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ١٩٦٩م .

[٣٧٣] هاشم سعيد النعمي ، تاريخ عسير . ص٤ . مشار إليه في : الخترش ، ص٣٠ .

[٣٧٤] د/ عبد الله سعود القباع ، ص٣٤٦ .

ولأن ما ذهبت إليه تلك الدراسات يصطدم بالحقائق التاريخية فقد عملت على إثارة الشبهات التالية :-

الشبهة الأولى : إنه منذ أن زالت دولة الحميريين لم تعد لليمن وحدتها ، وأن عسير كانت من أبرز الكيانات التي تميزت بالروح الاستقلالية ، كما أن الوحدة الجغرافية ليست مدخلا للوحدة السياسية ، فأوربا وأفريقيا تشكل كل منهما وحدة جغرافية لكنهما لم يشكلا وحدة سياسية[٣٧٥]

والواقع أن هذه الحجة فضلا عن أنها تؤكد أن عسير يمنية وتناقض ما سبق أن قالوه ، فهي لا تصلح أن تكون دليلا على ما ذهبوا إليه للآتي :-

١-من المعروف أن الدولة تقوم على ثلاثة أركان " الشعب والإقليم والسلطة الحاكمة " والصراعات التي كانت تحدث في اليمن في مراحل تاريخية معينة كانت صراع زعامات وليس صراع دول ، وقد رأينا في الباب الأول أن كل الأسر التي كانت تسعى إلى الحكم كانت تعمل على بسط سلطتها على كافة المناطق اليمنية .

٢-من المعروف أن الدولة اليمنية تفككت بسبب الغزو الأجنبي ، الغزو الحبشي قبل الإسلام والاحتلال البريطاني في العصر الحديث . وما سوى ذلك كانت هناك سلطة واحدة تحكم الإقليم اليمني كله حتى وإن وجد مناوئون لها فهذا أمر لا تخلوا منه أي دولة في العالم خصوصا في العصور القديمة . وقد عرفنا في الباب الأول أن كل الحكومات التي تعاقبت على اليمن منذ تفكك الخلافة بسطت سلطتها على كل الإقليم اليمني ، بل إن معظم تلك الحكومات كان يصل حكمها إلى مكة المكرمة .

---

[٣٧٥] المرجع السابق ، ص٣٤٧،٧٨ .

٣-من المعروف أن مظهر الدولة ودورها قديما يختلف عن مظهرها ودورها حديثا ، فمن ناحية كانت العلاقة بين السلطة المركزية والوحدات المحلية تكاد أن تنحصر في الزكاة أو الخراج ، ومن ناحية ثانية كان حكام كل منطقة عادة من أبنائها ، بل إنه في بعض الأحيان كان يتم توارث المنطقة حتى بدون الرجوع إلى السلطة المركزية ، المهم أن يذكر السلطان أو الخليفة أو الإمام في الخطبة ، وأن يدفع الخراج سنويا ، كدليل على التبعية. ولذلك فمجادلة البعض بأن عسير كان لها حكامها مجادلة في غير محلها فمن الطبيعي أن يكون لكل منطقة أو مدينة أو قرية من يحكمها ، ولا يهم الصفة التي تطلق عليه أمير أو عامل أو والي .. إلخ المهم لمن كانت تبعيته ، وقد عرفنا أن حكام المنطقة كانوا يتبعون مركز الحكم في صنعاء أو زبيد أو تعز ..إلخ .

٤-مسألة أن اليمن موحدة أم لا شأن يمني خالص ، اليمنيون هم الذين يحسمونه بأنفسهم ولا يجوز للآخرين التدخل فيه ، وتعدد الحكومات إن وجد ليس مسوغا شرعيا للغير لكي يحتل أو يصادر بعض المناطق اليمنية .

٥-الاستشهاد بأوربا وأفريقيا قياس بعيد ، فكل منهما تشكل قارة مترامية الأطراف متعددة اللغات والأعراق ، وإذا كانت كل منهما لم تقم فيها وحدة سياسية فاليمن قامت فيها تلك الوحدة على امتداد مراحل التاريخ المختلفة .

٦-لم يحدث في أي مرحلة تاريخية أن عسير كانت إمارة " مستقلة "[٣٧٦] ، بل إن اسم عسير لم يتم تداوله في المؤلفات القديمة ، كان الاسم المتداول هو "

---

[٣٧٦] تقتضي الأمانة العلمية أن نشير إلى أ. محمد بن مسلط البشري في تحقيقه للكتاب المذكور سابقا يعارض هذه الوجهة من النظر ، فكان تارة يحاول إثبات استقلال عسير وتارة أخرى يحاول إثبات أنها المركز الموجه للأحداث في اليمن ، وقد أثبت بقصد أو بدون قصد أنها جزء من اليمن :

١- تحدث عن أسرتين قال أنهما حكمتا عسير ثم أضاف "وقد تعرضت كتب تاريخ اليمن إلى هاتين الأسرتين وما جرى لليمن في **عهد** رجالها " ص٤١ .

عثر أوالشرجة أوحلي "[٣٧٧] ، وكان المؤرخون يذكرونـــها باعتبارهـا مـن أعمال زبيد ، وقد عرفنا أنه إلى عام ١٨٧٢م كان يطلق عليـــها مـن قبـل العثمانيين " العزيزية اليمانية " وكان اسم عسير عندما يطلق قبل ذلك كـان المقصود منه اسم " القبيلة " ولم يصبح هذا الاسم يحمل مدلولا إداريا إلا بعد أن أصبحت تلك المنطقة تشكل متصرفية في أواخر القرن التاسع عشر أطلق عليها " سنجق عسير " ، مثلها مثل الحديدة وتعز .

الشبهة الثانية : أن أبناء عسير يعتنقون المذهب الشافعي بخلاف المذهب الزيدي السائد في اليمن[٣٧٨]

ولا شك أن هذا القول لا يصلح حجة للاستدلال به لإثبات السيادة أو نفيها ، ويكفي الإشارة إلى ما يلي :-

١-لا تخلوا أية بلدة في العالم من تعدد المذاهب ، واعتناق بعض أبناء البلدة أو كلهم لمذهب أو دين معين لا يعني إضافة نسبهم أو جنسهم إلى نسب أو جنس آخر ، ولقد حكمت الدولة الإسلامية (الخلفاء الراشدون ، الحكم الأموي ، الحكم العباسي ، الحكم العثماني) معظم بقاع العالم فلم تحرف أنساب الأقوام ولم تغير معالم البلدان .

٢- ذكر في ص٤١،٥٢ أن أبناء عسير شاركوا في صد الغزو البرتغالي في ساحل الخليج وفي ساحل اليمن ثم ذكر أن " سلرى " في قطر كانت تسمى " خور اليمن " لكثرة تمركز القوات العسيرية فيها ، وأن الذين استشهدوا على ساحل اليمن بالقرب من يافع لا زالت مقبرتهم تعرف باسم شهداء عسير . وهذا تأكيد إضافي على أن عسير جزء من اليمن ، ففي داخل اليمن ذكروا باسم بلدتهم " عسير " ، وفي خارج اليمن ذكروا باسم البلد الأم " اليمن " .

[٣٧٧] راجع : د/ محمد زينهم : تاريخ اليمن ، مرجع سابق ، ص١٤١ . راجع أيضا : تاريخ اليمن في عهد الدولة الرسولية ، مصدر سابق ، ص٣٣،٧٤،٩٧ . راجع كذلك : قواعد اليمن ومدنه لابن سعيد في كتاب تاريخ اليمن تحقيق : د/حسن سليمان محمود ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ وما بعدها .

[٣٧٨] د/ عبد الله سعود القباع ، ص٧٨ ، ١٠٨ .

٢-لقد احتضنت اليمن كل الاتجاهات والمذاهب الإسلامية ، فإذا كان المسلمون قد انقسموا إلى " سنة وشيعة وخوارج " فإن الطوائف الثلاث ـ كما هو موضح في المصادر التاريخية ـ قد وجدت في اليمن . ولذلك تعددت الأفكار الإسلامية في اليمن كتعدد بيئتها ، فوجدت الأفكار المتطرفة تطرف جبالها الشاهقة ، والأفكار البسيطة بساطة سهولها وتهايمها ، والأفكار المتوسطة توسط هضابها .

٣-إذا كان الحكم الزيدي قد تمكن من بسط سلطته على كافة المناطق اليمنية فإن المذاهب الأخرى قد سبقته في حكم كافة المناطق اليمنية أيضا ، فكل من الحكم الزيادي ، والحكم الأيوبي ، والحكم الرسولي ، والحكم الطاهري قام على خلفية المذاهب السنية . والحكم الصليحي الذي شمل مختلف مناطق اليمن والذي انطلق من نجران وحراز قام على خلفية المذهب الشيعي الإسماعيلي . والحكم المهدي الذي شمل أيضا مختلف مناطق اليمن قام على خلفية المذهب الإباضي الذي يعتبر فرعا من فروع الخوارج .

٤-من المعروف أن اليمن كانت من المناطق التي استقر فيها الإمام الشافعي لفترة معينة ، ولذلك نجد أتباع هذا المذهب أكثر عددا من المذاهب الأخرى الموجودة في اليمن مثل المذهب الزيدي والمذهب الإسماعيلي .

٥-إن الاستناد إلى الاختلاف المذهبي لليمنيين يعد من مفتريات ودسائس الإنجليز ، فقد سبق أن ذكرنا أنهم كانوا يحتجون على الإمام ـ عندما طالبهم بالرحيل من جنوب اليمن ـ بأن أبناء تلك المناطق شافعيون لا يقبلون حكم الأئمة ، كما ذكرنا أن الطائرات البريطانية كانت تلقي مع القنابل منشورات تخبر المواطنين بأنهم إذا وقفوا ضد الزيود سيكونون في مأمن من تلك القنابل(*).

(*) راجع الباب التمهيدي ص٢٣-٣١

٦-إذا كان الحكم المذهبي للأئمة قد خلق شعورا بعدم الرضا في بعض المناطق اليمنية ، فقد انتهى ذلك بقيام الجمهورية حيث ألغت المفاضلة بين اليمنيين بناء على المذهب أو النسب ، ونصت كل دساتيرها على المساواة بين جميع اليمنيين في مختلف الحقوق والواجبات .

المبحث الثاني

تحليل الرؤية السعودية لوضع عسير بعد الانسحاب العثماني

رأينا -في الباب الأول- أن عسير كانت تشكل جزءا من ولاية اليمن العثمانية التي سلمت إلى الإمام يحيى باعتراف المجتمع الدولي ، أما الدراسات السعودية فراحت تعمل على إبراز آل عائض والأدارسة على انهم حكاما مستقلين لا تربطهم أية صلة بالدولة اليمنية .

ولأن عسير جزء من اليمن وليست كيانا قائما بذاته ، ولأن الصراع بين القوى اليمنية كان متداخلا ومتزامنا في وقت واحد ، فقد وقعت الدراسات السعودية في تضارب وتناقض شديدين ، فتارة تلفت النظر إلى " أن كلا من إمارتي عسير والمخلاف السليماني لم تكن على علاقة ودية مع دولة الإمامة الزيدية التي قامت في اليمن "[٣٧٩] وتارة تقول : إن عسير إمارة مستقلة وأن العثمانيين سلموها إلى الأمير حسن بن عائض [٣٨٠] ، وتارة تؤكدون بأن " آل عائض كانوا يحكمون عسير الشرقية .. أما الأدارسة فكانوا يسيطرون على الجزء الغربي أو الساحلي من عسير "[٣٨١] وتارة تقسم بأن " إمارة عسير

---

[٣٧٩] المرجع السابق . ص١٣٢ .

[٣٨٠] د/ عبد المنعم الجميعي ، المرجع السابق ، ص٢٥ . مشار إليه في القباع ، ص١٣١ .

[٣٨١] د/ عبد الله القباع ، ص١٥٤ .

أصبحت كيانا قائما بذاته يخضع مباشرة لآل عائض ، والمخلاف السليماني ظل يحكم بواسطة الأدارسة "[٣٨٢] إلخ .

آل عائض في الدراسات السعودية

بعد أن تشير الدراسات السعودية إلى أن عسير كانت متصرفية عثمانية (طبعا بدون ذكر تبعيتها لولاية اليمن) تذكر أن العثمانيين عندما انسحبوا في ١٩١٩م " عينوا الأمير حسن بن علي بن عائض أميرا على عسير وسلموه مقاليد الأمور فيها "[٣٨٣].

والواقع أن تسليم المتصرف العثماني لمقاليد الأمور في عسير إلى الحسن بن عائض كان إجراءا طبيعيا لأن آل عائض من أبناء المنطقة ، ومن زعماء قبائلها المشهورين ، ثم إن منهم من كان معاونا للمتصرف العثماني ، وذاك التسليم لا يعني الاستقلال عن الدولة اليمنية بأي حال للآتي:-

١-من المعروف أن الولايات العثمانية العربية هي التي أضحت دولا بعد تفكك الخلافة العثمانية وليس المتصرفيات التابعة لتلك الولايات ، وذلك أمر بديهي باعتبار أن كل ولاية كانت معروفة ومحددة المعالم ولها وجودها السياسي من قبل أن تصبح ولاية عثمانية .

٢-إن المتصرف العثماني في عسير كان يتبع الوالي العثماني في صنعاء ، وبالتالي فهو لا ينقل إلى غيره أكثر مما كان له من سلطات واختصاصات ، فكما أنه كان يتبع صنعاء فإن من تسلم منه يتبع صنعاء أيضا . والمعروف أن صلة آل عائض بصنعاء لم تنقطع سواء قبل تزعمهم مقاومة العثمانيين في عسير أو بعدها ، فمن صنعاء كانوا يستمدون الدعم قبل أن يستولي

---

[٣٨٢] المرجع السابق ، ص١٣١ .

[٣٨٣] المرجع السابق ، ص١٦٠ .

العثمانيون عليها ، ومن صنعاء ــ بعد استيلاء العثمانيين عليها ــ كانت ترسل الإمدادات العثمانية لمواجهتهم والقضاء على مقاومتهم ، وإلى صنعاء أخذوا أسرى بعد هزيمتهم فاستقبلهم الوالي أحمد فيضي باشا وأكرم نزلهم وأسكنهم قصرا فخما من قصورها[٣٨٤] وإلى صنعاء توجهوا بعد استلامهم مقاليد الأمور في عسير عقب الانسحاب العثماني .

٣–إن تسليم عسير إلى الحسن بن عائض عقب انسحاب الحامية العثمانية منها في ١٩١٩م كان إجراء إداريا ، ذلك أن التسليم السياسي كان قد تم للولاية كلها في نوفمبر ١٩١٨م عندما قام الوالي العثماني بدعوة الإمام يحيى إلى صنعاء وسلمه مقاليد الولاية ، وقد عرفنا أن العديد من الولايات العربية آنذاك وضعت تحت الانتداب ، بينما اعترف المجتمع الدولي بولاية اليمن دولة مستقلة .

الأدارسة في الدراسات السعودية

ذكرت في بداية الدراسة أن بحثي للنزاع السعودي اليمني حول عسير لم يكن مقصودا لذاته ، بل جاء نتيجة لبحث الأسباب التي حالت دون مشاركة اليمن في المنظومة الإقليمية لدول المنطقة . وعندما قررت أن أبحث هذا الموضوع بدأت بالاطلاع على المراجع السعودية في هذا الشأن ولم يكن لدي أية خلفية: لا عن أسباب النزاع السعودي اليمني ، ولا عن عسير وتبعيتها ، ولا عن ملابسات النزاع حولها ، ولا عن الصراع الذي وقع بين الدولتين من أجلها.

وقد كان " الأدارسة " هم أولى الحلقات التي اطلعت عليها في الدراسات السعودية[٣٨٥] . ومن خلال قراءاتي الأولية اقتنعت بوجود وشرعية ما أسمي بـ

---

[٣٨٤] راجع : محمد بن مسلط البشري ، مرجع سابق ، ص١٢٧، ١٤٢، ١٥٩ .

[٣٨٥] منها :

١–محمد بن أحمد العقيلي : تاريخ المخلاف السليماني ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ١٩٨٢م .

" الإمارة الإدريسية " ، واعتقدت أن تلك الإمارة امتدت لعشرات -إن لم يكن مئات- السنين وأن الحكم تسلسل فيها أبا عن جد . وذلك هو ما توحي به العبارات المتعددة التي احتوتها بعض تلك الدراسات مثل :-

- " .. ولكن أطماع الأدارسة التاريخية في منطقة عسير كانت تقف حائلا دون تطوير تحالف ممكن بينهم وبين آل عائض "[٣٨٦].
- " وإذا كان الإمام الإدريسي قد تعرض لغزو مباشر من قبل جاره إمام اليمن فإن هذا يعد إفرازا طبيعيا لاختلال التوازن وللتغيير السريع في نظام المعادلات السياسية في المنطقة "[٣٨٧]

وذات مرة كنت وبعض الزملاء نتحاور حول الأحداث التي مرت بها الجزيرة العربية منذ بداية انهيار الخلافة العثمانية ، فرحت أسرد بعض المعلومات عن " الإمارة الإدريسية " ، ولما سألني أحدهم كم استمرت تلك الإمارة ؟ أجبت - كما يفهم من تلك الدراسات - ما لا يقل عن مائة سنة . هذا التساؤل جعلني أعيد قراءاتي بروية وتأني بحثا عن تاريخ بداية " الإمارة الإدريسية " ، فوجدت أن محمد بن علي الإدريسي الموصوف بمؤسس " الإمارة الإدريسية " ولد في ١٨٧٦م[٣٨٨] .

٢-د/عبد الله القباع ، المرجع السابق . وهذا ن المرجعان يحيلان إلى مراجع أخرى متعددة مثل :

-د/ عبد المنعم إبراهيم الجميعي : الأدارسة في المخلاف السليماني وعسير ، القاهرة ، مطبعة الجبلاوي ، ١٩٨٧م

-مشاري بن سعود بن عبد العزيز : علاقات المملكة العربية السعودية بالمملكة المتوكلية اليمنية في عهد الملك عبد العزيز ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٠٢هـ .

[٣٨٦] د/ عبد الله سعود القباع ، ص١٣٠ ويشير في الهامش إلى د/ عبد المنعم الجميعي : عسير خلال قرنين ، ص٢٤ .

[٣٨٧] المرجع السابق ، ص١٧٢

[٣٨٨] راجع : محمد بن أحمد العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني . د/ عبد الله القباع ، ص١٦٦ .

- افترضت أنه بدأ العمل لتأسيس الإمارة في بداية القرن العشرين مثلــه فــي ذلك مثل عبد العزيز بن سعود عندما بدأ العمل لاستعادة الحكم الســعودي فــي نجد ، لكني وجدت أن هناك فوارق شاسعة بين الرجلين . فابن سعود من سلالة حكم ، أما الإدريسي فمن سلالة تصوف . ابن سعود مــن أبنــاء نجـد ، أمــا الإدريسي فدخيل على المنطقة[٣٨٩] ، وليس له فيها سوى رفاة جده المدفون فــي صبيا[٣٩٠] . ومع ذلك فإن الافتراض الذي وضعته لم يصدق ، فحتى بداية هــذا القرن لم يكن للإدريسي أي وجود بالمنطقة ، فقد كان آنذاك في مصر طالبا فــي الأزهر الشريف ، ولم يعد إلى صبيا إلا في ١٩٠٨م[٣٩١].
- وأثناء مواصلتي للبحث عن بداية الإمارة وجدت العديد من تلك الدراســات تشير إلى المنشور الذي وزعه الإدريسي[٣٩٢] بعد ١٩١٢م ، فظننت المنشــور مرسوما ينظم شئون الإمارة ، ولما قرأته كانت المفاجئة ! فالمنشــور –الــذي أشارت إليه تلك الدراسات وأرادت أن تثبت من خلاله أن المنطقة ليست يمنيــة أو أنها كانت مستقلة عن اليمن–يؤكد أن تلك المناطق يمنية ، وصاحب المنشور (الأدريسي) يذكر في منشوره أنه كان واعظا وأن الله وفقه للصلح بين بعــض القبائل اليمنية ، ولا توجد كلمة واحدة في المنشور تتحدث أو تشير إلى حكــم أو إمارة ، بل إنه أكد في ذلك المنشور أنه لم يقم بأي عمل ضد الدولة العثمانيــة ،

---

[٣٨٩] راجع : أمين الريحاني ، مصدر سابق ، ص٣١٧ .

[٣٩٠] ذكر العقيلي أن جد الإدريسي كان مهاجرا من المغرب إلى مكة ، ثم خرج في آخر مدته من مكة إلى اليمن ، وكان سفره من " الليث " ونزل في بندر " جازان " في طريقه إلى الحديدة .. وأخيرا استقر في " صبيــا " ومــات هناك .

[٣٩١] راجع :

- الخرش ، ص٣٢،٣٣ .
- عزيز خودا بيرد يف ، ص٤٤ .

[٣٩٢] راجع نص المنشور في:- د/ فاروق عثمان أباظة ، ص٤٧٩-٤٨٧ ، محمد بن أحمــد العقيلــي ، تــاريخ المخلاف السليماني ، ج٢ ، ص١٣٦-١٦٦ .

وأن القبائل اليمنية هي التي كانت تنفر من العثمانيين بسبب سوء موظفيها . ولا بأس أن نورد هنا مقتطفات من ذلك المنشور :

- بعد المقدمة أشار الإدريسي إلى بعض الأحاديث النبوية التي وردت في فضل اليمن فقال : "{ روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : إني لأشتم ريح الإيمان في جهة اليمن } ثم ذكر بعض الأحاديث الأخرى ".
- بعد أن عدد مفاسد الموظفين العثمانيين قال " لما عدنا من طلب العلم بالديار المصرية وغيرها إلى بلاد اليمن حيث المهد الأول لنا ، وجدنا .. اختلال الأمن .. بسبب المطالبات بالثأر .. فوفق الله هذا الضعيف إلى الدخول بين عدة قبائل فتم الصلح بينهم .." .

- وبينما أواصل البحث إذا بي أقرأ أن " الإدريسي وقع مع الإنجليز معاهدة في ١٩١٥م قلت : يبدوا أن الإمارة بدأت في هذا التاريخ ، وللتأكد رحت أبحث عن المعاهدة[٣٩٣] فكانت المفاجئة أيضا ، فالمعاهدة المذكورة ذاتها كانت أبلغ رد على محاولة إيجاد إمارة لا وجود لها ، للأدلة الآتية :

١- أكدت المعاهدة أن تلك المناطق يمنية عندما نصت في البند (٣) على أن يعمل الإدريسي بأقصى قوته لمضايقة القوات التركية ويحاول طردهم من قواعدهم في اليمن .

٢- أكدت المعاهدة على أن الإمام يحيى هو صاحب الاختصاص والسلطة على تلك المناطق حتى من قبل الانسحاب العثماني :

- ففي البند (٤) تم إلزام الإدريسي بالامتناع عن كل حركة عدائية ضد الإمام يحيى .

---

[٣٩٣] راجع نص الاتفاق في : حافظ وهبة ، مرجع سابق ، ص٣٢٠-٣٢١ . وقارن بينه وبين النص الوارد في : د/ فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م .

- وفي البند (٥) تعهدت بريطانيا باستعمال كل الوسائط السياسية عند ختام الحرب (الحرب العالمية الأولى) في سبيل تأليف مطالب السيد الإدريسي مع الإمام يحيى . وهذا تأكيد صريح على أن وضع الإدريسي في المنطقة سيكون مرهونا بموقف الإمام . ونظرا لأن الإمام يحيى هو صاحب الاختصاص الفعلي على مختلف المناطق اليمنية فقد كان الحكام البريطانيين يضعون في اعتبارهم مواقفه أثناء تحركهم للقضاء على الوجود العثماني ، ولذلك عندما طالب الإدريسي الإنجليز أن يعطوه مزيدا من الأموال بحجة توزيعها على قبائل حاشد وبكيل بعث المقيم السياسي في عدن ببرقية إلى حكومة الهند جاء فيها " .. وفيما يتعلق بحاشد وعشيرة البكيل من الواضح أن محاولة شرائهم تكون إهانة للإمام .. "[٣٩٤]

٣-أكدت المعاهدة أن وصف " المحارب " هو الذي ينطبق على الإدريسي ، فقد نصت في البند (١) على أن " المقصود من هذه المعاهدة هو إعلان الحرب على الأتراك وتوطيد عرى الصداقة ما بين حكومة بريطانيا والسيد الإدريسي وأعضاء قبيلته " . فإذا كانت هناك " إمارة إدريسية " فما الذي منع بريطانيا من الاعتراف بها والنص على ذلك في تلك المعاهدة كما فعلت مع ابن سعود في اتفاقية القطيف التي عقدت معه في نفس العام أي ١٩١٥م ، والتي نصت على اعتراف بريطانيا بابن سعود وبورثته من بعده حكاما لنجد[*] . وهذا أبلغ تأكيد على أن المعاهدة المذكورة لم تكن سوى " عقد استخدام " ، بموجبه التزم الطرف المستخدم (الإدريسي) بالقيام بعمل محدد (مضايقة القوات التركية في اليمن) خلال فترة محددة (فترة الحرب العالمية) مقابل أجر تدفعه الجهة المستخدمة (بريطانيا) ، وهذا هو ما

---

[٣٩٤] صفوة ، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ، المجلد الثاني ، ص٥١٠-٥١١ .

[*] راجع : ص٢٨ .

يحدث عادة عند استخدام العصابات والجنود المرتزقة في الحروب . وكما هو معروف فقد عملت بريطانيا خلال الحرب العالمية على استخدام كل من لديه قدرة على حمل السلاح ضد العثمانيين . وإذا كان الإنجليز قد عقدوا الاتفاق السابق مع الإدريسي في إبريل ١٩١٥ فقد سبق أن عقدوا اتفاقا آخر مع أحد شيوخ قبائل تعز ويدعى " الشيخ مقبل " في فبراير ١٩١٥م وضمنوا له الاعتراف بسلطته واستقلال منطقته(٣٩٥) وهو ما لم يضمنوه للإدريسي .

- وواصلت البحث أملا في العثور على بداية الإمارة ، قلت : لعل العثمانيين قبل انسحابهم عقدوا اتفاقية مع الإمام أو مع الإدريسي أو مع بريطانيا اعترفوا بموجبها بوضع مستقل للإدريسي في جزء من أجزاء ولاية اليمن العثمانية ، لكن هذا الاحتمال تبدد عندما سلم العثمانيون الولاية للإمام يحيى دون أن يقروا بوضع مستقل لأي جزء من أجزائها لا للإدريسي ولا لغيره . ومن ثم أضحى الإمام يحيى هو المسئول عن كافة المناطق التي كانت تشكل الولاية العثمانية ، وأصبحت العلاقة بين الإمام وآل عائض والأدرارسة شأنا داخليا ، وصار استقلال أي جزء من أجزاء الولاية مسئولية السلطة التي ورثت الحكم العثماني ، ثم مسئولية بقية القوى اليمنية . فليس كل من قاد حركة مقاومة أو حركة تمرد يعترف له بصفة الاستقلال عن الدولة الأم .

- ومع أن ١٩٢١م أزف على الرحيل دون أن أعثر على " الإمارة الإدريسية " إلا أنني واصلت البحث ، قلت : ربما يكون الإمام قد أقر بوضع معين للإدريسي خارج إطار الدولة اليمنية ، أو على الأقل أعلن عجزه عن السيطرة عليه ، لكن الرسالتين اللتين تبادلاها في ١٩٢٢م –والمذكورتان فيما سبق– بينتا

---

(٣٩٥) NAI, 1915. Situation in the Aden Hinterland, Yemen and the Red Sea. No 105.
مشار إليه في : عزيز خوردا بيرد يف : الاستعمار العثماني وتقسيم اليمن ، مرجع سابق ، ص٥٦ .

أن الإمام يخاطب الإدريسي خطاب المتبوع للتابع والعكس صحيح بالنسبة للإدريسي حيث أكد أنه يعتبر الإمام يحيى المسئول عن لم شعث الأمة(*) .

- وبينما كنت أواصل البحث عن الإمارة المفقودة إذا بالكتاب السعوديين ينعون في ١٩٢٣م وفاة " السيد محمد بن علي الإدريسي "(٣٩٦) مؤسس الإمارة التي لم تتأسس !!

الواقع أن الفترة التي قضاها الإدريسي في المنطقة لا تكاد تكفي لإثبات رابطة الجنسية بينه وبينها(٣٩٧) فضلا عن أنها تكفي لإيجاد إمارة من العدم ، خصوصا وأن روابطه بالمنطقة تكاد تكون منعدمة ، فليس له فيها سوى واقعة الميلاد ، فأبوه عاش واستقر في السودان . زوجته سودانية ، وأمه جارية هندية ، وجدته جارية سودانية(*) .

(*) راجع العلاقة بين الإمام والإدريسي في الباب التمهيدي .

(٣٩٦) د/ عبد الله القباع ، ص١٧٢ .

(٣٩٧) من المعروف أن القضاء الدولي يتطلب لقبول دعوى الحماية الدبلوماسية وجود رابطة فعلية بين الدولة وبين الشخص المراد حمايته ، فالميلاد على أرض الدولة والإقامة فيها لفترة معينة ليست كافية لإثبات الرابطة الفعلية effective link doctrine . حول هذا الموضوع راجع : أستاذنا الدكتور / حازم حسن جمعه : الحماية الدبلوماسية للمشروعات المشتركة ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، الطبعة الثانية ١٩٨٧م ، ص٧٠ وما بعدها خصوصا موقف القضاء الدولي من معايير تحديد الجنسية .

(*) راجع القوى المتنافسة في اليمن بعد الانسحاب العثماني ص٣٨-٤٣ .

الفصل الثاني

تحليل الأسانيد السعودية في ضم عسير

المبحث الأول

هل امتد الحكم السعودي الأول إلى عسير

ذكرنا في الباب التمهيدي من الدراسة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعا أهل نجد إلى نبذ الخرافات والعادات السيئة . وعرفنا أن آل سعود مشايخ الدرعية آنذاك نشطوا عسكريا لتبليغ أفكار الشيخ ودعوته ابتداء من ١٧٤٤م . وعلمنا أن اعتداء آل سعود على قبيلة العجمان اليمنية أدى إلى قيام والي نجوان بتجريد حملة عسكرية حاصرت الدرعية إلى أن رضخت وأعادت أسرى قبيلة العجمان وممتلكاتهم .

وقد تتبعنا سير الأحداث من خلال ما كتبه المؤرخ السعودي في تلك الفترة فوجدنا أن آل سعود كانوا يقومون بحملات خاطفة على بعض أطراف المناطق الشمالية من اليمن فيقتلون ما استطاعوا وينهبون ما يجدونه ثم يعودون أدراجهم ، ومن خلال ما كتبه ذلك المؤرخ إلى نهاية القرن الثامن عشر نجد أنهم لم يسيطروا على أية منطقة يمنية(*) . بينما نجد الدراسات السعودية المعاصرة تشير إلى أن نفوذ الدولة السعودية الأولى وصل إلى عسير ، بل إن كتب

(*) راجع : ص١٠١ وما بعدها .

التاريخ المدرسي في المملكة السعودية تؤكد على أن الحكم السعودي في تلك الفترة شمل أكثر أنحاء اليمن[٣٩٨]

- ومن يتتبع الكتابات السعودية في هذا الصدد يتضح له مدى تناقضها وتضاربها ، فتارة تقول : إن الجيش السعودي فتح عسير في منتصف ١٨٠٠م[٣٩٩] وتارة تؤكد بأن عسير انضمت إلى الدولة السعودية بمحض إرادتها وبإجماع قادتها ومختلف فئات سكانها[٤٠٠] وما إن تحاول أن تقنع نفسك بما يقولون حتى تفاجئك–هذه الكتابات– بالقول " إن عسير كانت تتصرف ككيان سياسي مستقل وأن قدراتها الذاتية قد لعبت دورا كبيرا في تهيئتها لتقف على قدم المساواة مع الإمارات أو الممالك المجاورة "[٤٠١] .

نجدها تقول : إن عبد الوهاب أبو نقطة " أبلى بلاء حسنا في خدمة الدولة السعودية .. وعمل على محاربة الشريف حمود أبو مسمار حتى أجبره في ١٨٠٢م على إعلان الولاء للدولة السعودية "[٤٠٢] فإذا ما حاولنا التسليم بأن كلا من أبي نقطة وأبي مسمار خضعا لتلك الدولة وجدناها تؤكد أن " استقلالهما وتنافسهما على كسب ود الدولة السعودية في الارتباط بها بشكل مباشر يدل على أن المناطق التي كانا يحكمانها لم تكن تعترف في أي مرحلة بأي صفة سيادية أو صلة تدل على تبعيتهما لليمن "[٤٠٣] ولا ندري كيف يكونا تابعين ومستقلين في آن واحد ، وكيف يسعى إلى الارتباط من هو مرتبط ؟

---

[٣٩٨] راجع خريطة رقم (٤) في تاريخ المملكة العربية السعودية للصف الثالث الثانوي ، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م ، ص٢٨ .

[٣٩٩] د/ عبد الله القباع ، ص٧٦ .

[٤٠٠] المرجع السابق ، ص٧٨ .

[٤٠١] المرجع السابق ، ص١٠١ .

[٤٠٢] المرجع السابق ، ص٧٩ .

[٤٠٣] المرجع السابق ، ص٨٤،٨٥ .

وقد عملت الدراسات السعودية بشتى السبل على إيجاد صلة تبعية تربط أبناء عسير بالحكم السعودي ، ولتلك الغاية ركزت على أمرين :-

الأمر الأول : أن دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب السلفية لاقت انتشارا واسعا في عسير(٤٠٤) . ولإثبات ذلك نجد مجموعة من الأسماء تتردد في مختلف الكتب والدراسات السعودية العامة والخاصة يقال إنها تفانت في خدمة الدعوة السلفية ونشرها في عسير والمخلاف السليماني(*).

وقد سبق أن أوضحنا أن المذهب لا يصلح دليلا لإثبات السيادة ، ونضيف إلى ذلك بأنه إذا كان انتشار المذهب السلفي مسوغا شرعيا للاحتلال السعودي ، فإن بوسع السعودية الآن أن تدعي ملكيتها على ما تبقى من اليمن ذلك أن المذهب السلفي صار له أنصارا ومساجد ومدارس ابتداء بصعدة ، ومرورا بصنعاء ، وانتهاء ببقية المناطق اليمنية . ومن حق إيران-باعتبارها القائمة على أمر المذهب الشيعي- أن تبسط سلطتها على المنطقة الشرقية في المملكة السعودية وعلى البحرين .

الأمر الثاني : إن الكفاح المشترك الذي جمع بين أبناء عسير والدولة السعودية في محاربة القوى الأجنبية كان من أهم العوامل التي وحدت العسيريين وأبناء الدولة السعودية(٤٠٥)

ولا شك أن من يتتبع تاريخ المنطقة وعلاقتها بالدولة العثمانية يجد أن هذا القول افتراض نظري يصطدم بعدة حقائق منها :-

---

(٤٠٤) المرجع السابق : ص٧٤،٧٥

(*) تلك الأسماء لا تكاد تخرج عن : محمد المتحمي وأخيه عبد الوهاب ، عرار بن شار ، أحمد بن حسين الفلقي ، منصور بن ناصر .

(٤٠٥) د/ عبد الله السباع ، ص١٠٨ .

١-من المعروف أن اليمن في ظل الحكم الزيدي -ومن قبل أن يظهر الحكم السعودي في نجد- كانت أكثر المناطق صراعا مع العثمانيين ، ليس على مستوى الجزيرة العربية فحسب وإنما على مستوى الوطن العربي ، ويكفي الإشارة إلى ما ذكره أحد مؤرخي الدولة العثمانية خلال الفتح العثمالني الأول لليمن حيث يقول : " سمعت من المرحوم أحمد حلبي يفاوض المرحوم داود باشا في حدود سنة ٩٥٣هـ فقال : ما رأينا مسبكا مثل اليمن لعسكرنا ، كلما جهزنا إليه عسكرا ذاب ذوبان الملح ولا يعود منه إلا الفرد النادر ، ولقد راجعنا الدفاتر فرأينا قد جهز .. إلى اليمن ثمانون ألفا من العسكر ، لم يبق منهم ما يكمل سبعة آلاف نفر " ثم أردف بالقول " وقد تجهز بعد ذلك .. أضعاف ما ذكره محمد بك رحمه الله .. وهذا سر الهي لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى "[٤٠٦] ، وإذا كان العثمانيون قد تمكنوا بطريقة غير مباشرة من القضاء على الحكم السعودي الأول والثاني ، فإنهم عجزوا بطريقة مباشرة عن القضاء على الحكم الزيدي سواء في الفتح العثماني الأول أو الثاني لليمن .

٢-من المعروف أن مقاومة الوجود العثماني لم تقتصر على أبناء عسير وحدهم حتى في الفترة التي كان فيها التواجد العثماني مركزا في عسير وتهامة ، فقد كانت هناك جموع تشاركهم من مختلف القبائل اليمنية خصوصا همدان وحاشد وبكيل ويام[٤٠٧].

٣-من الثابت-وهو ما تعترف به المصادر السعودية- أن كل من تزعم المقاومة في عسير لم يقتصر على عسير فقط ، بل كانت مختلف المناطق

---

[٤٠٦] قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي : البرق اليماني في الفتح العثماني ، دار اليمامة-الرياض ١٩٦[illegible]م ، ص٩١، ٩٢ . وقد جاء في مقدمة الكتاب ، ص٤ " لا يخفى أن قطر اليمن قطر عظيم ، وإقليم واسع من أحسن الأقاليم ، وفضلها وبركتها على كثير من الأمصار ، مقرر عند علماء الأخبار والآثار " .

[٤٠٧] راجع : محمد بن مسلط البشري ، ص١٢٧ .

اليمنية هي مجال تحركهم وتوسعهم ، ولم يحدث أن أحدا منهم راح يتحـــرك باتجاه الحجاز أو نجد ، أي أنهم قصروا عملهم وتحركاتـــهم علـــى وطنـــهم اليمني ، فقد قام محمد بن عائض بمهاجمة العثمانيين في الحديدة والمخـا[٤٠٨] وعمل على استرجاع موانئ اليمن منهم[٤٠٩]، وكان آل عائض مـــن رمـــوز المقاومة اليمنية ، ولذلك عندما قتل العثمانيون محمـــد بـــن عـــائض غـــدرا حصلت ردود فعل عنيفة في صنعاء[٤١٠].

٤-إن التطورات التي كانت تمر بها نجد لم يكن لها أية آثار على المقاومة فـــي عسير ، فقد انتهت الدولة السعودية الأولى في ١٨١٨م ، وقامت الثانية فـــي ١٨٤٠م وانتهت في ١٨٨٦م ، وبدأت المحاولات لبنـــاء الدولـــة الســـعودية المعاصرة في بداية هذا القرن ، ولم يكن لذلك أية تأثيرات سواء إيجابيـــة أو سلبية على الأوضاع في عسير . بينما كان للتطورات الحاصلة في صنعـــاء تأثيرات مباشرة على أوضاع عسير ، فقبل أن يســـتولي العثمـــانيون علـــى صنعاء كانت المقاومة متأججة في عسير ، حتى أيقن العثمانيون أن المنـــاطق اليمنية كل لا يتجزأ ولذلك وجهوا قواتهم لدخول صنعاء في ١٨٤٩ ثم فـــي ١٨٧٢م ، ولما استقر حالهم في صنعاء استقر وضعهم فـــي عســـير ، ولـــم ينسحبوا من عسير إلا بعد انسحابهم من صنعاء عقب الحرب العالمية الأولى . ولو كانت عسير مرتبطة بنجد لما قبل محمد بن عائض -بعد تصالحه مـــع العثمانيين في ١٨٦٧- أن يطلق على تلك المنطقة " العزيزية اليمانيـــة "[٤١١]

---

[٤٠٨] راجع : محمد العقيلي : مذكرات متصرف عسير ، الناشر نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م ، ص٩٤ .

[٤٠٩] الشيخ/ عبد الواسع بن يحيى الواسعي ، مرجع سابق ، ص٩٩ .

[٤١٠] المرجع السابق ، ص١٠٠ حيث يقول : وما إن انتشر خبر هذا الغدر الفظيع في صنعاء ، حتى عظمت الفتنـــة وعمت صنعاء .

[٤١١] راجع المراسلات بين الأمير اليمني محمد بن عائض ووالي مصر الخديوي إسماعيل ومنها الرسالة التي أرســـلها والي مصر في ٧محرم ١٢٨٤هـ-١٢مايو ١٨٦٨م في : د/فاروق أباظة ، الحكم العثماني في اليمن ، ص٤٥٧

خصوصا وأن تعيينه قائم مقام لها -من قبل العثمانيين- حصل بعد عدة مراسلات ، ويلاحظ أن الكتابات السعودية عندما تتعرض لموضوع الصلح تتحاشى ذكر تلك التسمية ، وإذا ذكرتها ، ذكرتها مجردة من صفة "اليمانية"(٤١٢).

ج- عندما اندلعت الحرب بين العثمانيين والبريطانيين فإن آل سعود نقضوا عهودهم مع العثمانيين وقبلوا الدخول تحت الحماية البريطانية ، أما الزعماء اليمنيين ابتداء بعسير ومرورا بصنعاء وانتهاء بتعز -خصوصا الأئمة وآل عائض- فرفضوا محاربة العثمانيين نزولا على الرغبة البريطانية .

ورغم المحاولات المتعددة لإثبات صلة ما بين أبناء عسير والحكم السعودي ، ورغم تعدد الدراسات في هذا الشأن إلا أنها ظلت تحوم حول نفسها لافتقارها إلى الوقائع التي تثبت الصلة التي أرادت صنعها . وحتى الوقائع التي أوردتها تلك الدراسات وأرادت تطويعها لغايتها ظهر منها العكس تماما ، وعلى سبيل المثال : ذكرت إحدى الدراسات بأن الفرحة عمت أنحاء الجزيرة عندما انتصر عائض بن مرعي على العثمانيين في إحدى الوقائع في عسير ، فراح الشعراء يتبارون في قول القصائد ومنهم شعراء نجد ، وعلقت على ذلك بالقول : " وإذا كانت تلك القصائد التي تبادلها شعراء نجد مع شعراء عسير قد دلت على شيء فإنها تدل بلا شك على الروابط التاريخية بين أبناء عسير وأبناء نجد "(٤١٣) .

والواقع أن هذا التعليق في غير محله لأن الروابط التاريخية ظلت باستمرار قائمة بين جميع أبناء الجزيرة في اليمن والحجاز ونجد وساحل الخليج خصوصا في الظروف العصيبة ، كما أن الشعراء في مختلف أنحاء الجزيرة أيضا

---

(٤١٢) انظر : د/ عبد الله الق[illegible]ع ، ص١٢٥ .

(٤١٣) المرجع السابق ، ص١٢٢ .

متعودون على تبادل القصائد في المناسبات الهامة حتى فيما بين قبيلة وأخرى ، وقد ذكرنا سابقا أن التواصل بين أبناء الجزيرة لم ينقطع في أي مرحلة حتى في ظل صراع حكامها وساستها .

ومع ذلك فإن القصائد التي قالها شعراء نجد في تلك المناسبة أكدت أن عسير يمنية ، فقد جاء في أشهر قصيدة نجدية[٤١٤] :

ولا تنس ذا الحي اليماني إنه
لشيعة أهل الحق بالحق مقتدي
قبائل من همدان أو من شنوءة
من الأزد أتباع الرئيس المسود
هموا قد حموا للدين إذ فل عضده
وبدد منه الشمل كل مبدد

وبالرجوع إلى مختلف المصادر ، ومن خلال تتبع سير الأحداث في تلك الفترة ، تتضح الحقائق التالية :

أولا : تمكن آل سعود في أوائل القرن التاسع عشر -بعد عدة حملات عسكرية- من احتلال وادي الدواسر وبيشة[٤١٥] التي تعد مفتاح اليمن من الشمال الشرقي . وقد أدى احتلال ذلك الجزء إلى بث الرعب في نفوس بعض أعيان المنطقة وولاتها وعلى رأسهم الشريف حمود أبو مسمار الذي كان يحكم القسم الشمالي من اليمن باسم الإمام المنصور كما كان أسلافه يفعلون باستمداد ولايتهم من أئمة صنعاء[٤١٦] . وقد أظهر أبو مسمار ولاءه لآل سعود ، ثم بعث إلى الإمام المنصور في صنعاء برسالة حملها مساعده

---

[٤١٤] المرجع السابق .

[٤١٥] محمد بن مسلط البشري ، ص٦٦،٦٧ .

[٤١٦] د/ محمد حسن العيدروس ، المرجع السابق ، ص١٩٠ .

الخاص السيد حسن بن خالد الحازمي طلب فيها إمدادات عاجلة وشرح فيها حقيقة الموقف " وأنه لم يخضع إلا في الظاهر وليس في الحقيقة ، كما أنـه يعتبر نفسه مع الإمام ضد آل سعود "[٤١٧] . ونظرا للفـارق الزمنـي بيـن وقوع معركة بيشة ووصول مبعوث أبي مسمار فقد ارتاب مركز الحكم فـي صنعاء من موقف أبي مسمار ووجه إليه رسالة قاسية جاء فيها " **وعليكـم الوفاء بحق النيابة والقيام مقام الفاعل حتى يلبس النص نصابه ، ولقد كنا نظن أنكم تصادمون الجبال وتقارعون على حماية ذلك الثغـر الأهـوال . ولو علمنا أنكم تنكصون بأول قادم ، وتستسلمون لكل طارق ، وتفزعـون من كل صارغ ، وتخلون بين رعايانا وبين هؤلاء الزعانف لكان لنا مـن التدبير ما لا يخفى على الخبير** "[٤١٨]

ثانيا : أدى ذلك الرد وعدم وصول الإمدادات إلى أن يخلع أبو مسمار من عنقـه طاعة الأئمة ، كما أن ولاءه الظاهري لآل سعود لم يكن إلا لبعض الوقـت فسرعان ما قلب لهم ظهر المجن ، وقد تمكن من القضاء على المواليـن لآل سعود ومن الصمود أمام حملات الأئمة حتى امتدت سيطرته من بيشة إلـى المخا[٤١٩] . ومع أن الدراسات السعودية تقر على استحياء بأن أبي مسـمار كان يعمل لحساب نفسه[٤٢٠] إلا أنها تحاول بشتى السبل أن تجـير سـيطرة أبي مسمار على تلك المناطق لصالح النفوذ السعودي .

---

[٤١٧] المرجع السابق .

[٤١٨] راجع نص الرسالة في المرجع السابق ، ص١٩١ .

[٤١٩] راجع :

- د/ محمد العيدروس ، ص١٩٤ .
- البشري ، ص٨٢ .

[٤٢٠] انظر :

- د/ عبد الله القباع ، ص٨٥ .
- علي أحمد عيسى عسيري : عسير دراسة تاريخية ١٢٤٩هـ-١٢٨٩هـ ، ص١٢٧ .

ثالثا : لم يقر مركز الحكم في صنعاء بذلك الوضع فقد سير الأئمة الحملة تلو الأخرى بهدف إعادة الوضع إلى ما كان عليه[٤٢١] ، كما تعاونوا مع حملة محمد علي التي وجهتها الدولة العثمانية للقضاء على الحركة الوهابية .

واستمر الإمام المتوكل في جهوده الدبلوماسية والحربية حتى أثمرت عن استعادة المنطقة ، فعندما تمكنت قوات محمد علي بمشاركة يمنية من القضاء على أبي مسمار ، أرسل محمد علي إلى الإمام المهدي عبد الله يزف له البشرى بهزيمة الشريف أحمد بن حمود ويعترف له بأن مراسلاته مع والده الإمام المتوكل تؤيد حق صنعاء في عسير والمخلاف السليماني[٤٢٢] .

كما أرسل خليل باشا –قائد قوات محمد علي– إلى الإمام في صنعاء يطلب منه إرسال عماله لتسلم تلك المناطق ، وتم الاتفاق على أن يتولى الشريف علي بن حيدر حكم أبي عريش مكافئة لجهوده في معاونة قوات محمد علي ، كما تم الاتفاق على أن يدفع الإمام للباب العالي سنويا كمية من البن اليمني[٤٢٣].

وهكذا يتضح أن الدولة السعودية الأولى حاولت فك الارتباط بين صنعاء وولاتها في عسير لكن المحاولة لم تؤثر على ارتباط عسير بصنعاء ، فبعد القضاء على ذلك التمرد عادت إليها ، وفي ظل الحكم العثماني ظلت مرتبطة بها ، وعند الانسحاب العثماني سلمت لها .

---

[٤٢١] على سبيل المثال يذكر القاضي عبد الرحمن البهكلي في تاريخه : نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود وقد "بعث الإمام إلى زبيد بعثا كبيرا من حي بكيل حسيني ومحمدي معهم رؤساؤهم من آل عائض وآل صلاح" . مشار إليه في حوليات النعمي التهامية ، أوراق من تاريخ اليمن الحديث ١٢١٥-١٢٥٨هـ/١٨٠٠-١٨٤٢م ، تحقيق ودراسة د/ حسين عبد الله العمري ، درا الفكر ، ١٩٨٧م .

[٤٢٢] د/ محمد حسن العيدروس ، ص٢٤٢ .

[٤٢٣] راجع : د/ فاروق عثمان أباظة ، الحكم العثماني في اليمن ، ص٣٩ .

المبحث الثاني

هل كان الاستيلاء السعودي على عسير بناء على اتفاقات قانونية

تؤكد الدراسات السعودية " بأن عبد العزيز آل سعود لم يكن في يوم من الأيام غاصبا أو معتديا ، فقد كان ضمه لمنطقة عسير مبنيا على أسس شرعية وقانونية "[٤٢٤]

ولقد عرفنا أن الدراسات السعودية أجهدت نفسها لإثبات أن عسير كيان مستقل ، وأنها كانت تقف على قدم المساواة مع الإمارات أو الممالك المجاورة .

تلك الدراسات تغيرت لهجتها رأسا على عقب عندما اقتربت من معالجة الاستيلاء السعودي على عسير ، فـ " الاستقلال " و " الكيان القائم بذاته " لم يكن سوى ذريعة قصد من ورائها فك ارتباط عسير بصنعاء ، أما إرسال القوات السعودية لاحتلال عسير فطموح مشروع لأن الملك " عبد العزيز كان يشعر شعورا قويا نحو منطقة عسير .. وكان يؤمن بأن هذه الأرض هي أرض سعودية "[٤٢٥].

فعلا إنها حجة دامغة تدحض أية حقوق تاريخية أو جغرافية أو قانونية ، فكل من يريد السيطرة على منطقة ما ، مطلوب منه أن يشعر نحوها شعورا قويا ثم يؤمن بأنها منطقته ، بعد ذلك يصبح تسيير الجيوش لاحتلالها والفتك بسكانها أمرا مشروعا .

---

[٤٢٤] د/سعيد محمد باديب ،مرجع سابق ، ص٣٣ .

[٤٢٥] انظر :

- د/ عبد الله القباع ، ص١٧٥
- د/ فتوح الخترش فعندما كانت عندما تتحدث عن مساعي الإمام لبسط سيادته على عسير تصفها بالمطامع ، وعندما تتحدث عن الحملات العسكرية لابن سعود تصفها بالمطامح .

تحليل المبررات السعودية في القضاء على آل عائض

كان التبرير السعودي الرسمي لمهاجمة آل عائض واحتلال أبها هو نصـــرة الإدريسي[*] . ذلك التبرير أوقع الدراسات السعودية في حرج من أمرها ، فقـــد عملت كل ما في وسعها لإثبات أن عسير كيان قائم بذاته ، ومــــن أجـل ذلـك تحدثت بإسهاب عن آل عائض ودورهم في عسير خلال القرن التاسع عشـــر . ومن ثم فالقضاء على آل عائض بحجة نصرة الإدريسي ليس مسوغا مقبـولا لأن الإدريسي لم يبرز على المسرح السياسي إلا من بعد ١٩١٠م . لذلـك تغـاضت تلك الدراسات عن ذكر التبرير الرسمي وحاولت إيجـاد مسـوغ مـن لديـها ، فراحت تقول " وقد جرت العادة أن توافق الدرعية على من يتولى شئون الإمـارة في عسير .. وأن ينظر آل عائض إلى أنفسهم على أساس أنهم جزء من الدولـة السعودية "[٤٢٦] ، لكن المحاولة لم تكن موفقة ذلـــك أن آل عــائض ظـهروا- سياسيا- في عسير ابتداء من عام ١٨٣٣م ، وفي هذا الوقت لم يكن للدرعيـة أي وجود لأن الحكم السعودي الأول قضي عليه في ١٨١٨م ولـم يظـهر الحكـم السعودي الثاني إلا في ١٨٤٠م وظل محصورا في نجد وساحل الخليج إلـى أن قضي عليه في أواخر الثمانينيات من ذلك القرن .

ومع أن الحكم السعودي المعاصر دخل " أبها " بقوة السلاح ، ونتـج عـن ذلك-كما سبق أن عرفنا- العديد من المآسي والفظائع-كان أكثرها قسـوة قتـل الحجاج اليمنيين- فإن الدراسات السعودية راحت تقول : " وبانضمـام عسـير الشرقية إلى دولة الملك عبد العزيز اتسعت رقعة الدولة السعودية الفتية "[٤٢٧].

---

[*] راجع : وقائع الهجوم السعودي على أبها ص٦١ : ١٢٠ .

[٤٢٦] المرجع السابق : ص١٦٠ .

[٤٢٧] مشاري بن سعود بن عبد العزيز ، مرجع سابق : ص٦٨ .

ولا ندري متى حدث ذلك الانضمام مع أن مركز الحكم في صنعاء والحكام المحليين في أبها لم يقبلوا الاحتلال السعودي للمنطقة ، فقد عرفنا سابقا أن الإمام يحيى بعث إلى آل سعود يطلب منهم الارتحال من عسير ويعتبر ما قاموا به اعتداء وغزوا ، كما أن الحسن بن عائض رفض أن يحكم عسير باسم آل سعود ، واستمرت مقاومته للوجود السعودي عدة سنوات إلى أن أُسر وأُخِذ إلى الرياض ، وظل محتجزا هناك حتى انتقل إلى باريه[٤٢٨]

تحليل المبررات السعودية في القضاء على الأدارسة

بعد الجهود الحثيثة لإثبات وجود وشرعية " الإمارة الإدريسية " أكدت الدراسات السعودية أن الأخطار المحدقة بتلك الإمارة قد تفاقمت ، وخاصة بعد أن كشر أشراف الحجاز وإمام اليمن عن أنيابهم وأبدوا رغبة واضحة في ابتلاعها .. مما حدا بالإدريسي إلى أن يطلب نجدة عبد العزيز بن سعود .. ونتيجة لذلك وافق الملك عبد العزيز على حماية " الإمارة الإدريسية "[٤٢٩]

وإذا ما عرفنا أن مملكة الحجاز تهاوت في ١٩٢٥م ، وأن إعلان الحماية كان في ١٩٢٦/١٠م اتضح أن الأشراف لا علاقة لهم بالموضوع ، وليس من المعقول أن ينتظروا حتى بدأ الخطر السعودي يهدد مملكتهم ثم راحوا يكشرون لابتلاع إمارة أخرى !!

أما إمام اليمن فهو الطرف الأساسي في الموضوع ، ولم يكن بحاجة للتكشير عن أنيابه فالواجب كان يحتم عليه –منذ أن ورث الحكم العثماني– أن يعمل على ضبط الأمور في كل المناطق اليمنية التي كانت تشكل الولاية العثمانية ، واستخدامه للقوة في هذا الجزء أو ذاك من الولاية شأنا داخليا لا

[٤٢٨] راجع : مشاري بن سعود بن عبد العزيز ، ص٦٧ . مشار إليه في د/ عبد الله القباع ، ص١٦٥.

[٤٢٩] د/ عبد الله القباع ، ص١٧٣ .

علاقة لأحد به ، وتصارع القوى اليمنية داخل اليمن أمر يهم اليمنيين وحدهم هم الذين يحسمونه بأنفسهم .

* **وإذا كان الملك عبد العزيز قد أنقذ " الإمارة الإدريسية " وخلصها من أنياب الإمام يحيى ، فأين ذهبت تلك الإمارة ؟**

المتتبع للدراسات السعودية يجدها ما إن تصل إلى موضوع الحماية حتى تبدأ في هدم تلك الإمارة التي عملت طويلا لإثبات وجودها ، فقد راحت تقول " وفي هذه الفترة أصبح واضحا لدى العديد من المراقبين أن " إمارة عسير " قد أصبحت من الناحية العملية جزءا من الدولة السعودية "[٤٣٠]

ولما حان وقت القضاء على الأدارسة قيل : إن الإدريسي قام " بحركة تمرد مفاجئة .. واحتل جيزان ووضع حاكمها السعودي وموظفيه في الأسر .. وهنا أدرك الملك عبد العزيز أن الأمر قد بلغ حدا من الخطورة فأمر على الفور بإرسال قوة عسكرية لوضع حد لتمرد الإدريسي "[٤٣١] . وبعدما أشارت تلك الدراسات إلى إعلان الضم الذي صدر عقب الهجوم العسكري على جيزان أردفت بالقول " وبإعلان الملك عبد العزيز ضم عسير إلى المملكة العربية السعودية في عام ١٩٣٣م انتهت قصة الأدارسة بشكل نهائي "[٤٣٢]

هكذا التناقض والتضارب : هناك كانت " إمارة إدريسية " ، وهنا صارت " إمارة عسير " . هنالك كان الإدريسي " إماما " ، وهنا أضحى مجردا من أي صفة . هنالك كان الإدريسي " صاحب سيادة " ، وهنا صار متمردا ، وصار الموظف السعودي هو حاكم المنطقة وأميرها !!

---

[٤٣٠] المرجع السابق ، ص١٧٧ .

[٤٣١] المرجع السابق ، ص١٧٩ .

[٤٣٢] المرجع السابق ، ص١٨٢ .

عندما تعلق الأمر بالإمام يحيى صاحب الصفة القانونية والحقوق التاريخية كان الأدارسة " إمارة " ، وعندما سير ابن سعود قواته لاحتلال المنطقة لم يكن الأدارسة أكثر من قصة !!

♦ وحتى لو افترضنا شرعية وجود ما أسمي بالإمارة الإدريسية ، وشرعية " اتفاقية الحماية " فإن القانون الدولي يعطي للدول المحمية حق تقرير مصيرها ، ومن ثم كان يجب على السعوديين أن يتركوا الإمارة وشأنها ما دامت لم تعد بحاجة إلى حمايتهم .

فقد كانت إمارات ومشيخات الخليج داخلة تحت الحماية البريطانية ، وقد بلغت الاتفاقيات التي وقعتها بريطانيا مع تلك الإمارات حدا من الكثرة " جعلت السير جفري آرثر آخر المقيمين البريطانيين في الخليج يذكر أنه عندما حاولت بريطانيا أن تفتش عن جميع المعاهدات والاتفاقيات التي تربط بينها وبين إمارات الخليج لم تستطع حصرها ، وبالتالي فقد اكتفت بالنص على إلغاء جميع الاتفاقيات دون حصر "(٤٣٣)

الواقع أننا إذا جئنا من أي اتجاه أو سلكنا أي طريق فإننا نجد أن ما قام به السعوديون كان احتلالا بالقوة . بالقوة احتلوا أبها وقضوا على آل عائض ، وبالقوة احتلوا جيزان وقضوا على الأدارسة ، وبالقوة أجبروا الإمام يحيى على الاعتراف بذلك الوضع والتنازل عن نجران ، أي أن كل القوى السياسية في اليمن رفضت -خلال الفترة الانتقالية التي أعقبت الانسحاب العثماني- الاحتلال السعودي لعسير ونجران وجيزان ، آل عائض قاوموا الاحتلال إلى أن أسروا وأخذوا إلى الرياض ، والأدارسة -الذين استخدمهم السعوديون كذريعة لدخول المنطقة- رفضوا الاحتلال ودخلوا في مواجهة مع بن سعود إلى أن هزموا

---

(٤٣٣) مشار إليه في : د/ أحمد زكريا الشلق ، د/ مصطفى عقيل الخطيب : قطر واتحاد الإمارات العربية التسع في الخليج العربي ١٩٦٨-١٩٧١م ، دراسة ووثائق ، الدوحة ١٤١١هـ-١٩٩١م ، ص١١ .

وهربوا إلى الإمام يحيى ، والأئمة رفضوا التنازل عن أي جزء من الأرض اليمنية حتى غلب على أمرهم في الهجوم الكاسح الذي شنه آل سعود في ١٩٣٤م . وهذا يدل دلالة قاطعة على أن المنطقة -من بيشة حتى جيزان- أخذت بقوة السلاح .

المبحث الثالث

نظرة على الوثائق السعودية المبررة لضم عسير

الوثيقة الأولى(*)

(*) وردت في المصادر الرسمية السعودية كالتالي :

معاهدة سنة ١٣٣٨هـ

بين الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

والإمام محمد بن علي الإدريسي

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله

يعلم به الناظر إليه والواقف عليه بأن الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل حفظه الله لما أمرنا بالقدوم على الإمام محمد بن علي بن إدريس لعقد الأخوة الإسلامية الخاصة وجمع الكلمة على دين الله ورسوله ودعوة الناس إلى ذلك في التعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وأن تكون اليد واحدة على أعداء الدين ، فلما قدمنا على الإمام المذكور سره ذلك وأحبه حرصا على الخير والتعاون عليه فاتفقت الحال منا ومنه على عقد الأخوة بين الإمامين المذكورين على مثل ما ذكر أعلاه ، فحيث كان في مملكة الإمام محمد بن علي من القبائل والبلدان في اليمن ما هو في ملك آل سعود سابقا تركه الإمام عبد العزيز له لأجل محبته للخير ومعارنته عليه وحسن سيرته ، فعلى هذا لا بد من تعريف القبائل وتحديدها ليقوم كل منهما بما أوجب الله عليه فيمن تحت يده من الرعية فصار الذي للإمام عبد العزيز من القبائل جميع يام ووداعة ومن تبعهم من بني جماعة وسحار وشريف وقحطان ورفيدة وعبيدة منهم بني بشر وبني طلق وشهران وبني شهر وغامد وعسير غامد وجميع قضاة محايل منهم بني ثوعة وأهل بارق وترنش وأهل الريش وغيرهم ممن تبعهم وجميع قبائل حلي المذكورون في ولايا الإمام عبد العزيز وصار للإمام محمد بن علي الإدريسي تهامة سوى ما ذكر وغير ذلك مما هو تحت يده وله رجال ألمع من عسير خاصة ولا يعارض كل منهما من تحت يد الآخر ، وما ذكر لعبد العزيز بن عبد الرحمن من=

المعاهدات معروفة منذ عهود سحيقة بأنها اتفاق بين طرفين حيث يطرح كل جانب شروطه ومطالبه ويتفاوضان حولها إلى أن يتوصلا إلى صيغة مشتركة تعبر عن إرادتهما معا .

أما هذه فهي عبارة عن رواية أو قصة سردها نواب ابن سعود ، ولم ينطق الإدريسي- والمفترض أنه الطرف الآخر في الاتفاقية- بكلمة واحدة من بداية القصة إلى نهايتها . ومن الغريب أن الرواة الذين سردوا تلك القصة لم يذكروا المكان الذي التقوا فيه بالإدريسي ، وبينما وضعوا أسماؤهم في نهاية الرواية فإن الطرف الآخر ذكر بختمه .

إذن تلك الوثيقة ادعاء أراد بها آل سعود إثبات الحق لأنفسهم في تلك المناطق ، ولأن الحقيقة لا يمكن طمسها فقد أكدت القصة أن تلك المناطق من " **قبائل وبلدان اليمن** " .

وإذا دققنا النظر في تاريخ القصة ١٣٣٨ه الموافق ١٩٢٠م تقريبا ، يتضح أنها كانت الذريعة التي استخدمها آل سعود للقضاء على آل عائض واحتلال أبها والفتك بسكانها .

- القبائل في السراة وتهامة ويام وغيرهم فالمراد به قرى وبوادي في جبل وسهل ، وعليهما في ذلك التناصح والتعاون وبذل الجهد فيما أوجب الله عليهما مما يلزم في دين الإسلام فيمن تحت أيديهما .

هذا ما صار وحرر وقرر منا يا نواب الإمام حيث كنا قائمين مقامه ومن الإمام محمد بن علي بن إدريس بحضوره وإمضائه صدر العهد والميثاق منا ومنه ومن نكث فإنما ينكث على نفسه . والله ولي التوفيق وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ١٦ذي الحجة ١٣٣٨ه .

نائب الإمام — الختم

عبد الله بن محمد الراشد

ناصر بن حمد الجار الله — محمد بن علي بن إدريس

فيصل بن عبد العزيز المبارك

وعندما ندخل في التفاصيل نجد الرواة يذكرون أنهم سعوا إلى عقد الأخوة الإسلامية ، وجمع الكلمة على دين الله ورسوله ، والتعاون على البر والتقوى ، والجهاد في سبيل الله .. إلخ . ثم انتقل الرواة بصورة مفاجئة إلى " ملكية الأراضي " وهو موضوع منبت الصلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا علاقة له بالجهاد في سبيل الله ، فذكروا أن عبد العزيز ترك للإدريسي ما كان في ملك آل سعود سابقا من مناطق اليمن " لأجل محبته للخير ومعاونته عليه وحسن سيرته " ، وبدلا من أن يذكروا المناطق التي تركها ابن سعود للإدريسي وتنازل له عنها حصل العكس تماما راحوا يسردون أسماء القبائل اليمنية التي عينوها للواهب (ابن سعود) أما الموهوب له (الإدريسي) فله " سوى ما ذكر وغير ذلك مما هو تحت يده " . ولما تذكر الرواة أن ما ذكروه لابن سعود قد لا يثبت حقا لأنهم تحدثوا عن قبائل ، استدركوا ذلك بالقول " وما ذكر لعبد العزيز بن عبد الرحمن من القبائل في السراة وتهامة ويام وغيرهم فالمراد به قرى وبوادي في جبل وسهل " .

الوثيقة الثانية(*)

(*) وردت في المصادر السعودية كالتالي :

معاهدة مكة المكرمة

بين جلالة الملك والإدريسي

الحمد لله وحده

بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، وبين الإمام السيد الحسن بن علي الإدريسي .

رغبة في توحيد الكلمة وحفظا لكيان البلاد العربية وتقوية للروابط بين أمراء جزيرة العرب قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود وصاحب السيادة إمام عسير السيد الحسن بن علي الإدريسي على عقد الاتفاقية الآتية :

المادة الأولى : يعترف سيادة الإمام السيد الحسن بن علي الإدريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩ه المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن علي الإدريسي والتي كانت خاضعة للأدارسة في ذلك التاريخ تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه الاتفاقية .=

حظيت هذه الوثيقة باهتمام كبير لدى مختلف الدراسات والأبحاث السعودية ، وتعتبر أهم مستند لتلك الدراسات في تبرير الاحتلال السعودي لعسير ، وتعرف هذه الوثيقة باتفاقية الحماية ، وقبل أن نحلل بنودها لا بد من التعرض لحكم الحماية في القانون الدولي .

- المادة الثانية : لا يجوز لإمام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة وكذلك لا يجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الثالثة : لا يجوز لإمام عسير إشهار الحرب أو إبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الرابعة : لا يجوز لإمام عسير التنازل عن أي جزء من أراضي عسير المبينة في المادة الأولى .

المادة الخامسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية إمام عسير الحالي على الأراضي المبينة في المادة الأولى مدة حياته ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة وأهل العقد والحل التابعين لإمامته .

المادة السادسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية والنظر في شئون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشئون الداخلية من حقوق إمام عسير على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين .

المادة السابعة : يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير المبينة في المادة الأولى وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة .

المادة الثامنة : يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها .

المادة التاسعة : تكون هذه المعاهدة معمولا بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين .

المادة العاشرة : دونت هذه المعاهدة باللغة العربية من صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين.

المادة الحادية عشرة : تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة .

وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ١٤ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ الموافق ٢١أكتوبر سنة ١٩٢٦م .

ملك الحجاز سلطانة نجد وملحقاتها

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

تم ذلك بحضور راقم هذه الحرف خادم الإسلام
أحمد الشريف السنوسي

إمام عسير
الحسن بن علي الإدريسي

تعرف الحماية بأنها " نظام دولي ينشأ نتيجة معاهدة دولية تعقد بين دولتين بمقتضاها تتنازل إحداهما للأخرى عن جزء من سيادتها دون أن يصل مقدار التنازل إلى الحد الذي يفقدها وصف الدولة "(٤٣٤)

وتطبيقا لذلك فإن تلك الاتفاقية باطلة من أساسها للآتي :

١-إذا كان وصف الدولة يصدق على ملك الحجاز وسلطان نجد ، فإنه لا ينطبق على الطرف الآخر ، وقد تتبعنا سابقا وضع محمد الإدريسي منذ ظهوره على المسرح السياسي إلى أن انتقل إلى باريه فوجدنا أنه لم يصل إلى أكثر من محارب . ومما يثير الاستغراب أن تلك الاتفاقية التي ظهرت بعد وفاة محمد الإدريسي بثلاث سنوات تقريبا لم تعلن حتى باسم ابنه الذي ورثه بل أعلنت باسم أخيه " الحسن الإدريسي " الذي لم يكن له أي دور ولم يظهر على المسرح السياسي لا في حياة محمد ولا بعد وفاته وإنما ظهر بظهور الاتفاقية ، كما أن هناك شكوكا في أن يكون الحسن الإدريسي قد وقع تلك الاتفاقية حيث قام بكتابتها شخص قيل إنه من أصهار الأدارسة ، ومما يزيد من هذا الشك ما ذكرته إحدى الدراسات من أن الإدريسي " قد بارك المعاهدة "(٤٣٥).

٢-كان الإمام يحيى هو المسئول قانونا عن المنطقة التي حمتها الاتفاقية باعتباره الوارث الشرعي للحكم العثماني في اليمن ، بل إنه كان صاحب الاختصاص والسلطة على الأدارسة بدليل الوقائع التالية :-

(٤٣٤) د/ محمد سامي عبد الحميد : أصول القانون الدولي العام ، المجلد الأول ، القاعدة الدولية ، مؤسسة شباب الجامعة الطبعة الأولى ١٩٧٢م ، ص٢٠٠ .

(٤٣٥) الخترش ، ص٩٣ .

- عندما انتقل السيد محمد الإدريسي إلى صبيا في ١٩٠٨ ذكر أنه استأذن من الإمام يحيى ببقائه في تلك الجهات للإرشاد والتعليم(*)

- عندما تحرك الإدريسي لمقاومة العثمانيين كان يحرص على توضيح موقفه للإمام وتبرير مسلكه(٤٣٦).

- عندما اتفق الإنجليز مع الإدريسي على محاربة الأتراك اشترطوا عليه -كما هو مذكور سابقا- ألا يثير الخصومة والعداء مع الإمام يحيى ، كما أن الاتفاق جعل وضع الإدريسي في المنطقة مرهونا بموقف الإمام يحيى(*).

- إن الإدريسي انتقل إلى باريه في ١٩٢٣م وهو مقر بسلطة الإمام يحيى فقد عرفنا من خلال رسالته التي بعث بها إلى الإمام في ١٩٢٢م أنه يعتبر الإمام " المسئول عن لم شعث الأمة(*).

- إن الإمام يحيى لم يعترف للأدارسة بأي وضع خارج سلطة صنعاء ، ولم يعلن عجزه صراحة أو ضمنا عن السيطرة عليهم ، وقد عرفنا أن الحماية أعلنت في الوقت الذي كانت فيه المشكلة الإدريسية في حكم المنتهية(*) . والمعروف أن القواعد الدولية والعرف الدولي لا يعطي الحق لعاقل قرية أو عمدة مدينة أو والي مقاطعة أن يعقد اتفاقية دولية .

(*) راجع : هامش (٨٢) .

(٤٣٦) مما يؤكد ذلك ما جاء في مذكرات متصرف عسير " إن السيد الإدريسي رغم وقوع حادثتي هجوم القبائل ومجيء الأسطول الإيطالي في وقت واحد قال في رسالته إلى الإمام يحيى : إنه لما رأى بطش الإيطاليين وشغلهم مدة الحرب الطرابلسية التزم السكينة " راجع : مذكرات متصرف عسير ، مصدر سابق ، ص١٤٩ .

(*) راجع هامش (٣٩٣)

(*) راجع هامش (٨٣) .

(*) راجع هامش (٢٤٩) .

٣-خلال الفترات الانتقالية التي تمر بها الدول ليس من حق أية قوة سياسية أن تنفرد في التفاوض على أي جزء من إقليم الدولة .

ومن ثم فالحماية السعودية كانت تدخلا غير مشروع في شئون اليمن الداخلية حتى لو كان أحد الأدارسة قد وقع فعلا على الاتفاقية ، وكما عرفنا سابقا فقد حصل التدخل السعودي في المناطق اليمنية في الوقت الذي كان الحوار قائما بعد الانسحاب العثماني بين الأئمة وآل عائض والأدارسة حول نظام الحكم وشكل الدولة ودور كل منهم في ظل الوضع الجديد .

والواقع أن إعلان تلك الاتفاقية في ذلك الوقت كان تواصلا للدسائس الإنجليزية التي كانت تهدف إلى إلهاء مركز الحكم في صنعاء بصراعات متواصلة ليكف عن مطالبته لبريطانيا بالانسحاب من جنوب اليمن .

ومن يتتبع الأحداث التي مرت بها المنطقة في تلك الفترة ، وعلى الوثائق البريطانية في هذا الشأن يجد أن ما سمي بـ" الإمارة الإدريسية " لم يكن سوى فرية أوجدها الإنجليز إبان الحرب العالمية الأولى . أوجدوها شكلا ولم يعترفوا بها قانونا ، بل إنهم كانوا ينعتون الإدريسي بـ " الصعلوك "[٤٣٧] .

وعندما انتهت الحرب احتل الإنجليز الحديدة وأضافوها شكلا[٤٣٨] للشكل الذي أوجدوه ، ثم راحوا يلوحون للإمام يحيى بإعادة الحديدة إليه مقابل اعترافه بالاتفاق الانجلو -تركي الذي قسم اليمن إلى شطرين[٤٣٩] .

---

[٤٣٧] راجع : عزيز خودا بيرد يف ، مرجع سابق ، ص٤ .

[٤٣٨] زار الريحاني الحديدة في ١٩٢٢م أي بعد تسليمها للإدريسي ، ومما كتبه عنها " الحديدة التي كانت من أجمل البلدان العربية على البحر الأحمر وأكبرها تجارة (هي اليوم) فريسة الحرب وفريسة السياسة .. وموقف الإنكليز فيها إنما هو موقف المقامر فهو يساهم الورقة المجهولة في الصفقة الأخيرة .. إن إدارة الحديدة في يد خمسة من الحكام أولهم اسما عامل السيد (أي الإدريسي) وآخرهم رسما الوكيل السياسي (البريطاني) ، وبين الاثنين مدير الجمرك ومدير الشرطة ورئيس الميناء " راجع : ملوك العرب ، ص٢٧٢-٢٧٣ .

[٤٣٩] خودا بيرد يف ، مرجع سابق ، ص٨٢،٨٣ .

ولما زاد الضغط العسكري للإمام على " المحميات " أعلن الإنجليز -كما هو مذكور سابقا- بأنهم يعتبرون النزاع بينه وبين الإدريسي شأنا داخليا . وكانوا واثقين من أن الإمام لن يتمكن من استعادة الحديدة دون أن يوجهوا الإدريسي بتركها ، وقد بنوا ثقتهم على عدة عوامل منها : أن سكان تهامة " الشافعيين " سيقاومون الاحتلال الزيدي[٤٤٠]. كما أن الإمام منشغل بمواجهة الاضطرابات القبلية الغير منقطعة والتي تحدث غالبا بفعل دسائسهم ، ثم إن الدعم الذي يتلقاه الأدارسة من مال وأسلحة سيمكنهم من الوقوف في وجه الإمام .

ولذلك فقد أذهلهم استعادة الإمام للحديدة ووصول قواته إلى صبيا[*]في وقت قياسي[٤٤١] ، فأيقنوا أن الشكل الذي اصطنعوه سينهار لا محالة . وفي أغسطس ١٩٢٥ كتب المقيم البريطاني في عدن إلى وزارة المستعمرات " لقد مر ذلك الزمان الذي كان فيه الإمام يستطيع أن يتخلى عن ادعاءاته في المحمية مقابل وعد بمساعدته في طرد الإدريسي من الحديدة "[٤٤٢] . عند ذلك قررت الحكومة البريطانية إرسال بعثة رفيعة المستوى إلى الإمام ، واختير لتلك المهمة رجل بارز في المخابرات والدبلوماسية البريطانية هو الجنرال كلايتون الذي اختاره

---

(٤٤٠) أكد أحد المقيمين البريطانيين في عدن في كتابه " عدن واليمن " بأن احتجاز إحدى قبائل تهامة للكولونيل جاكوب الذي أرسل للتفاوض مع الإمام في ١٩١٩م كان من منطلق خوفها أن تقوم بريطانيا بتقديم تسهيلات " للإمام الزيدي " لاحتلال تهامة . راجع :

-Rei[illegible]. B. Op Cit, P. 17

(*) راجع هامش (٢٤٧) .

(٤٤١) تلك الأحداث أغضبت وزير المستعمرات نبث ببرقية سرية إلى المقيم في عدن جاء فيها " إن الحكومة البريطانية لا تزود بالسلاح أولئك الذين ليست لديهم مكانة راسخة " راجع :

NAI, File 136-N. Yemen affairs, 1924-25, No 40. مشار إليه في : عزيز خودا بيرد ييف ، ص ٩٦.

(٤٤٢) المرجع السابق . ص٩٩

مجلس الوزراء من بين عدة ترشيحات[٤٤٣] . وقد وصل إلى صنعاء في ينــاير ١٩٢٦م وظلت المباحثات ما يقرب من الشهرين دون أن تثمر عن نتيجة .

وعلى إثر عودة كلايتون إلى لنــدن عقــد فــي وزارة المســتعمرات فــي ٥/أغسطس ١٩٢٦م اجتماع لممثلي وزارات الخارجية والمســتعمرات وشــئون الهند ووزارة الحربية وغيرها من الدوائر ، حيث نوقش تقرير كلايتــون عــن المفاوضات في صنعاء ، وطرحت عدة صيغ لمواجهة الموقف كان من ضمنــها: تعزيز عدن بسرب من قاذفات القنابل البعيدة المدى التي تستطيع أن تبلغ أجــواء اليمن الداخلية[٤٤٤] و " الاستفادة من الإدريسي "[٤٤٥]

ولما كان الملك عبد العزيز يطمح في الحصول علــى مزيــد مــن الأرض اليمنية ، وكان قد أرسل الإنجليز يستأذنهم في احتلال ما تبقى من عسير[*] فقــد جاء الوقت المناسب لإثارة مزيد من الصراع بينه وبين الإمــام يحيــى ، فــإذا باتفاقية الحماية تعلن في ٢٦ أكتوبر ١٩٢٦م أي بعد مضي شهرين من اجتمــاع الدوائر الاستعمارية في لندن .

ومما يؤكد أن تلك الاتفاقية كانت تواصلا للدسائس الإنجليزية مــا ذكرتــه بعض الوثائق من أن الحسن الإدريسي أرسل إلى الملك ابن ســعود فــي مــايو ١٩٢٦م يطلب منه المساعدة إلا أنه اعتذر عن ذلك قائلا بأنه ليست بينه وبيــن الإمام يحيى إلا الصداقة وان سياسته تقوم على عدم التدخل في شئون الحكومات العربية المجاورة[٤٤٦] .

---

[٤٤٣] المرجع السابق ، ص١٠٢ .

[٤٤٤] المرجع السابق . ص١٠٤، ١٠٧ .

[٤٤٥] NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 4 مشار إليه في : المرجع الســابق ، ص١٠٦، ١٠٧ .

[*] راجع هامش (٢٦٨) .

[٤٤٦] مشار إليه في : الخترش ، ص٩٠، ٩١ .

فإذا كان ابن سعود قد أقر في مايو ١٩٢٦م بأن ما يحدث بين الإمام والأدارسة شأنا داخليا فما الذي غير موقفه في أكتوبر ١٩٢٦م ؟

تحليل بنود الوثيقة:

لأول وهلة ومن خلال العنوان يتضح الضعف والغموض فالمعروف أن المعاهدات الدولية تبدأ بذكر أسماء الإمارات أو السلطنات أو المملكات أو الجمهوريات المتعاقدة أما هذه فأطراف تعاقدها " جلالة الملك والإدريسي " .

وبعد حمد الله راحت الوثيقة توضح من الملك ومن الإدريسي ، فذاك ملك الحجاز وسلطان نجد وذاك الحسن بن علي الإدريس ، أي أن الاتفاقية إن كانت قد وقعت من الطرفين فهي بين دولة يمثلها ملك الحجاز وبين شخص " الحسن الإدريسي " .

وفي بداية الاتفاقية تم التأكيد على أن هدفها " تقوية الروابط بين أمراء جزيرة العرب " ، ولأن الحسن الإدريسي لا علاقة له بالموضوع وقد ذكر بدون أية صفة فقد سارع من كتب الوثيقة إلى منحه تلك الصفة فأصبح " صاحب سيادة " وصار " إمام عسير " ، وعند قراءة المادة الأولى يتضح أن الهدف من منح الحسن الإدريسي تلك الصفة أن يكون أهلا للتنازل عن الأراضي لجلالة الملك ، ولما لم يكن للإدريسي ما يتنازل عنه فقد أحالتنا المادة الأولى إلى اتفاقية أخرى قالت إنها وقعت في ١٠ صفر ١٣٣٩ه بين سلطان نجد وبين السيد محمد الإدريسي (ذاك سلطان وذاك لا صفة له) .

وبالرجوع إلى الوثيقة السابقة نجدها مؤرخة في ١٦ الحجة ١٣٣٨ه ، ولا ندري كيف تمكنوا في خلال أقل من شهرين من تغيير حدود وإنشاء معاهدات مع أن تلك الفترة لا تكاد تكفي في تلك الفترة لقطع المسافة ذهابا وإيابا بين نجد واليمن !!

وإمعانا في الغموض أحالت كل المــواد اللاحقــة فيمــا يتعلــق " بتحديــد الأراضي " إلى المادة الأولى وبدورها أحالت إلى لا شيء .

وهكذا يتضح أن هذه " الاتفاقية " ما هي إلا حيلة تضاف إلى سابقتها الـهدف منها السيطرة على مزيد من الأرض اليمنية ، وما كان ينبغي أن يطلــق عليــها اسم مكة المكرمة .

وقبل أن ننتهي من هذا الموضوع هناك ملحوظة لا شك أنها واضحة فــي كل الوثائق السعودية وقت ألا يكون هناك أراضي أو تنازل يذكــر الإدريســي مجردا من أي صفة ، وما إن يتم التحدث عن حدود أو أراضي أو تنازل حتــى تضاف له صفة " الإمام " و " صاحب السيادة " .

الفصل الثالث

مشروعية ضم عسير بناء على معاهدة الطائف

أول ما يلفت الانتباه عنوان المعاهدة " معاهدة صداقة عربية وأخوة إسلامية " فالمعروف أن المعاهدة أعلنت في الوقت الذي كانت فيه الأعمال الحربية لم تنته بعد ، وقد كانت أول عبارة ترد في الديباجة " رغبة منهما في إنهاء حالة الحرب .. " ثم تتابعت الكثير من مواد المعاهدة لمعالجة ذلك الأمر . وقد جرى العرف على أن تسمى مثل هذه المعاهدات ب " معاهدات سلام " أو " اتفاق هدنة " أو " معاهدة صلح " .. إلخ

إن لفظ " الصداقة العربية والأخوة الإسلامية " يوحي باتجاه نية الطرفين إلى تعزيز الروابط والعلاقات بينهما حتى تصبح وكأنها علاقة " تحالف " . هذا الفهم تعززه بعض النصوص : فالديباجة تقول " ورغبة في أن يكونا عضدا واحدا .." والمادة (٣) تنص على أن " يتفق الفريقان .. على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين .. على أن لا يكون ما يمنحه أحد الفريقين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث " وجاء في المادة (١٦) يعلن الفريقان .. اللذان تجمعهما روابط الأخوة الإسلامية ، والعنصرية العربية أن أمتهما أمة واحدة .. " .. إلخ

لكن هذا الفهم يبدده نص المادة (٢٢) الذي يقضي بأن المعاهدة " تظل سارية المفعول مدة عشرين سنة " كما أنه لا يتوافق مع عنوان المعاهدة ، فكيف يستقيم أن " الصداقة العربية والأخوة الإسلامية " تحدد بعشرين سنة ، بينما المعاهدات السعودية-الإنجليزية لا أمد لها ، كما أن معاهدة الصداقة والتعاون " بين الإمام وبريطانيا حددت بأربعين عاما !!

الحقيقة أن الأراضي والحدود هما العائق أمام استمرار الصداقة العربية والأخوة الإسلامية ، ويبدوا أن آل سعود كانوا يطمحون في المزيد ، وكان الأئمة يأملون في استعادة ما فقدوه ، ومما يؤكد ذلك أن النص الذي حدد مدة المعاهدة لم ينص على التجديد الضمني حيث اعتبر أن المعاهدة تصبح لاغية بانتهاء مدتها ، بل إنه ساوى بين التجديد والتعديل فوضع ضوابط زمنية لكيفية إجرائهما تمثلت في :

- **تحديد الوقت الذي يقدم خلاله اقتراح التجديد أو التعديل :**

قرر النص أن اقتراح التجديد أو التعديل يجب أن يقدم خلال الستة الأشهر الأخيرة لانتهاء مدة المعاهدة فإن مضت دون أن يقدم أحد الطرفين مثل ذلك المقترح فإن المعاهدة تصبح منتهية .

- **تحديد الوقت الذي يتم خلاله حسم مسألة التجديد أو التعديل :**

وهنا أوجب النص على الطرفين أن يحسما مسألة التجديد أو التعديل خلال ستة أشهر من تاريخ تقديم أحدهما للمقترح ، فلو افترضنا أن أحد الطرفين قدم المقترح في اليوم الأخير من انتهاء المعاهدة فإنها تظل سارية المفعول لمدة ستة أشهر من اليوم الذي قدم فيه المقترح ، فإذا انتهت الستة الأشهر دون اتفاق الطرفين انتهت المعاهدة (*) .

وبناء على ذلك فإن المعاهدة لم تحسم مسألة الحدود بل رحلتها لأن النص عندما تحدث عن التعديل لم يستثن أي بند من بنودها . وقد احتوت المعاهدة

(*) يقول نص المادة ٢٢ " وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة ، ويمكن تجديدها أو تعديلها **خلال** الستة الأشهر التي تسبق تاريخ انتهاء مفعولها فإذا لم تجدد أو تعدل في ذلك التاريخ تظل سارية المفعول إلى ما بعد ستة أشهر من إعلان أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر رغبته في التعديل "

على مادة وجزء من مادة تتعلقان بالأراضي والحدود ، هما نص المادة الرابعة وعجز المادة الثانية .

في ضوء المبادئ القانونية نستعرض أحكام المادتين في المبحثين التاليين :

المبحث الأول

اكتساب الأقاليم في القانون الدولي

شهد القانون الدولي المعاصر تطورا كبيرا فيما يتعلق بكيفية اكتساب الأقاليم في اتجاهين :-

الأول : انقضت الفكرة التي كانت تقوم على أساس وجود رئيس أعلى للدولة يعتبر مالكها ، وله أن يتصرف فيها كما يتصرف في أملاكه الخاصة ، فقد أصبحت الدولة وحدة إقليمية تستند إلى سلطة وإرادة الشعب(٤٤٧).

الثاني : تحريم اكتساب الأقاليم باستخدام القوة المسلحة :

بدأ الاتجاه إلى تحريم اكتساب الأقاليم بالقوة منذ نهاية القرن التاسع عشر حيث قرر مؤتمر الدول الأمريكية في ١٨٩٠/١/١٥م أن " الفتح سواء كان هدفا أو نتيجة للحرب فانه يعد خرقا للقانون العام لأمريكا " . ومنذ نشأة عصبة الأمم تبنى العرف الدولي قاعدة " الحرب لا تخلق الحقوق ".

وجاء في مشروع تقنين القانون الدولي الذي اقترحه مؤتمر الدول الأمريكية في ١٩٢٥م " أن كل ضم أو اكتساب للسيادة على الأقاليم يعد باطلا إذا كان نتيجة لوضع اليد بالقوة " .

---

(٤٤٧) أستاذنا الدكتور/ حازم جمعه : إقليم الدولة وحدودها . ص١٩

وجاء في ميثاق بوغوتا في ١٩٢٨/٤/٣٠م " أن الفتوحات الإقليمية التي يتم الحصول عليها باستعمال القوة تكون باطلة ".

وأعلنت ١٩ دولة في نزاع "جران شاكو بين بوليفيا وأرجواي " عام ١٩٣٢م بأنهم لن يعترفوا بأي إدعاء بالفتح واستعمال القوة[٤٤٨].

وعلى إثر النزاع الياباني الصيني أصدرت جمعية عصبة الأمم توصية في مارس ١٩٣٢م أكدت فيها أن هناك التزام عام بعدم الاعتراف بأية آثار ناجمة عن تغير إقليمي يتم على خلاف قواعد القانون الدولي[٤٤٩].

وبذلك " قطعت المواثيق الدولية التي أبرمت منذ الحرب العالمية الأولى .. بعدم مشروعية الفتح كوسيلة لاكتساب الملكية الإقليمية وأجمعت على استبعاده من الوسائل المشروعة .. فاستبعده عهد عصبة الأمم ، وبرتوكول جنيف ١٩٢٤ م ، واتفاقات لوكارنو ١٩٢٥ م ، وميثاق باريس ١٩٢٨م بتحريمها حرب الاعتداء وباعتبارها جريمة دولية "[٤٥٠]

وفي ضوء ذلك فإن الجهود العسكرية التي قام بها آل سعود خلال الفترة ١٩٢١-١٩٣٤م والتي تمكنوا بواسطتها من احتلال عدة مناطق يمنية تعتبر أعمالا باطلة ولا ترتب أية آثار قانونية .

---

(٤٤٨) راجع :د/ عبد المجيد إسماعيل حقي ، مرجع سابق ، ص٢٠٢

(٤٤٩) راجع : د/محمد السعيد الدقاق : عدم الاعتراف بالأوضاع الإقليمية غير المشروعة ، دار المطبوعات الجامعية ١٩٩١م ، ص٢٣

(٤٥٠) د/ علي صادق أبو هيف : القانون الدولي العام ، الطبعة السادسة ١٩٦٢م ، ص٣٦٨

هل تنازلت الدولة اليمنية عن عسير

يعرف التنازل بأنه " نقل السيادة على إقليم بعينة من دولة إلى أخرى نتيجة اتفاق دولي يبرم بينهما بمقتضاه تتخلى الدولة الأولى عن سيادتها على الإقليم موضوع التنازل لتكتسبه الدولة الثانية[٤٥١]

ويعتبر التنازل الوسيلة الاتفاقية لاكتساب الأقاليم في القانون الدولي المعاصر حيث يأخذ شكل معاهدة دولية يتم التفاوض عليها والالتزام بها من جانب الدول المعنية[٤٥٢].

ومن المتفق عليه أن التنازل يكون بين دول فالتنازل الذي يكون أطرافه أفرادا عاديين أو شركات أو قبائل لا يصدق عليه وصف التنازل الدولي حتى لو كان أحد أطرافه دولة ، ويجب أن يفرغ في صورة معاهدة مستجمعة كافة شروطها الصحيحة الشكلية والموضوعية[٤٥٣].

موقف الدولة اليمنية قبل الهجوم السعودي الشامل :

إذا عرضنا لموقف الدولة اليمنية قبل شن الهجوم السعودي في عام ١٩٣٤م نجد أنها رغم الضغوط التي واجهتها ومنها مقتل آلاف الحجاج اليمنيين رفضت التنازل عن أي جزء من عسير أو نجران :-

➔ في الاجتماع الأول الذي عقد في صنعاء ١٩٢٦م أكد الوفد اليمني على أن عسير جزء لا يتجزأ من اليمن ، ولا يمكن للإمام أن يعترف باقتطاع جزء منها

---

(٤٥١) د/ عدنان عبلر موسى النقيب : تغير السيادة الإقليمية وآثارها في القانون الدولي ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٩، ص٧٩.

(٤٥٢) أستاذنا الدكتور / أحمد ابو الوفا : الوسيط في القانون الدولي العام ، دار النهضة العربية . الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٩٩٦م، ص٢٢٢

(٤٥٣) راجع : د/ عدنان النقيب ، المرجع السابق ، ص ٨٠

لغيره .. ولا يمكنه التنازل عن شيء من بلاده ، وأن هذا شرطه لنجاح المفاوضات[٤٥٤].

- في الاجتماع الثاني الذي عقد في صنعاء عام ١٩٢٧م أكد الوفد اليمني على موقفه السابق من أن عسير جزء لا يتجزأ من اليمن[٤٥٥].
- في الاجتماع الذي عقد في صنعاء عام ١٩٣٣م أصر الجانب اليمني على تخلي بن سعود عن عسير ، وحمل الإمام الوفد السعودي رسالة إلى الملك بن سعود أوضح له فيها أن المناطق التي كانت بيد آل عائض والأدارسة هي جزء من اليمن ويطلب منه أن ينظر في هذا الأمر ويعيد الأمانة إلى أهلها[٤٥٦].
- في الاجتماع الذي عقد في مدينة أبها - قبل أن يقوم بن سعود بشن الهجوم بوقت قصير - أكد الوفد اليمني أن عسير وتهامة ونجران جزء من اليمن وتتبعها منذ القدم في عهد الجاهلية والإسلام ، وأن الإمام يأمل أن ينصفه الملك ابن سعود ويعيد إليه ما احتله من عسير وتهامة[٤٥٧] .

موقف الدولة اليمنية بعد شن الهجوم السعودي

بعد شن الهجوم بأيام قلائل ابرق الإمام يحي إلى بن سعود يناشده السلام ويطلب الهدنة وفتح باب المفاوضات من جديد ، لكن ابن سعود اشترط للموافقة لإيقاف الحرب عدة شروط أهمها[٤٥٨]: الجلاء عن نجران ، إخلاء جبال عسير ، تسليم الأدارسة ، دفع مبلغ مائة ألف جنيه من الذهب .

---

(٤٥٤) د/ فتوح الخترش ، ص١٢٨

(٤٥٥) المرجع السابق ، ص١٣٠، ١٣١

(٤٥٦) المرجع السابق ، ص١٦٦، ١٦٧

(٤٥٧) راجع : المرجع السابق ، ص١٨١ وما بعدها .

(٤٥٨) المرجع السابق ، ص٢٣٤ . راجع أيضا : سنت جون فيلبي ، مرجع سابق ، ص٥٠

وأكد بن سعود أنه لا يمكن وقف العمليات الحربية قبل تنفيذ الإمام لجميع الشروط بحذافيرها . وواصل هجومه حتى احتل الحديدة الميناء الرئيسي للدولة اليمنية آنذاك فلم يكن أمام الإمام سوى الرضوخ للشروط السعودية .

واستنادا إلى أحكام القانون الدولي فإن التنازل الذي ورد في نص المادة الثانية من معاهدة الطائف " .. أن جلالة الإمام يحي يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمانية أو غيرها من البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة ثابتة للمملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو آل عائض أوفي نجران وبلاد يام .." لا يعتد به ولا يرتب أية آثار قانونية لأن إردة الدولة اليمنية كانت منعدمة ولم يكن لها حرية الاختيار .

تأملات في نص المادة الثانية من معاهدة الطائف

بالنظر إلى نص المادة يتضح أن واضعيها حاولوا إظهار تنازلات متبادلة بين الطرفين ، وبدأ النص بتحديد تنازل الطرف السعودي فقال " إن جلالة الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه .." فإذا تساءلنا ما هو الحق الذي تنازل عنه ؟ أجاب النص " **أي حق يدعيه من حماية أو احتلال** " . أما الطرف اليمني فحدد النص تنازلاته بالقول " كما أن جلالة الإمام يحي يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمانية أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو آل عائض أو في نجران وبلاد يام" .

وبتأمل النص يتضح الآتي :

أولا : لأن الحقيقة لا يمكن إخفاؤها فقد أثبت النص أن عسير ونجران وجيزان مناطق يمنية عندما قال : **ويتنازل الإمام يحيى عن أي حق يدعيه باسم** "

الوحدة اليمانية " من البلاد التي كانت بيد الأدارسة وآل عائض ونجران وبلاد يام .

ثانيا : أكد النص ما سبق أن ذكرناه من أن مركز الحكم في صنعاء هو المسئول قانونا عن تلك المناطق ، أما الأدارسة وآل عائض فكانوا حكاما محليين لا يملكون الصفة القانونية في التنازل أو التفاوض بشأن أي جزء من تلك المنطقة .

ثالثا : لأن التنازل كان مفروضا على الجانب اليمني ولم يكن تنازلا متبادلا – كما أراد واضعو النص الإيحاء بذلك– فإن النص حدد وعدد المناطق التي يجب على الإمام التنازل عنها ، أما الطرف السعودي فكان تنازله عن " الحماية والاحتلال " بمعنى أن مركز الحكم في صنعاء إذا لم يتنازل عن المناطق المطلوبة منه فإن آل سعود سيواصلون سياسة " الحماية والاحتلال " على المناطق اليمنية الأخرى . وبذلك احتوى النص على تهديد مبطن للنظام الإمامي مفاده أنه سيخسر المزيد من الأراضي إذا لم يترك لآل سعود ما يريدون ، وأثبت آل سعود التهديد على أرض الواقع ، فخلال إعلان المعاهدة كانت قواتهم تتوغل في المزيد من الأراضي اليمنية .

إذن التنازلات المفروضة على الإمام تنازلات مادية عن مناطق حددت بالاسم ، بينما تنازلات ابن سعود عبارة عن وعد بعدم مواصلة احتلال بقية المناطق اليمنية وهو ما يحمل في طياته تعهدا من قبل آل سعود بالامتناع عن مواصلة الجهود العسكرية للإطاحة بالحكم الإمامي مادام الأئمة سيقرون بالمطالب السعودية .

أي أن النص طمئن الأئمة بأن السعودية لن تعلن حمايتها لقبيلة أو متمردين آخرين ولن تسعى إلى الإطاحة بالنظام الإمامي . وهذا هو ما يترافق مع

النص السابق الذي أكد على أن " يعترف حضرة صاحب الجلالة .. ملـــك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيـــى ولخلفائـــه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالا تاما مطلقا وبالملكية على مملكـــة اليمن ".

وكما هو واضح فقد صيغ هذا النص بعناية شديدة فلم يقـــل إن آل ســعود يعترفون باستقلال " اليمن " أو بملكية الأئمة على " اليمن " ، فاليمن آنـــذاك كان جزء منه تحت الاستعمار البريطاني ، وجزء تحت الاحتلال الســعودي ، والباقي تحت حكم الأئمة ، فإذا قال النص إن ابن سعود يعـترف بملكيـة الأئمة على " اليمن " فذاك إقرار منه بعدم شرعية الوجود البريطـــاني فــي الجنوب اليمني وبعدم شرعية وجوده في الشمال اليمني . وقد عمل واضعـو النص على الخروج من تلك المعضلة بإضافة " مملكة " إلـــى اليمـــن فـــي المرتين ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن النص يوحي أن آل ســـعود اعترفوا بنظام وليس بدولة ، وقد تأكد ذلك على الواقع العملي عندما تغـــير نظام الحكم في الدولة اليمنية في ١٩٦٢م ، فمع أن ذلك شأن يمني داخلـــي فإن السعودية وضعت كل إمكاناتها للقضاء على الجمهورية .

خامسا : النص على أن يتنازل جلالة الملك عبد العزيز عن أي حـــق يدعيــه " **من حماية واحتلال** " يؤكد أن آل سعود لا يملكون أي مسوغ شــرعي أو قانوني ، فالحماية كانت باطلة لأنها تدخل غير مشروع في الشئون اليمنية ، وشملت أجزاء من الأرض اليمنية المسئول عنها سياســيا وقانونـــا مركـــز الحكم في صنعاء .

وأما الاحتلال فكل المواثيق الدولية المعمول بها في ذلك الوقت تحرمه وتعتبره عملا غير مشروع وبالتالي لا يترتب عليه أية آثار قانونية فيما يتعلق باكتساب السيادة استنادا إلى المبادئ القانونية الآتية[٤٥٩] :

المبدأ الأول : نظرا لأن الحرب تعد خطئا جسيما من الدولة التي تشنها ، فإنه لا يترتب على الخطأ حقا وبالتالي لا يترتب على الحرب حق الاحتلال .

المبدأ الثاني : تقضي نظرية البطلان التي تعتبر من النظريات العامة في القانون الدولي بأن ما بني على الباطل فهو باطل ، وحيث إن الحرب تعد عملا غير مشروع فإن ما يقترن بها من احتلال يعد باطلا وغير مشروع .

المبدأ الثالث : طبقا لقاعدة أن النصر لا يخلق حقا وأنه لا ثمار للعدوان No Fruits Of Aggression فإن أي عدوان تشنه دولة على أخرى وتنتصر فيه لا يعطي المعتدي حقا قانونيا في الاحتلال .

وإذا كان الاحتلال حقا فإن ما فعله العراقيون في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ لم يكن اكثر من ممارسة ذلك الحق ؟ إلا إذا كان الاحتلال حلالاً لآل سعود ومحرماً على غيرهم .. أو كانت الأرض اليمنية هي الوحيدة الجائز ضمها واقتطاعها .

الراجح أن النص بنصه على اعتبار الاحتلال " حقا " حمل معه سبب بطلانه لمخالفته المواثيق الدولية والمبادئ القانونية .

---

(٤٥٩) راجع : د/ صلاح عبد البديع شلبي : حق الاسترداد في القانون الدولي العام ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٣ ، ص ٥٠، ٥١ .

المبحث الثاني

تسوية منازعات الحدود الدولية

تعد المشكلات الحدودية من أعقد المشكلات الدولية ، فالتنافس " بين الدول ومدى تشددها لا يلين حتى حينما يتعلق الأمر بأجزاء صغيرة من إقليمها "[٤٦٠]

ونظرا لازدياد منازعات الحدود وما أدت إليه من حروب طاحنة جرت الويل والدمار للشعوب فقد اتجه المجتمع الدولي إلى تحريم الحروب العدوانية التي تهدف إلى السيطرة والتوسع الإقليمي خصوصا منذ عهد عصبة الأمم ١٩١٩م الذي أكدت مادته العاشرة على احترام وضمان سلامة أقاليم الدول الأعضاء[٤٦١] ، ومرورا بالاتفاقية العامة لنبذ الحروب كأداة للسيادة القومية والتي أبرمت في باريس ١٩٢٨م ، وانتهاء بميثاق الأمم المتحدة الذي حظر استخدام القوة والتهديد باستخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة .

وصار لزاما على الدول أن تحل منازعاتها الحدودية عبر الوسائل السلمية ، وذلك بالاتفاق فيما بينها ، أو عن طريق التحكيم ، أو عبر القضاء الدولي . فالتحديد الذي يتم عبر استخدام القوة المسلحة يعد باطلا وغير مشروع[٤٦٢]

التسوية الاتفاقية :

لا يشترط القانون الدولي شكلا معينا للاتفاق الحدودي الذي تبرمه الأطراف المعنية ، وتنطبق الأحكام العامة للمعاهدات الدولية على ذلك الاتفاق " رأي

---

(٤٦٠) أستاذنا الدكتور/ أحمد أبو الوفا ، المرجع السابق ، ص٢٣٠

(٤٦١) راجع : أستاذنا الدكتور/ حازم جمعة ، المرجع السابق ، ص٨٨ وما بعدها .

(٤٦٢) راجع : أستاذنا الدكتور / أحمد أبو الوفا " Arbitration and adjudication " Op.Cit , p. [illegible]

الظروف العادية التي يتم فيها إبرام معاهدة دولية خاصة بالحدود فإن دراسات وأبحاثا ميدانية يجب أن تسبق التحديد لبحث المسائل الجغرافية والاجتماعية والقبلية والاقتصادية والثقافية والدينية الخاصة بالمنطقة المراد تحديد حدودها لأن التحديد العشوائي .. قد يجر عواقب وخيمة ويؤدي إلى تمزيق القبائل والعشائر .. ويقود إلى صراعات وحروب في المستقبل "[٤٦٣]

وقد عرفنا أن الجانبين السعودي واليمني دخلا في مفاوضات مباشرة ابتداء من يونيو ١٩٢٦م حتى فبراير ١٩٣٤م لكنهما فشلا في التوصل إلى الحل ، فقد كان الطرف السعودي يتحرك على الأرض ثم يفاوض سعيا إلى إقرار المكاسب التي حققها ، ولأن الجانب اليمني كان عاجزا عن إيقاف التوسع السعودي فقد اكتفى بعدم الاعتراف بالأمر الواقع وظل يرفض التوقيع على أية اتفاقية حدود لا تتضمن عودة عسير إلى السيادة اليمنية[*] :-

- في ١٩٢٧م وأثناء المفاوضات في صنعاء قدم الوفد السعودي مقترحا لحدود المقاطعة الإدريسية - كما أسموها - مع اليمن . لكن الجانب اليمني رفض هذا المقترح لعدم اعتراف الإمام بأحقية الأدارسة في حكم عسير[٤٦٤].

- في ١٩٣٣م وأثناء المفاوضات في صنعاء أيضا أصر الإمام على تخلي ابن سعود عن عسير من أجل التوصل إلى اتفاقية حدود[٤٦٥].

- في فبراير ١٩٣٤م وأثناء محادثات " أبها " أصر الوفد السعودي على تثبيت الحدود الفعلية بمعاهدة مكتوبة[٤٦٦] إلا أن الجانب اليمني رفض ذلك مطالبا بـن

---

[٤٦٣] د/ علي إبراهيم : النظرية العامة للحدود الدولية ، مرجع سابق ، ص٣٩

[*] راجع : المفاوضات السعودية اليمنية في الباب الثاني .

[٤٦٤] راجع : الخرش ، ص١٣٠،١٣٤١

[٤٦٥] المرجع السابق ، ص١٥٨

[٤٦٦] المرجع السابق ، ص١٨٠

سعود بالإنصاف وإعادة الحق لأصحابه باعتبار أن عسير وتهامة جزء من اليمن .

وحيث أصر كل طرف على موقفه فقد كان بالإمكان عرض النزاع على هيئة تحكيم يشكلها الطرفان ، وكانا بذلك سيقدمان نموذجا عربيا وإسلاميا رائعا في حل المنازعات بطريقة أخوية سلمية ، وكان ذلك واجبا عليهما لأن الشريعة الإسلامية -التي يدعي كل منهما التزامه بها- تحرم قتل النفس ، وترويع الآمنين ، والإفساد في الأرض . كما أن المواثيق الدولية توجب ذلك فقد سبق أن عرفنا أن السعودية وقعت على اتفاقية منع الحرب العدوانية المعروفة بميثاق باريس ١٩٢٨م(*)

وللأسف الشديد لم يحدث ذلك فابن سعود آمن -كما يقول أحد المؤيدين لمسلكه- بأن مائدة المفاوضات الحقيقية ليست في صنعاء ولا في أبها ولا في غيرها بل في ميدان القتال[٤٦٧].

حكم الإكراه في اتفاقيات الحدود الدولية

يعد الإكراه من العيوب التي تشوب المعاهدات الدولية بشكل عام ، ويتخذ الإكراه إحدى صورتين[٤٦٨] :

الأولى : الإكراه الواقع على شخص ممثل الدولة بغرض حمله على الموافقة على إبرام المعاهدة .

الثانية : الإكراه الواقع على الدولة ذاتها بالتهديد باستخدام القوة أو استخدامها فعلا ، ومن أمثلتها المعاهدة التي أبرمت في ١٩١٥م بين الصين واليابان

(*) راجع : مبررات الهجوم السعودي الشامل ص١٣٣-١٣٦ .

(٤٦٧) د/ فتوح الخترش ، ص١٨٣

(٤٦٨) أستاذنا الدكتور / أحمد أبو الوفا ، الوسيط في القانون الدولي ، ص١٦٢

والتي تنازلت الصين بمقتضاها عن مقاطعة شانتونج لليابان على إثر تهديد الأخيرة باحتلال الصين .

وقد ترتب على تحريم الحرب كأداة للسيادة القومية أن المعاهدات الحدودية التي تبرم نتيجة استخدام القوة تعتبر معاهدات باطلة(٤٦٩) فلاشك أن الدولة التي تحتل أرضها كليا أو جزئيا تحرم من التعبير عن إرادتها الحرة لكي تصبح طرفا في معاهدة مع الدولة التي احتلتها (٤٧٠)

فالمنهزم ليس له خيار سوى قبول شروط المنتصر " فهو محصور بين سندان الهزيمة ومطرقة الخوف من الاستمرار في الحرب ، أو رفض الشروط المذلة .. وهنا قد يواجه خسائر أفدح أو تدمير كلي أو ضم نهائي "(٤٧١)

وإذا كانت الحقبة الاستعمارية قد شهدت العديد من المعاهدات التي فرضها المستعمِر على المستعمَر فإن تلك الاتفاقات (الشكلية) ألغيت جميعها بعد انتهاء الاستعمار وذلك أمر طبيعي " لأن الإبقاء على الأوضاع الظالمة الناشئة عن معاهدات مبرمة تحت ضغط الإكراه لا يؤدي إلى استقرار العلاقات الدولية "(٤٧٢)

وقد تضمنت اتفاقية فينا لقانون المعاهدات ١٩٦٨م مادة عن إكراه الدولة ، وأثناء المناقشات أثيرت مسألة تطبيق المادة على المعاهدات التي أبرمت قبل توقيع الاتفاقية ، وقد تقدمت مجموعة من الدول بتعديل نص المشروع بغرض

---

(٤٦٩) أستاذنا الدكتور / أحمد أبو الوفا Arbitration and a Judication , Op.Cit , p.115

(٤٧٠) د/ عصام صادق رمضان : المعاهدات غير المتكافئة في القانون الدولي العام ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٨م ، ص٣٥٥

(٤٧١) د/ علي إبراهيم : الإكراه في المعاهدات الدولية ، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، جامعة عين شمس ، يناير ١٩٩٤ ، ص٢٣

(٤٧٢) المرجع السابق ، ص ٢٢

عدم قصر تطبيق المادة على المعاهدات التي عقدت في ظل ميثاق الأمم المتحدة ، وقد وافق المؤتمر على التعديل لأن الميثاق أكد ما استقر في عهد عصبة الأمم وميثاق باريس ، وإذا كانت الاتفاقية قد نصت في المادة الرابعة على عدم رجعيتها إلا أنها اشترطت أن يتم ذلك دون الإخلال بقواعد القانون الدولي التي عقدت المعاهدات أثناء سريانها[٤٧٣].

وبرغم الخلاف الذي ثار حول ما إذا كان الضغط الاقتصادي والسياسي يعد إكراها مبطلا للمعاهدات فإن الأمر الذي " لا خلاف عليه بين الدول كبيرها وصغيرها ولا بين الفقهاء أن استعمال القوة المسلحة في صورة القوات البرية أو البحرية وغيرها أو التهديد بها من أجل الحصول على المعاهدة ، يجعلها باطلة بطلانا مطلقا "[٤٧٤]

ومن خلال تتبع الأحداث والأحوال التي أعلنت خلالها معاهدة الطائف نجد أن صورتي الإكراه المبطلة للمعاهدات في القانون الدولي العام قد تحققت :

- **تم إكراه الوفد اليمني المفاوض باحتجازه من قبل السلطات السعودية**[*]. فعندما رفض الوفد التوقيع على اتفاقية " خاضعة لشروط الجانب السعودي "[٤٧٥] خلال محادثات " أبها " في فبراير ١٩٣٤م قامت الحكومة السعودية بشن هجوم بري واسع النطاق في الوقت الذي احتجزت فيه الوفد اليمني . [٤٧٦]. وبعد أن أعلن الإمام رضوخه للشروط السعودية ، صدر بلاغ

---

[٤٧٣] د/ عصام صادق ، المرجع السابق ، ص٣٥٣

[٤٧٤] د/ علي إبراهيم ، المرجع السابق ، ص٢٨

[*] راجع : الحرب والمفاوضات في الباب الثاني .

[٤٧٥] د/ فتوح الخترش ، ص١٠٥

[٤٧٦] جاء في إحدى رسائل الإمام إلى لجنة الوساطة الشعبية العربية في القاهرة " بينما ننتظر التوقيع على المعاهدة من المندوبين بأبها .. ونحن في أمن مستعجبين السلام ، فلم نر إلا برقية من حضرته بإعلان الحرب علينا .. ولا ندري ما عليه مندوبونا في أبها " انظر : المرجع السابق ، ص٢٧٣—٢٧٥ .

من الخارجية السعودية في ٨محرم ١٣٥٣هـ/١٨مايو ١٩٣٤م جاء فيه " شرع وفد حكومة جلالة الملك في مفاوضات الصلح مع وفد سيادة الإمام يحيى ، في جو مفعم بالتفاؤل ، وقد تقدم الوفد العربي (السعودي) بمشروع كامل لمعاهدة الصلح وما يتبعها من التفاصيل لتسوية العلاقات بين البلدين .. وينتظر الفراغ منها في القريب العاجل "[٤٧٧] وبالفعل وقعت الاتفاقية في ١٠محرم ١٣٥٣هـ/٢٠مايو ١٩٣٤م " إلا أنها ظلت سرية دون أن يعلن عنها رسميا وذلك لأن الملك ابن سعود كان لا يزال مرتابا في نوايا الإمام يحيى حينما بدا واضحا أن الإمام غير راغب في أن يتخذ الخطوة الأخيرة أي موافقته ومصادقته على الاتفاقية "[٤٧٨] .

وهكذا يتضح أن الوفد اليمني لم يكن له أي دور ، فالوفد السعودي هو الذي قام بوضع الاتفاقية وما يتبعها من التفاصيل ، فأنى لوفد محتجز – وبلاده تتعرض لعدوان مسلح من قبل الدولة التي احتجزته– أن يكون له حرية التعبير عن إرادة حكومته .

➢ **تم إكراه الدولة اليمنية عن طريق استخدام القوة ضدها واحتلال أجزاء كبيرة من إقليمها ، وكانت مهددة بالمزيد .**

فبعد أن أعلن الإمام رضوخه للمطالب السعودية على إثر وصول قوات الأخيرة إلى الميناء اليمني الرئيسي آنذاك ، وضع ابن سعود مدة زمنية محددة لتنفيذ المطالب –المشار إليها سابقا– بحذافيرها– وصرح بأنه في حالة عدم تنفيذ كافة البنود الواردة في الاتفاقية فإن جيشه سيكون على أهبة الاستعداد للقتال من جديد[٤٧٩]

(٤٧٧) المرجع السابق ، ص٢٤٥، ٢٤٨ .

(٤٧٨) المرجع السابق ، ص٢٤٨ .

(٤٧٩) المرجع السابق ، ٢٥١ .

ومما يدل على حالة الذعر والخوف التي سيطرت على الحكومة اليمنية آنذاك أن الإمام يحي حاول أن يحتفظ بنجران عبر استجداء ابن سعود عندما قلم بتحكيمه وحمله أمانة تقرير تبعية نجران . حقا إن العادات والتقاليد العربية كانت تجعل العربي يتنازل عن حقه إذا ما حكمه خصمه ، لكن بن سعود كان قد استفاد من السياسة البريطانية التي لا تعرف مثل هذه الأخلاقيات فرغم انه كان يعرف أن لا حق له البتة في نجران ، وأن الإمام يستعطفه بهذا التحكيم فإنه لم يتردد في أن يحكم لنفسه بنجران . وقد جاء في نص المادة الرابعة من معاهدة الطائف " وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الإمام يحي لجلالة الملك عبد العزيز في يام والحكم من جلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية "

في ضوء تلك الوقائع المادية وبناء على مبادئ القانون الدولي فإن الحدود الواردة في المادة الرابعة من معاهدة الطائف تعتبر حدودا باطلة لأنها فرضت بالإكراه .

فمنذ أن غير " المجتمع الدولي من نظرته إلى الحرب -عقب الحرب العالمية الأولى- ويجعلها وسيلة مذمومة ومرفوضة لتحقيق السياسات الوطنية في العلاقات الخارجية ، وأن النصر لا يصنع القانون ، وأن السلام بواسطة القانون -لا الحرب- لجميع الأمم والشعوب هو الوسيلة المثلى للعيش ، بدأت الجماعة الدولية تنفر من أساليب الضغط والإكراه في إبرام المعاهدات الدولية وتجعل هذه المعاهدات إن أبرمت بالعنف والتهديد باستخدامه باطلة بطلانا مطلقا "[480]

---

[480] د/ علي إبراهيم ، الإكراه في المعاهدات الدولية ، ص١٦.

وقد أكدت جمعية عصبة الأمم في التوصية التي أصدرتها بمناسبة مشكلة منشوريا في ١٩٣٢م أن أي وضع أو معاهدة أو اتفاقية تتم بالمخالفة لأحكام عصبة الأمم وميثاق باريس تعتبر باطلة[٤٨١]

أثر الموافقة اللاحقة على الاتفاقية المبرمة بالإكراه

أكدت لجنة القانون الدولي أن فقدان حق إثارة البطلان بسبب قبول الدولة صراحة أو بسلوكها لا يسري في حالتي الإكراه والقواعد الآمرة ، إذ يجب اعتبار المعاهدة باطلة بطلانا مطلقا absolutely void ورأت أن القول بخلاف ذلك سيضعف من الحماية المقررة لضحايا الإكراه[٤٨٢] وقالت اللجنة " إن المعاهدة التي يتم الحصول عليها في مثل هذه الظروف باطلة منذ البداية ، وإن الدولة صاحبة المصلحة في الاحتفاظ بها يجب أن تبرم معاهدة جديدة وليس على أساس الاعتراف بصحة معاهدة تم الحصول عليها بوسائل مخالفة للمبادئ الجوهرية التي يقوم عليها ميثاق الأمم المتحدة "[٤٨٣]

وقد أكدت سكرتارية الأمم المتحدة أن مبدأ عدم الاعتراف باكتساب الإقليم بالقوة يعد قاعدة قانونية تنكر أي صك "[٤٨٤]

---

(٤٨١) جاء في الترجمة : "It is incumbent upon the Member of the League of Nations not to recognize any situation , treaty or agreement which my brought about by means contrary of the League of Nations or to the Pact of Paris"

راجع : د/ محمد السعيد الدقاق ، المرجع السابق .

(٤٨٢) راجع : أستاذنا الدكتور / أحمد أبو الوفا : الوسيط في القانون الدولي ، ص٤٠٦ .

(٤٨٣) راجع : د/ علي إبراهيم ، المرجع السابق ، ص٤٣ .

(٤٨٤) راجع : أستاذنا الدكتور/ أحمد أبو الوفا ، المرجع السابق ، ص٢٢٤ .

وبناء على ذلك فإن الإعلانين اللذين صدرا عن الدولتين اليمنية والسعودية في ١٩٧٣م ، ١٩٩٥م بتأكيد معاهدة الطائف لم يضفيا مشروعية على " الحدود " الواردة في المعاهدة لأن ما بني على باطل فهو باطل .

ومما يثير الدهشة أن كلا الإعلانين جاءا بعد حرب دامية :-

فالبيان المشترك الذي صدر من وزيري خارجية " المملكة العربية السعودية " و " الجمهورية العربية اليمنية " في ١٩٧٣م جاء بعد حرب أهلية في اليمن استمرت من بداية الستينيات إلى بداية السبعينيات وكانت السعودية طرفا أساسيا فيها .

ومذكرة التفاهم بين " المملكة العربية السعودية " و " الجمهورية اليمنية " الموقعة في ١٩٩٥م جاءت بعد حرب دامية في اليمن استخدمت فيها أحدث أنواع الأسلحة وكانت السعودية ــ بأموالها وجهودها الدبلوماسية والسياسة والإعلامية ــ طرفا مباشرا فيها ، بل إنه ما إن وضعت الحرب اليمنية أوزارها حتى أثيرت مشكلة الحدود اليمنية السعودية ، وكادت الحرب أن تنفجر بين الدولتين لولا تدخل بعض الوسطاء كما هو مذكور سابقا ، وبينما رأى الجانب اليمني أن يتم البحث عن حل شامل لكامل الحدود سواء ما كان يخص الشمال أو الجنوب فإن الجانب السعودي أصر على أن يتم تجديد العلامات الواردة في معاهدة الطائف أولا(*)

(*) كان الجانبين قد بدء جولة من المباحثات من أجل الحدود في ١٩٩٢ وبينما انصب اهتمام الجانب السعودي على تأكيد معاهدة الطائف ، فقد انصب اهتمام الجانب اليمني خلال جولات المباحثات السبع التي سبقت اندلاع الحرب اليمنية- على المطالبة بالاتفاق على آلية التفاوض . راجع : التقرير الاستراتيجي العربي ١٩٩٥ ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ص٢٠[illegible]

وهذا يؤكد أن كل ما هو غير طبيعي لا يبقى إلا في ظل أوضاع غير طبيعية ، فكما أن معاهدة الطائف جاءت بعد حرب مباشرة شنتها السعودية على اليمن ، فإن التصريحات التي صدرت من الدولتين بتأكيدها جاءت بعد حرب دامية واجهتها اليمن وكانت السعودية طرفا مباشرا فيها .

مما سبق نستنتج الآتي :

١-إن معاهدة الطائف لم تحسم مشكلة الحدود اليمنية السعودية بل أجلت البت فيها إلى ما بعد عشرين سنة .

٢-إن التنازل الوارد في المادة الثانية يعتبر تنازلا باطلا لعدم توافر الرضا الذي يعد شرطا جوهريا في مختلف الاتفاقيات .

٣-إن الحدود الواردة في المادة الرابعة ليست حدودا مشروعة حتى لو كانت مؤقتة لأنها فرضت نتيجة استخدام القوة المسلحة والتهديد بمواصلة استخدامها بالمخالفة لقواعد القانون الدولي .

وبناء على ذلك فإن السيادة السعودية على عسير لا زالت حالة واقعية تفتقر إلى السند القانوني ، ولا زالت الدولة اليمنية هي صاحبة السند القانوني في السيادة على عسير .

النتائج والتوصيات

النتـــــائـــج

أولا : إن عسير منطقة يمنية جغرافيا وتاريخيا ، وتبعيتها للدولة اليمنية اتصلت عبر مراحل التاريخ المختلفة ، كما أنها انتقلت قانونا إلى السيادة اليمنية عقب الانسحاب العثماني عام ١٩١٨م وفقا لمبدأ توارث الحدود الدولية حيث كانت عسير جزءا من ولاية اليمن العثمانية التي سلمت إلى الإمام يحيى باعتباره الوارث الشرعي للحكم العثماني في اليمن .

ثانيا : إن التدخل السعودي في عسير خلال الدولة السعودية الأولى والذي قاد إلى تمرد الحكام المحليين على مركز الحكم في صنعاء أدى إلى تعاون الدولة اليمنية مع حملة محمد علي باشا التي وصلت إلى الجزيرة العربية بهدف القضاء على الدولة السعودية .

ثالثا : إن الإعلان السعودي لضم عسير في ١٩٣٣م لم يستند إلى أي أسس قانونية ، لأنه صدر بالإرادة المنفردة وليس باتفاق الدولتين ، وقد عرفنا أن إعلان الضم سبقه وأعقبه قيام السعودية بعدة حملات عسكرية ضد اليمن:-

الحملة الأولى : بدأت في ١٩٢١م وخلالها احتلت " أبها " وما حولها .

الحملة الثانية : حدثت في ١٩٣٣م وخلالها احتلت " جيزان " وما يليها .

الحملة الثالثة : وقعت في ١٩٣٤م وخلالها توغلت في العديد من المدن الساحلية .

رابعا : إن تزامن النزاع اليمني-البريطاني حول الجنوب اليمني مع النزاع اليمني السعودي حول الشمال اليمني قد أفاد السعودية بدرجة كبيرة وسهل لها تحقيق الانتصارات العسكرية المتوالية ، كما أن ذلك التزامن مكن كلا

من بريطانيا والسعودية من تحقيق أهدافهما ، فكان عام ١٩٣٤م موعد الحصاد لكل منهما : فيه وقعت اتفاقية " الصداقة والتعاون " بين الإمام وبريطانيا ، وفيه أعلنت اتفاقية " الصداقة العربية والأخوة الإسلامية " بين الإمام والسعودية .

خامسا : إن الصراع الداخلي الذي حدث بين القوى السياسية في اليمن (الأئمة ، آل عائض ، الأدارسة) عقب الانسحاب العثماني استغلته السعودية لصالحها أفضل استغلال ، بحجة نصرة الإدريسي قضت على آل عائض في ١٩٢١م ، وباسم حماية الإدارسة أوقفت تحرك الإمام في اتجاه بسط سيادة الدولة على ما تبقى من عسير ثم قضت على الأدارسة في ١٩٣٣م ، بعد ذلك شنت هجومها الشامل على الإمام في ١٩٣٤م ولم توقفه إلا بعد أن رضخ لكل شروطها .

سادسا : إن التنازل الوارد في المادة الثانية والحدود المذكورة في المادة الرابعة من معاهدة الطائف لم يضفيا المشروعية على الضم السعودي لعسير لأنهما جاءتا نتيجة إكراه للدولة اليمنية باستخدام القوة ضدها والتهديد بمواصلة استخدامها ، مما يعد خرقا للمواثيق الدولية ومبادئ القانون الدولي ، وبناء على ذلك فإن السيادة السعودية على عسير لا زالت حالة واقعية تفتقر إلى السند القانوني ، ولا زالت الدولة اليمنية هي صاحبة السند القانوني في السيادة على عسير .

سابعا : إن الأسلوب العسكري الذي اتبع لمعالجة النزاع بين الدولتين ترتب عليه انعكاسات سلبية عديدة يمكن إجمالها في الآتي :

١- نتج عنه مآسي متعددة كان أكثرها قسوة مقتل الحجاج اليمنيين أثناء توجههم إلى بيت الله الحرام في ١٩٢٢م .

٢-يعتبر السبب الرئيسي في تعقيد المشكلة الحدودية وإطالة أمدها لأنه حولها من خلاف حدودي إلى نزاع إقليمي .

٣-زعزع الثقة بين الدولتين وجعل العلاقات بينهما علاقة حذر وترقب ، بالنسبة للدولة اليمنية ونتيجة إحساسها بالغبن ظلت تبحث عن أية فرصة تخرجها من كبوتها ، في ظل النظام الملكي انتظمت في الجمهورية العربية المتحدة رغم الاختلاف البين بينها وبين تلك الدول ، وفي ظل النظام الجمهوري انتظمت في مجلس التعاون العربي رغم المسافة الشاسعة بينها وبين الدول المكونة لذلك المجلس . أما الدولة السعودية ومن أجل المحافظة على المكاسب العسكرية التي تحققت لها خلال حروبها مع اليمن فقد ظلت تتوجس خيفة من أية تطورات على الساحة اليمنية ، ولذلك لم يمر حدث ذا شأن في اليمن خلال هذا القرن دون أن تساهم فيه السعودية بإمكاناتها المادية وجهودها السياسية

ثامنا : إن معاهدة الطائف لم توجد إلا بعد هزيمة الدولة اليمنية ، ولم تجدد إلا في ظل ضعفها ، ففي الثلاثينات عجزت عن صد الهجوم السعودي ، وفي السبعينات خرجت من حرب أهلية طاحنة ، وفي التسعينات أنهكت بحرب داخلية مدمرة . مما يعني أن " المعاهدة " ستنتهي إذا أقيلت الدولة اليمنية من عثراتها ، ولذلك فمن الخير للطرفين أن يبحثا عن حلول عادلة فالقوة معيار نسبي يتغير ويتبدل .

وإذا كانت المملكة العربية السعودية قد تمكنت من جعل النظام الجمهوري في السبعينات والنظام الوحدوي في التسعينات يعلنان التزامهما " بمعاهدة الطائف " فإنها-رغم إمكاناتها الضخمة وجهودها الحثيثة- عجزت عن إجهاض النظام الجمهوري **و**أخفقت في إفشال **الوحدة** ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن قدرتها على التأثير في القرار اليمني قد **ضعفت**

بدرجة كبيرة .. فلم يعد هناك عمال تلوح بطردهم ولا مساعدات تهدد بقطعها .

عاشرا : أثبت الواقع العملي في بداية القرن ونهايته عجز الطرفين عن حل مشكلتهما عبر التفاوض المباشر :

- خلال الفترة من ١٩٢٦-١٩٣٤م عقد الطرفان العديد من جلسات التفاوض لم تسفر أي منها عن إيجاد حل لمشكلة واحدة من المشاكل التي كانت تطرح على مائدة المفاوضات ، بل إن المشاكل كانت تتراكم الواحدة تلو الأخرى إلى أن اندلعت الحرب الشاملة بين الدولتين وبواسطتها تمكن المنتصر من إملاء شروطه على المنهزم .
- خلال الفترة من ١٩٩٢م وحتى لحظة كتابة هذه الأسطر ١/ ١٩٩٩/٩م عقد الطرفان عدة لقاءات على كافة المستويات القيادية وشكلا العديد من اللجان المتخصصة إلا أنهما لم يفشلا فحسب في التوصل إلى الحل بل إنه حدث صراع جديد أسال دماء وأزهق أرواحا ، ونتمنى ألا يتكرر ما حدث في الثلاثينيات من هذا القرن .

التوصيات

أولا : نظرا لتشعب النزاع الحدودي ، وطول أمده ، وكثرة ضحاياه .. ونظرا لتعلقه بالبر والبحر والجزر .. ونظرا لأنه تتداخل فيه العوامل الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية والسياسية .. ونظرا لفشل الطرفين في حله عبر التفاوض .. ونظرا لعدم تكافؤ الطرفين ، فإن التسوية القضائية هي الوسيلة المثلى لحل النزاع . ولا شك أن ذلك خير من الاستمرار في " مفاوضات " فاشلة . ويكفي ما حدث بين الجانبين من حروب مباشرة وغير

مباشرة ، وما حصل على حدودهما من حوادث دامية لم تتوقف على مدى العقود المتتابعة من هذا القرن .

ثانيا : أدعو الطرفين اليمني والسعودي إلى تغليب مصلحة الجزيرة العربية على مصالحهما ، وأدعوهما إلى العمل على تعزيز استقرارها وأمنها لتكون لها مكانتها التي تتناسب مع :

- ❖ مركزها الروحي .
- ❖ موقعها الاستراتيجي .
- ❖ تاريخها الحضاري .
- ❖ مخزونها النفطي .

وليس المهم أن تمارس الرياض أو صنعاء أو مسقط الدور القيادي فيها بقدر ما هو الأهم أن يكون هذا الدور في صالح أبناء الجزيرة عموما ، وذلك لن يتحقق إلا إذا تكاتفت القوى وتكاملت .

ثالثا : ادعوا دول مجلس التعاون " الخليجي " إلى التحرك في اتجاهين :

الأول : احتواء النزاع السعودي - اليمني لأن بقاء التوتر بين الدولتين قد يستغل من أطراف خارجية تعمل على تعميقه والوصول به إلى نقطة الانفجار وذلك ليس في صالح المنطقة وكفاها ما شهدته من حروب وصراعات .

الثاني : العمل على انتظام اليمن في المجلس ، فهي العمق الحضاري والتاريخي للمنطقة ، ولا حدود لها مع غير دول المجلس .

وليس من الخير لليمن والسعودية والمنطقة أن يستمر تجاهل اليمن وتحييدها عن أي دور فذلك سيجعلها تبحث عن تحالفات خارج المنطقة مما

سيكون له انعكاسات سلبية على أمن المنطقة واستقرارها ، فمن غير المعقول أن تبقى بمعزل عن ترتيبات المنطقة وأحداثها .

وإذا كانت اليمن خلال هذا القرن قد شهدت صراعات داخلية مستمرة أفقدتها مكانتها ودورها في الجزيرة العربية فإنه مع ذلك حدث تطور تدريجي باتجاه إعادة بناء الدولة اليمنية ، وتحقيق الوحدة والحفاظ عليها خير شاهد على ذلك . وأعتقد أنه آن الأوان لتستعيد اليمن مكانتها الطبيعية في الجزيرة العربية ، وأزعم أن انتظامها في المجلس سيكون خير لها وله ، لأن بقاءها بعيدة عنه قد يجعل كل منهما قوة مضادة للآخر .

وفي هذا السياق : وانطلاقا من الحقائق الجغرافية ، والوقائع التاريخية ، أدعو إلى تعديل اسم المجلس ليصبح : " **مجلس التعاون لدول الجزيرة العربية**"

وفي الختام :

أجدني مسوقا إلى الإشارة بأني خضت بقارب صغير رحلة شاقة ، في بحر متلاطم الأمواج ، خلال فصل متقلب المناخ ، ولعل ذلك مما يشفع لي إذا ما وجد ــ وهو لا شك موجود ــ خلل أو قصور ، فمن وجد ذلك ، أستعير له قول الشاطبي :

وإن كان خَرقٌ فادَّرِكْهُ بفضْلَةٍ

من الحلم وليُصلحْه من جاد مِقْوَلا

ومن وجد غير ذلك ــ وأتمنى أن يكون كذلك ــ فذاك توفيق من الله ونعمة.

وفي كل الأحوال لله الحمد والمنّة .

مراجع الدراسة

المراجع العربية

المؤلفات والرسائل :

إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي : تاريخ عسير ، تحقيق وتعليق : محمد بن مسلط بن عيسى الوصال البشري ، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ.

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي : مسالك الممالك (مطبعة بريل في ليدن ، ١٩٢٧).

د/أحمد أبو الوفا : الوسيط في القانون الدولي العام (دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٩٩٥-١٩٩٦).

أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ (الطبعة الأولى ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م).

د/أحمد زكريا الشلق ، د/مصطفى عقيل الخطيب : قطر واتحاد الإمارات العربية التسع في الخليج العربي دراسة وثائق ١٩٦٨-٩٧١ (الدوحة ، ١٤١١هـ/١٩٩١م).

د/أحمد عطية المصري : النجم الأحمر فوق اليمن تجربة الثورة في اليمن الديمقراطية (مؤسسة الأبحاث العربية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م).

إدجار أوبالانس : اليمن الثورة والحرب حتى ١٩٧٠ (ترجمة وتعليق: د/عبد الخالق محمد لاشين (مكتبة دبولي ، القاهرة).

أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي : السيرة النبوية (تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، مطبعة عيسى الحلبي ، ١٩٦٤).

أمين الريحاني :-ملوك العرب (دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م).

أمين سعيد : اليمن تاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري (دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٩).

أندريه ريمون : المدن العربية الكبرى في العصر العثماني (ترجمة: لطيف فرج ، دار الفكر ، الطبعة الأولى١٩٩١).

أيمن الياسيني : الدين والدولة في المملكة العربية السعودية (نقله إلى العربية : كمال اليازجي ، دار الساقي ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٩٠م).

بدر الدين عباس الخصوص : التنافس الدولي حول الكويت في الفترة ما بين ١٨٩٩-١٩٤٥ ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٦م .

تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني المتوفى سنة ٧١٣هـ : بهجة الزمن في تاريخ اليمن (تحقيق : عبد الله محمد الحبشي ، محمد أحمد السنباني ، دار الحكمة اليمانية) .

هيكوا يشي ياجيما : تاريخ اليمن في الدولة الرسولية (طوكيو ١٩٧٦) .

د/**جمال زكريا قاسم** : تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر (دار الفكر العربي ، ١٩٩٦).

د/**جواد علي** : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨).

جون . س . **ولينكسون** : حدود الجزيرة العربية قصة الدور البريطاني في رسم الحدود عبر **الصحراء** (ترجمة : مجدي عبد الكريم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

د/حازم حسن جمعة :
-إقليم الدولة وحدودها في القانون الدولي العام (دار النهضة العربية، ١٩٩٣-١٩٩٥).
-الحماية الدبلوماسية للمشروعات المشتركة (رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧) .

أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي : البداية والنهاية (تحقيق : د/أحمد أبو ملحم ، د/علي نجيب عطوي ، وآخرون ، دار الحديث ، القاهرة).

حافظ وهبة (سفير المملكة العربية السعودية بلندن) : جزيرة العرب في القرن العشرين ، الطبعة الثالثة .

أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني المتوفى ٣٣٤هـ : صفة جزيرة العرب (تحقيق : محمد بن عبد الله بن بلهيد النجدي ، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٣).

حسن أبو طالب : الوحدة اليمنية دراسة في عمليات التحول من التشطير إلى الوحدة (مركز دراسات الوحدة العربية).

د/حسن سليمان محمود : تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي (الطبعة الأولى ، ١٩٦٩) .

حسين خلف الشيخ خزعل : تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب (مطابع دار الكتب ، بيروت ، ١٩٦٨م) .

الشيخ/ حسين بن غنام : تاريخ نجد (حرره وحققه : ناصر الدين الأسد ، دار الشروق ، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) .

خالد بن محمد القاسمي : الوحدة اليمنية حاضرا ومستقبلا (دار الثقافة العربية، الشارقة ، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م) .

زكريا بن محمد بن محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت).

د/سعيد محمد باديب : الصراع السعودي المصري حول اليمن الشمالي ١٩٦٢-١٩٧٢ (دار الساقي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م) .

سنت جون فيلبي : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (السلفية) ، تعريب : عمر الديسراوي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

د/صادق عبده علي : الحركات الاجتماعية والسياسية في اليمن ١٩١٨-١٩٦٧) .

د/صلاح عبد البديع شلبي : حق الاسترداد في القانون الدولي العام (رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٣م) .

طارق عبد الرؤوف رزق : مبدأ ثبات الحدود الدولية ونهائيتها مع الإشارة إلى نزاع الحدود بين العراق والكويت (رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٥).

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (دار الكتاب اللبناني) .

د/عبد العزيز عبد الغني إبراهيم : أمراء وغزاة قصة الحدود والسيادة الإقليمية في الجزيرة العربية (دراسة وثائقية) .

د/عبد المجيد إسماعيل حقي : الوضع القانوني لإقليم عربستان في ظل القواعد الدولية (رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤) .

د/عبد الله سعود القباع : العلاقات السعودية اليمنية (مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ، ١٣١٤هـ/١٩٩٢م) .

عبد الله بن محمد خميس : المجاز بين اليمامة والحجاز (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ١٩٧٠).

د/عبد الله يوسف الغنيم : أشكال سطح الأرض في شبه الجزيرة العربية ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٧م .

الشيخ/عبد الواسع بن يحيى الواسعي : فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن (المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٦هـ).

عزيز خودا بيرد ييف : الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن (ترجمة : خيري الضامن دار التقدم ، موسكو ، ١٩٩٠م) .

عصبة الأمم غاياتها ، وسائلها ، أعمالها : وضعته سكرتارية عصبة الأمم، جنيف ، ١٩٣٨ .

عمر رضا كحالة : جغرافية شبه جزيرة العرب (١٩٤٤) .

د/عمر عبد الله بامحسون : التطور السياسي والدستوري في اليمن الديمقراطية ١٩٣٧-١٩٦٧ (مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٩١م) .

د/عدنان عباس موسى النقيب : تغير السيادة الإقليمية وآثارها في القانون الدولي العام (رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٩) .

د/عصام صادق رمضان : المعاهدات غير المتكافئة في القانون الدولي العام (رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٧).

د/علـــي إبراهيـــم : النظرية العامة للحدود الدولية مع دراسة خاصـــة لمشـكلة الحدود العراقية الكويتية (الطبعة الأولى ، ١٩٩٥).

د/علي صادق أبو هيف : القانون الدولي العام (الطبعة السادسة ، ١٩٦٢).

نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي اليمني :

-تاريخ اليمن ، تحقيق : د/حسن سليمان محمود ، دار الثناء للطباعة

-تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد (تحقيق: محمـد بـن علـي الأكـوع ، مطبعـة لجنـة البيـان العربـي ، الطبعـة الأولـى ١٣٦٠هـ/١٩٦٧م).

د/غوستـاف لوبـون : حضارة العرب (نقله إلى العربية : عادل زعيـتر، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الثانية ، ١١٣١٧هـ/١٩٤٨) .

د/فؤاد عبد المنعم رياض : الجنسية ومركز الأجانب (دار النهضـــة العربيـــة، ١٩٩٤) .

د/فاروق عثمان أباظة :

-الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢-١٩١٨ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م).

-عدن والسياسة البريطانية في البحـــر الأحمـــر ١٨٣٩-١٩١٨(الهيئـــة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م)

د/فتوح عبد المحسن الخترش : العلاقات السـعودية اليمنيـــة ١٩٢٦-١٩٣٤ ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

مجموعة من المؤلفين الروس : تاريخ اليمن المعاصر ١٩١٧-١٩٨٢ (ترجمة: محمد علي البحر ، مراجعة : د/ محمد أحمد علـــي ، مكتبـــة مدبولـــي ، القاهرة، ١٩٩٠م) .

مصطفى مراد الدباغ : جزيرة العرب موطن العرب ومهد الإسلام ، الجزء الأول ، منشورات دار الطليعة ، بيروت .

محمد بن أحمد العقيلي :

-تاريخ المخلاف السليماني (منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٨٣).

-مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير (نادي أبها الأدبي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤) .

قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي :البرق اليماني في الفتح العثماني (دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٦٧) .

محمد حسن عبد الكريم : التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٤).

د/**محمد حسن العيدروس :** تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر (الطبعة الأولى ١٩٩٦م) .

محمد حسنين هيكل :حرب الخليج (مركز الأهرام للترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ١٣١٢ه/١٩٩٢م) .

د/**محمد سامي عبد الحميد :** أصول القانون الدولي العام – المجلد الأول – القاعدة الدولية (مؤسسة شباب الجامعة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢) .

د/**محمد السعيد الدقاق :** عدم الاعتراف بالأوضاع الإقليمية غير المشروعة (دار المطبوعات الجامعية ، ١٩٩١)

محمد عزة دروزة : الوحدة العربية (المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر).

د/محمد النيرب : العلاقات الأمريكية السعودية (مكتبة مدبولي ، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤ه/١٩٩٤م) .

محمد قجالي : ضبط الحدود الإقليمية للدول ومبدأ حسن الجوار الحالة الجزائري - التونسية (رسالة ماجستير ، جامعة قسنطية ، ١٩٩٠).

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية : حرب اليمن ١٩٩٤ الأسباب والنتائج (أبو ظبي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥).

مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية : التقرير الاستراتيجي العربي ١٩٩٥ .

د/محمود طه أبو العلا :-جغرافية شبه جزيرة العرب ، مؤسسة سجل العرب ، الطبعة الأولى ١٩٧٢م .

نجدة فتحي صفوة : الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز)، (دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م) .

نزيه مؤيد العظم : رحلة في البلاد العربية السعيدة (مطبعة عيسى الحلبي).

شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم البلدان (دار صادر ، بيروت).

د/يحيى الجمل : الاعتراف في القانون الدولي العام (دار النهضة العربية، ١٩٦٣م) .

المقالات :

د/أحمد البرصان : العمالة العربية والآسيوية والأمن القومي العربي، السياسة الدولية ، العدد ١٢٦ ، أكتوبر ١٩٩٦).

سعيد عبد المسيح شحاته : الحدود اليمنية السعودية بين اتفاقية الطائف ومذكرة التفاهم (السياسة الدولية ، العدد ١٢٠ ، إبريل ١٩٩٥).

عبد الجليل مرهون : الخليج واليمن : الخليجيون والمسألة الجزيرية (المستقبل العربي ، العدد ٢١١ ٩/١٩٩٦).

عبد الخالق عبد الله : العلاقات العربية - الخليجية (المستقبل العربي، العدد ٢٠٦ ، آذار/مارس ١٩٩٦).

د/علي إبراهيم : الإكراه في المعاهدات الدولية (مجلة العلوم القانونية والاقتصادية ، جامعة عين شمس ، يناير ١٩٩٤).

محمد بدر الدين مصطفى : نحو إطار لدراسة المفاوضات الدولية (السياسة الدولية ، العدد ١٣٥ ، يوليو ١٩٩٦).

محمد السعيد إدريس : دور الأمن والتعاون العسكري في تطور مجلس التعاون الخليجي ككيان إقليمي (المستقبل العربي ، العدد ٢١٥ ، يناير ١٩٩٧).

د/محمد عبد الملك المتوكل : موقف اليمن الشعبي والنخبوي والرسمي من أزمة الخليج (ورقة عمل ضمن ندوة مركز دراسات الوحدة العربية).

د/ناجي صادق شراب : مرتكزات السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٤٩ ، يناير ١٩٨٧).

المراجع الأجنبية

Abou. Elwafa.

A., Arbitration and a Judication, (Revue Egyptienne De Droit Fternatand, 1986).

Bernard Reilly

ADEN AND THE YEMEN (Her Majestys' Stationery Office, London).

Chris N. Okeke

Controversial subjects of contemporary international law (PH.D, Rotterdam University Press/1974).

Encyclopedia of Public International Law, North Wolland, Vol. 10

Lenore G. Martin

The Unstable Gulf Threats From Within (Lexington Books – 1984)

The Middle East and North Africa 1990,

Europa Publications Limited (Thirty-sixth Edition 1989).

Tom Hickinbotham

ADEN (Constable and Company LTD, LONDO).

المحتويات

الباب الأول

الوضع القانوني لـ"عسير"

الباب الثاني

الضم السعودي لـ" عسير "

الباب الثالث

مشروعية الضم السعودي لعسير